



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عيد ميلاد
عمر الکرمان

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

من تاريخ الحديث المتوارث

نصيحة المشاور وتبليّة المجاور

لابن فرحون

أبي محمد عبد الله بن محمد بن فرحون المازندراني
(٦٩٣-٨٧٦٩ هـ)

تأليف
الدكتور عفاي عمر

الناشر
مكتبة المشافرة الدينية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تاريخ مدينة منوره

كاتب:

عبد الله بن محمد ابن فرحون

نشرت في الطباعة:

مكتبه الثقافة الدينية

رقم الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٨	تاريخ المدينة المنورة ابن فرحون
١٨	اشارة
١٨	[مقدمة التحقيق]
٢٠	[نماذج من صور المخطوط]
٢٠	[مقدمة المؤلف]
٢٠	اشارة
٢١	[كلام المؤلف حول وضع علامة في المسجد لمكان العالم و المفتى و حجز الامكنة]
٢٤	[كلام المؤلف حول المنارتين الشماليتين]
٢٥	[كلام المؤلف حول السقاية التي كانت في وسط المسجد]
٢٥	[كلام المؤلف على البدع التي احدثتها الإمامية حول الحجره الشريفه]
٢٥	[كلام المؤلف على صلاة الرغائب و إنكاره لها]
٢٦	[كلام المؤلف حول ما أحدث من تقطيع الصفوف و تقديم من هو أهل للتقديم]
٢٧	[كلام المؤلف حول ما يقع عند فتح أبواب الحرم الشريف في السحر]
٢٧	[كلام المؤلف حول السجاجيد التي تؤبد في المسجد]
٢٧	[كلام المؤلف حول علو الرمل في الروضة الشريفه]
٢٨	[كلام المؤلف حول كتابة المصحف الشريف في قبلة المسجد و ما يترتب على ذلك]
٢٩	[كلام المؤلف على تزويق المسجد و زخرفته]
٣٠	تنبيه
٣٠	اشارة
٣١	[أخلاق النبي صلى الله عليه و آله و سلم]
٣١	[عظيم عفوه و صفحه صلى الله عليه و آله و سلم]
٣٢	[حسن عشرته و أدبه صلى الله عليه و آله و سلم]

- فصل [فى ذكر من أدركهم المؤلف من شيوخ الخدام] ٣٣
- إشارة ٣٣
- [٤١] العزيزى: عزيز الدولة. ٣٣
- [٤٢] شبل الدولة كافور المظفرى المعروف بالحربى - رحمه الله. ٣٤
- [٤٤] سعد الدين الزاهرى. ٣٥
- [٤٥] ظهير الدين مختار، الأشرفى - رحمه الله. ٣٥
- [٤٦] ناصر الدين نصر عطا الله. ٣٦
- [٤٧] عز الدين دينار. ٣٦
- [٤٨] ولى شرف الدين مختص الديرى. ٣٧
- [٤٩] شرف الدين الخزندارى. ٣٨
- [٥٢] عبد الرحمن بن ياقوت المؤذن الكبير. ٣٨
- [٥٥] افتخار الدين ياقوت بن عبد الله الخزندارى. ٣٩
- فصل [فى ذكر من أدركهم المؤلف من الخدام الصلحاء] ٣٩
- إشارة ٣٩
- [٥٦] طواشى شبل الدولة كافور بن عبد الله الخضرى. ٣٩
- [٥٧] شهاب الدين رشيد بن عبد الله السعدي [٥٨] رحمه الله. ٤٠
- [٥٩] شمس الدين صواب الحموى الناصرى. ٤٠
- [٦١] أمين الدين مفيد. ٤٠
- [١٥] سعد الدين نجيب الفاخرى. ٤٠
- [١٦] رجل من اليمن ادعى أنه شريف. ٤٠
- [١٧] ابن حماس. ٤٠
- [١٨] عز الدين مختار الحلبي. ٤١
- [٦٣] شفيع الكرمونى. ٤١
- [٦٤] شمس الدين صواب المغيى - رحمه الله. ٤١

- ٤٢ [٤٩] عز الدين دينار البدرى.
- ٤٣ [٧٣] شمس الدين رشيد الدورخانى.
- ٤٣ [٧٥] شمس الدين صواب الجمدارى.
- ٤٣ [٧٧] جمال الدين محسن الإخمىمى.
- ٤٣ [٧٨] ظهير الدين مختار الزمردى.
- ٤٣ [٨١] شهاب الدين مرشد القارئ.
- ٤٤ [٨٢] الطواشى نصر - رحمه الله.
- ٤٤ [٨٣] مختار المعروف - بالموله.
- ٤٤ [٨٤] عز الدين ريحان الطباخى.
- ٤٤ [٨٥] ريحان الهندى.
- ٤٥ [٣١] أمين الله خالص البيهادى.
- ٤٥ [٨٧] عنبر الموصلى.
- ٤٥ [٨٩] مفتاح الهندى.
- ٤٥ [٩٠] الطواشى صندل.
- ٤٥ [٣٥] نجيب النظامى.
- ٤٦ فصل فى ذكر جماعة من المجاورين القدماء و المشايخ الصلحاء و التعريف بكشف أحوالهم و مناقبهم
- ٤٦ اشارة
- ٤٦ [٩٢] الشيخ الصالح الولى الربانى، أبو محمد عبد الله البسكرى.
- ٤٧ [٩٥] الشيخ أبو محمد المرجانى.
- ٤٧ [٩٦] الشيخ عبد الواحد الجزولى رحمه الله من العلماء الزهاد
- ٤٨ [٩٧] أبا العلا إدريس رحمه الله
- ٤٩ [٤٠] الشيخ محمد بن عمران الخضرى و جماعة من الصالحين
- ٤٩ [٤١] محمود اللارى
- ٥٠ [٩٩] عبد الواحد الجزولى.

- ٥٠ [١٠١] الشيخ عز الدين الواسطي.]
- ٥٣ [١٠٧] أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر مرزوق التلمساني.]
- ٥٤ [١١٩] عليا الواسطي.]
- ٥٥ [١٢٢] الشيخ أبو الربيع سليمان الغماري رحمه الله.]
- ٥٦ [١٢٩] الشيخ الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد.]
- ٥٦ [١٣١] أبو عبد الله محمد بن غصن القصري الأنصاري.]
- ٥٨ [١٣٨] و كان الشيخ أبو عبد الله الوادي آشي.]
- ٥٨ [١٤١] شمس الدين محمد بن الشيخ صالح بن إسماعيل الكنانى الشافعى.]
- ٥٩ [١٤٤] صالح صالحا على اسمه.]
- ٥٩ [١٤٨] الشيخ العالم الورع الزاهد أبو القاسم محمد بن محمد بن مالك.]
- ٦٠ ٥٣- الشيخ أبو عبد الله بن سليمان - رحمه الله-]
- ٦٠ ٥٤- الشيخ يعقوب الشريف.]
- ٦١ [١٤٩] شمس الدين بن العجمي.]
- ٦١ [١٥٠] و منهم الشيخ محبى الدين الحوراني.]
- ٦٤ [١٥٢] الشيخ نور الدين حسن الأسواني.]
- ٦٥ ٥٨- عبد الله فأقام عند والده و ساعده على وقته.]
- ٦٦ [١٥٨] عز الدين يوسف بن الحسن الزرندي.]
- ٦٦ [١٥٩] شمس الدين محمد.]
- ٦٦ [١٦٠] و شهاب الدين أحمد.]
- ٦٦ [١٦١] و نور الدين على.]
- ٦٧ ٦٣- مجد الدين:]
- ٦٧ [١٦٤] عبد الله.]
- ٦٧ [١٦٥] محمد.]
- ٦٧ [١٦٧] شهاب الدين القرمي - رحمه الله-]

- [١٦٨] الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الأمين الآقشهرى الأخلاطى. [٦٨]
- [١٧١] الشيخ سعاده. [٦٨]
- [١٧٦] الشيخ محمد الهورى. [٦٨]
- [١٨٢] أبو بكر الشيرازى. [٧٠]
- [١٨٣] الشيخ أحمد الششترى. [٧٠]
- [١٨٥] شمس الدين محمد بن أحمد الششترى. [٧٠]
- [١٨٧] السيد أحمد الخراسانى. [٧٠]
- [١٩٠] الشيخ صفى الدين أبو بكر أحمد السّلامى [١٩١]- رحمه الله-. [٧١]
- [١٩٢] الشيخ محمد الكازرونى. [٧١]
- [١٩٣] صفى الدين أحمد. [٧١]
- [١٩٧] الفقيه عز الدين بن عبد السلام. [٧٢]
- [٧٨]- الشيخ أبو الحسن الخراز. [٧٢]
- [٧٩]- و الشيخ أبو عبد الله محمد الخراز. [٧٢]
- [٢٠٠] الشيخ عمر بن عياد الخراز الأنصارى. [٧٣]
- [٢٠٣] ثم الفقيه العالم النبيه تاج الدين عبد الواحد. [٧٤]
- [٢٠٤] الشيخ إبراهيم العريان. [٧٤]
- [٢٠٧] الشيخ سليمان الونشريسى. [٧٤]
- [٢١٣] الشيخ الصالح العالم العامل شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز. [٧٥]
- [٢١٥] كمال الدين أبو الفضل الشافعى. [٧٦]
- [٢١٦] والقاضى نور الدين المالكى. [٧٦]
- [٢١٧] الفقيه خليل استطرادا فلا بد من ذكره استبدادا. [٧٧]
- [٢٢٢] محمد بن سالم الفقيه الشافعى. [٧٨]
- [٢٢٧] عبد الرحمن. [٧٨]
- [٢٢٨] أبو الخير بن سيدنا و شيخنا أبى عبد الله الفاسى الحسنى. [٧٨]

- ٧٨ [٩١- أبو عبد الله محمد بن عرفه التونسي].
- ٧٩ [٢٢٩] أبو الغمر [٢٣٠] الطنجي].
- ٧٩ [٢٣١] موسى بن على المراكشي].
- ٨٠ [٢٣٢] أبو عبد الله القبتوري [٢٣٣].
- ٨٠ [٩٥- محمد البلاسي].
- ٨١ [٢٣٤] شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن على بن جابر الهواري نسبا الأندلسي مولدا و منشأ].
- ٨١ [٢٣٥] أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الغرناطي].
- ٨١ [٩٨- الشيخ أبي عبد الله رفيقه].
- ٨١ [٢٤٣] تاج الدين عبد الواحد بن عمر بن عياد الأنصاري].
- ٨٢ [١٠٠- الشيخ محمد البلاسي].
- ٨٢ [٢٥١] أبو عبد الله محمد العصيائي].
- ٨٢ [٢٥٢] الطواشي شمس الدين شفيق - رحمهما الله تعالى].
- ٨٣ [٢٥٤] قاسم التكروري].
- ٨٣ [٢٥٦] عثمان المجكسي].
- ٨٣ [١٠٥- و الشيخ موسى الغزاوي من الشيوخ الصالحين].
- ٨٥ [٢٤٨] عبد الرحمن الجبرتي].
- ٨٦ [٢٧١] أبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي].
- ٨٦ [١٠٨- عيسى الهسكوري من الأولياء الكبار].
- ٨٦ [٢٧٥] عبد الحميد بن على الموغاني].
- ٨٩ [٢٨١] يحيى القسنطيني].
- ٨٩ [٢٨٢] أحمد سنة تسع و خمسين و سبعمائة].
- ٨٩ [١١٢- محمد الخزار].
- ٩٠ [٢٨٣] برهان الدين إبراهيم بن مسعود بن سعد القاهري المعروف بابن الجابي المسروري الإربلي الأصل].
- ٩٠ [٢٨٥] الشيخ محمد العقبي المقرئ].

- ٩٠ [٢٨٦] جمال الدين محمد المطرى الأنصارى الخزرجى العبادى]
- ٩١ [٢٩٣] عفيف الدين عبد الله]
- ٩٢ [٢٩٩] تقى الدين أبى الحرم عبد الرحمن]
- ٩٢ [٣٠٠] عبد العزيز بن يحيى بن العفيف]
- ٩٣ [٣٠٧] محمد بن إبراهيم المؤذن]
- ٩٣ [٣٠٩] أبأ محمد عبد الله]
- ٩٤ [٣١١] شهاب الدين أحمد]
- ٩٤ [٣١٣] محمد بن عبد الرحمن المؤذن]
- ٩٤ [١٢٣- فخر الدين السنجارى أبو بكر بن (عمر [٣١٤])]
- ٩٤ [١٢٤- شمس الدين محمدا]
- ٩٥ [١٢٥- أبو عبد محمد بن محمد بن محمد الغرناطى]
- ٩٥ [٣١٥] على بن معبد المصرى الأصل الشهير بالقدسى المؤذن]
- ٩٦ [١٢٧- محمد بن يوسف]
- ٩٦ [٣١٨] سراج الدين عمر بن الأعمى]
- ٩٦ [٣٢٠] حسن القطان]
- ٩٦ [٣٢١] و أحمد القطان]
- ٩٦ [٣٢٢] حسين]
- ٩٦ [٣٢٤] عبد الرحمن بن ياقوت. و قد تقدم ذكره فى ترجمه الشيخ شرف الدين الخزندارى- عفا الله عنه]
- ٩٧ [١٣٣- يوسف بن جمال القرشى الهاشمى]
- ٩٧ [٣٢٥] علم الدين يعقوب]
- ٩٧ [٣٢٦] جمال الدين اخترمته المنية شاتا]
- ٩٧ [٣٢٨] شهاب الدين الصنعانى]
- ٩٨ [٣٣٠] أبو محمد عبد الله بن حجاج المغربى الشهير بمكشوف الرأس؛]
- ٩٨ [٣٣٣] الشيخ أبو البركات أيمن بن محمد السعدى]

- ١٠٠ [٣٥٢] الشيخ على بن فرغوص التلمساني - رحمه الله
- ١٠٠ [٣٥٦] [١٤٠-] الشيخ محمد الهزميري
- ١٠١ [٣٥٧] [الشيخ أسعد الرومي]
- ١٠١ [٣٦٠] أبو عبد الله محمد التكروري الخطيب
- ١٠١ [٣٦٤] أبو فارس عبد العزيز بن زكنون التونسي - رحمه الله
- ١٠١ [٣٦٩] [الشيخ [٣٧٠] شمس الدين الخجندی - رحمه الله]
- ١٠٢ [٣٧٥] [الشيخ أبو بكر بن يوسف المعروف بالمحجوب النجار]
- ١٠٣ [٣٧٧] [الشيخ إبراهيم التلمساني الشافعي]
- ١٠٣ [١٤٧-] [الشيخ على السخاوي]
- ١٠٣ [٣٨١] شمس الدين محمد بن يوسف الحلبي - رحمه الله
- ١٠٥ [٣٨٢] شمس الدين محمد بن محمد بن يحيى الخشبي
- ١٠٥ [٣٨٤] بهاء الدين عمر بن محمد الهندي الحنفي
- ١٠٦ [٣٩٠] [الشيخ أبو علي الحسن بن عيسى الحائلي]
- ١٠٦ [٣٩١] و [الشيخ عبد السلام بن سعيد بن عبد الغالب القروي [٣٩٢]]
- ١٠٦ [١٥٣-] [الشيخ أبا [٣٩٦] هادي شيخ وقته و فريد دهره]
- ١٠٧ [٣٩٧] [قاسم السلاوي]
- ١٠٧ [٣٩٩] [محمد السبتي]
- ١٠٨ [٤٠٣] [الشيخ عثمان التكروري]
- ١٠٨ [٤٠٤] و [الشيخ إلياس]
- ١٠٨ [٤٠٥] و [الشيخ صالح بن عمر الحاجاني [٤٠٦]]
- ١٠٨ [٤٠٧] و [الشيخ محمد التلمساني]
- ١٠٨ [١٦٠-] و [الشيخ إبراهيم المكناسي]
- ١٠٨ [٤٠٨] و [الشيخ أبو محمد البسكري]
- ١٠٨ [٤٠٩] [علي]

- ١٠٨ [١٦٣- و محمد السلاويان.]
- ١٠٨ [٤١٤] عبد الرحمن. غربيا شهيدا.]
- ١٠٩ [٤١٦] و أقام بالمدينة سراج الدين عمر]
- ١٠٩ [٤١٩] الفقيه: عبد الله:]
- ١٠٩ [٤٢٢] الشيخ شهاب الدين أحمد بن بالغ المصري.]
- ١١٠ [٤٢٧] شمس الدين محمد.]
- ١١٠ [٤٢٩] شمس الدين محمد بن عبد العزيز الجبرتي.]
- ١١١ [٤٣٥] عبد العزيز.]
- ١١١ [٤٣٧] الشيخ أحمد السقا]
- ١١١ [٤٤١] علم الدين سليمان رأس بين إخوانه.]
- ١١١ [٤٤٤] عبد الرحمن.]
- ١١١ [٤٤٥] حسن بن مشكور.]
- ١١١ [٤٤٦] أحمد بن مشكور.]
- ١١١ [٤٤٧] و على بن مشكور.]
- ١١٢ [٤٤٨] محمدا.]
- ١١٢ [٤٤٩] و عليا.]
- ١١٢ [١٧٩- مسعود النجار]
- ١١٢ [٤٥٢] حسن.]
- ١١٢ [٤٥٣] محمد بن حسن.]
- ١١٢ [٤٥٤] و بقى اليوم ولده أحمد و هو من جملة المؤذنين أيضا.]
- ١١٣ [٤٥٥] عبد الله، رأس فى زمانه، و كان صهر القاضى سراج الدين.]
- ١١٣ [٤٥٦] حميدان.]
- ١١٣ [٤٥٧] و حسين.]
- ١١٣ [٤٦٠] الفقيه عليان.]

- ١١٣----- [١٨٧- مبارك بن مسعود]
- ١١٣----- [٤٦٣] جمال.
- ١١٣----- [٤٦٦] على بن مطرف.
- ١١٤----- [٤٦٨] عز الدين حسن بن يعلى العمري رحمه الله.
- ١١٤----- [٤٧١] عبد الله الحاذي.
- ١١٤----- [٤٧٢] شمس الدين سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الحسيني قاضي المدينة يومئذ، كتبه إلى بعض أصحابه.
- ١١٨----- [٤٨٨] الشيخ على (الحجار [٤٨٩] الفراش).
- ١١٩----- [٤٩١] ومنهم: أحمد الأميني كان من عقلائهم، و رؤسائهم، و جامع شملهم [٤٩٢].
- ١١٩----- [٤٩٣] ومنهم على بن ميمون. والد يوسف العجيلي، و ولده على طريقته، و سلامة باطنه و قلّة شره [٤٩٤].
- ١١٩----- [٤٩٥] سعيد الهندي، كان شيخا حسنا على طريقته عظيمة في الديانة، و ملازمة الروضة [٤٩٦].
- ١١٩----- [٤٩٧] عمير السوارقي [٤٩٨].
- ١١٩----- [٥٠٠] برده عتيق الحريري، كان رجلا صالحا مباركا مشغولا بنفسه، لا يعرف الفضول، و لا أهله، انقرضت ذريته.
- ١١٩----- [٥٠١] سعيد الباجي، و ليس له ذرية.
- ١١٩----- [٥٠٢] عنبر الصرخدي.
- ١١٩----- [٥٠٣] إقبال الحريري.
- ١٢٠----- [٥٠٤] عمر الفراش.
- ١٢٠----- ٢٠٣- الشيخ يوسف الصعيدي الشهير بصبي الخطيب.
- ١٢٠----- ٢٠٤- محمد السقا المعروف بأبي حسين.
- ١٢٠----- [٥٠٦] حسين بن علي بن رستم الشيرازي.
- ١٢١----- [٥٠٨] شمس الدين محمد بن حسين اشتغل بالطب.
- ١٢١----- [٥١٠] حسن، فيه مكارم الأخلاق، و خدمة للفقراء، و موالاة حسنة أعانه الله تعالى و سدده و أصلحه [٥١١].
- ١٢١----- [٥١٥] نور الدين علي بن الصفح [٥١٦].
- ١٢١----- [٥٢٠] نور الدين علي بن يحيى.
- ١٢٢----- ٢١٠- نجم الدين يوسف الرومي.

- ١٢٣ [٥٣١] عز الدين حسن بن على بن سنجر المسكى.
- ١٢٤ [٥٣٧] نجم الدين مهتا بن سنان.
- ١٢٥ فصل فى ذكر قضاتنا و أئمتنا.
- ١٢٥ اشارة.
- ١٢٥ [٥٤١] سراج الدين عمر.
- ١٢٦ [٢١٤- شرف الدين السنجارى [٥٥٠]].
- ١٢٧ [٥٦٠] أبو فليته: قاسم بن المهتا.
- ١٢٧ [٥٦٢] على بن سنان.
- ١٢٨ [٥٦٥] أبو العباس أحمد الفاسى.
- ١٢٩ [٥٦٦] علم الدين يعقوب بن جمال القرشى المتقدم ذكره.
- ١٢٩ [٥٦٧] بهاء الدين سلامة المصرى.
- ١٣٠ [٥٧١] شرف الدين أبو الفتح محمد بن القاضى.
- ١٣١ [٥٧٧] أحمد الفاسى المراسنى.
- ١٣١ [٥٧٨] أبا العباس أحمد التادلى.
- ١٣٢ [٥٨٢] جمال الدين المطرى فى الحكم و الخطابة و الإمامة.
- ١٣٢ [٥٨٤] تقى الدين عبد الرحمن بن جمال الدين.
- ١٣٣ [٥٩٢] بدر الدين حسن بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن القيسى الشافعى المصرى.
- ١٣٣ [٥٩٥] شمس الدين أبو عبد الله محمد بن زكى الدين.
- ١٣٥ [٦٠٣] بدر الدين إبراهيم بن أحمد بن عيسى القرشى المخزومى المعروف بابن الخشاب.
- ١٣٦ [٦٠٨] تاج الدين محمد بن عثمان الكركى.
- ١٣٧ [٦١٧] شمس الدين محمد بن سليمان الشهير بالحكرى [٦١٨] المصرى الشافعى.
- ١٣٧ فصل [فى ذكر أمراء المدينة و مدة ولايتهم].
- ١٣٧ اشارة.
- ١٣٧ [٦٢٣] عز الدين جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا.

- ١٣٨ [٦٢٥] شيحة متوليا على المدينة]
- ١٣٨ [٦٢٩] صلاح الدين يوسف بن أيوب تغمده الله برحمته]
- ١٣٨ [٦٣١] الملك العادل نور الدين محمود الشهيد بن زنكي آق سنقر رحمة الله عليه.]
- ١٤٢ [٦٤٧] أسد الدين شيركوه]
- ١٤٢ اشارة]
- ١٤٥ انعطاف على ما تقدم من ذكر الأمير قاسم بن مهنا و ذريته]
- ١٤٥ [٦٦٠] عيسى على الولاية مدة]
- ١٤٥ [٦٦١] أبو الحسين منيف بن شيحة]
- ١٤٥ [٦٦٢] مالك بن منيف]
- ١٤٦ [٦٦٣] منصور،]
- ١٤٦ [٦٦٦] مقبلا و صاروا يحاصرون المدينة و لا يقدرن عليها]
- ١٤٨ [٦٧٠] كبيش بن منصور و كانت ولايته نحو سنة و خمسة أشهر، و لم تصف له تلك الأيام.]
- ١٤٨ [٦٧١] طفيل نائبا عن كبيش،]
- ١٤٩ [٦٧٢] ب صالح بن حديثه [٦٧٣] من آل فضل]
- ١٤٩ [٦٧٤] و بعمر بن وهيبه من آل مرا]
- ١٤٩ [٦٧٥] بعشاف بن متروك الزراق]
- ١٤٩ [٦٧٨] عجمي، و كان وزير طفيل يومئذ:]
- ١٤٩ [٦٧٩] على بن مبارك الحسامي [٦٨٠]
- ١٥٠ [٦٨٨] فضل بن قاسم]
- ١٥١ [٦٩٠] سعد بن ثابت بن جماز]
- ١٥١ [٦٩٣] هيمان بنت مبارك بن مقبل]
- ١٥٢ [٦٩٦] مانع بن على بن مسعود بن جماز]
- ١٥٢ [٦٩٧] جماز بن منصور ٢]
- ١٥٣ [٦٩٩] هبة بن جماز بن منصور]

- ١٥٣ [٧٠٠] زين الدين عطية بن منصور
- ١٥٤ فصل [في ذكر أحوال والد المؤلف و أخويه]
- ١٥٤ اشارة
- ١٥٤ [٧٠٤] أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل
- ١٥٧ [٧١٢] نور الدين أبو الحسن
- ١٥٧ [٢٥٦- سراج الدين الدمنهورى]
- ١٥٨ [٢٥٧- محمد رحمه الله تعالى]
- ١٦٤ فهرس الموضوعات
- ١٧١ فهرس مراجع التحقيق
- ١٩٥ تعريف مركز

تاريخ المدينة المنورة ابن فرحون

إشارة

نام كتاب: تاريخ المدينة المنورة / ابن فرحون، قاهره
 نويسنده: ابن فرحون، عبد الله بن محمد
 تاريخ وفات مؤلف: ٧٦٩ هـ. ق
 محقق / مصحح: عمر، علي
 موضوع: جغرافياى شهرها
 زبان: عربى
 تعداد جلد: ١
 ناشر: مكتبة الثقافة الدينية
 مكان چاپ: قاهره
 سال چاپ: ١٤٢٧ هـ. ق

[مقدمة التحقيق]

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤلف الكتاب هو: أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي القاسم فرحون بن محمد بن فرحون اليعمرى التونسى الأصل، المدنى المولد و المنشأ [١].

قرأ القرآن على الشيخ أبى عبد الله القصرى المقرئ و روى عنه.

و سمع الحديث بالمدينة على والده، و على أبى عبد الله محمد بن حريث البنسى ثم السبتي، خطيب سبتة و فقيها و غيرهما كثير. و سمع بمكة من الشيخ: رضى الدين الطبرى، و خرّج له الفقيه المحدث شرف الدين بن بكر المصرى - نزيل مكة - مشيخة كبيرة حافلة مشتملة على ذكر شيوخه و مروياته.

أخذ علم الفقه و العربية عن والده؛ و كان من كبار الأئمة الأعلام، و مصايح الظلام، عالما بالفقه، و التفسير، و فقه الحديث و معانيه، و كان يقول:

لازمت تفسير ابن عطية حتى كدت أحفظه.

و كان بارعا فى علم العربية، و تأليفه فيها شاهدة له بذلك، و لما لقيه الشيخ أثير الدين أبو حيان شيخ عصره، و إمام وقته فى العربية، و وقف على كلامه فى إعراب بانة سعاد، قال: ما ظننت أنه يوجد بالحجاز مثل هذا الرجل، و استعظم علمه، و أثنى عليه، و كان ابن فرحون يقول: اشتغلت فى علم العربية، و أنا ابن ثمانى عشرة سنة.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٤

و كذلك أثنى عليه المجد الفيروزابادى فى كتابه المغانم المطابة ٣/ ١٢٥، بقوله: و أول من رأيت، و وقع نظرى عليه من أهل العلم بالحرم الشريف و ذلك فى حوالى الخمسين و السبعمائه فشاهدت منه طود و قار، و عليم علم لا يهتدى إلى تيار مائه اختفار، و غزارة فضل للناس ...

و كانت مشاركته فى أصول الدين مشاركة حسنة، و حدث و درّس بالحرم النبوى و أفاد أكثر من خمسين سنة، و انفرد آخر عمره

بعلو الإسناد، و لم يكن بالمدينة أعلى سندا منه، و إليه انتهت الرياسة بالمدينة المنورة.

و كان كهفا لأهل السنة، يذب عنهم، و يناضل الأمراء و الأشراف، و انتهى به ذلك إلى أن امتحن و رصد في السحر في طريق الحرم؛ فظعن طعنة عظيمة أريد بها قتله، فصرف الله عنه شرها، و عافاه منها.

و كان عليه مدار أمور الناس بالمدينة النبوية، و ناب في القضاء نحو أربع و عشرين سنة، و أمّ في المحراب النبوي بعض الصلوات، و دعى إلى أن يقوم بالخطابة و الإمامة نائبا فامتنع؛ إعظاما للمقام النبوي.

و كان كثير التلاوة ليلا و نهارا، خصوصا في آخر عمره، حتى إنه شوهده في أيام الموسم و الناس في أشد ما هم فيه من الاشتغال، و هو مشغول بورده في التلاوة، لا يقطعه عنه شيء.

و كان يحيى غالبا الثلث الأخير من الليل بالصلاة و التلاوة مع حدائثة سنة إلى أن ثقل بمرض الموت.

و كان مواظبا على الصلوات في الصف الأول من الروضة النبوية نحو ستين سنة، و ما يفتح باب الحرم في السحر إلا و هو على الباب، و حجّ نحو خمس و خمسين

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٥

حجة و لم يخرج من المدينة إلا إلى مكة المشرفة للحج إلى أن مات بالمدينة.

و كان ممن جمع الله تعالى له العلم و العمل، و الدنيا و الدين، فكان أعظم أهل المدينة يسارا، و أكثرهم عقارا، و أوسعهم جاها، و أنفذهم كلمة، و أعظمهم حرمة، و ألينهم عريكة، و أحسنهم بشاشة و بشرا، صبورا على الأذى، يجزى بالحسنه السيئه، و يسع الناس بخلقه، و يواسى الفقراء بمعرفه، و يصل أعداءه ببره، و يحفظ من مات منهم في ذريته. و بهمته و سياسته أزال الله تعالى أحكام الطائفة الإمامية من المدينة، فعزلت قضاتهم، و انكسرت شوكتهم، و خمدت نارهم، و ذلك أنه لما باشر الأحكام نيابة عن القاضي تقي الدين الهوريني في سنة ست و أربعين و سبعمائة، سعى في عزل قضاتهم؛ فنودي في شوارع المدينة بتبديل أحكامهم، و الإعراض عن حكّامهم.

فكان ذلك أول أسباب قوة أهل السنة، و علو أمرهم، و كم له من حسنات في تمهيد إعزاز السنة، و إخماد البدعة!!

و له تأليف عديدة في أنواع شتى، ذكر كثيرا منها ابن أخيه البرهان بن علي في طبقات المالكية له.

و ترجم له السخاوي في التحفة اللطيفة ٢/ ٤٠٣ ترجمة حافلة.

و قد ظلّ ابن فرحون لفترات طويلة تجاوزت عصره من أبرز وجوه المدينة الفكرية لدى مؤرخي المدينة و غيرهم، و قد تجلّى ذلك حين اعتمدت المؤلفات اللاحقة على كتاباته إلى حد بعيد.

فاستعان الفاسي (ت ٨٣٢هـ) بكتابات ابن فرحون في كتابه: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٦

كما نقل عنه ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.

كما أفاد منه السخاوي (ت ٩٠٢هـ) في التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، فنقل معظم مادته الخاصة بالمدينين نقلا حرفيا.

كذلك أفاد منه السهودي (٩١١هـ) في كتابه (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى).

و كتاب (نصيحة المشاور في تسليّة المجاور) الذي تقدم له اليوم عنوانه هكذا كما جاء في طرة المخطوطة التي اعتمدت عليها و لم ألتفت للعنوان الذي أثبت على غلاف طبقات الكتاب من قبل و هو: (نصيحة المشاور و تعزية المجاور).

و حينما شرعت في تحقيق هذا الكتاب رجعت إلى نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٦ ش تاريخ تمت كتابتها في شهر ذي القعدة سنة ١٠٩٣ هـ تقع في ١٥١ ورقة، في كل صفحة ١٩ سطرا، و في حواشها ما يشير إلى قراءتها و مقابلتها.

كما أنى تخيرت مما طبع نسخة قريبة من الصحة: النسخة المطبوعة بدار المدينة المنورة سنة ١٩٩٦، على الرغم مما بها من تصحيقات

و تحريفات في بعض المواضع.
هذا وقد جعلت من منهجى في هذا الكتاب ألا أسرف في التعليق أو أستطرد في الشرح و التفسير إلا بالقدر الذى يعين على فهم النص و به تستقيم العبارات؛ محاولا أن يبدو الكتاب فى أقرب صورة من نسخة المؤلف.

القاهرة فى جمادى الآخرة ١٤٢٦ هـ

أغسطس ٢٠٠٥ م

د/ على عمر

[نماذج من صور المخطوط]

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٧

[مقدمة المؤلف]

إشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أذلّ بالعلم رقاب أهل الجهل، و كسر بصدمته كلّ بارد الشكل سخيّف العقل، و جعل اليد العليا لمن اتبع هدى المصطفى صلى الله عليه و سلم و شرف و كرم، أحمده على ما خوّل من النعم، و دفع من النقم، و أصلى على خير أنبيائه صلاة دائمة بدوامه، كفيلاً بفضلله و إنعامه، و بعد:

فإن الله تعالى رفع أهل العلم بما علمهم، و شرفهم بما وهبهم، من معرفة كتابه و سنّة نبيه صلى الله عليه و سلم، ثم عظم لهم الأجر بما سلّط عليهم من جهلة الناس - نعوذ بالله من الوسواس الخناس - تجدهم يحرصون على هضم جانب العلماء، و لو تمكّنوا لأبادوهم عن آخرهم بسعيهم عليهم و توقع هلكهم [٢]، كل ذلك لأجل قيامهم عليهم بالحق عند خلافهم الشرع، و ما هذه إلا بليّة، و فتنة جاهليّة، قدّرها الله تعالى على العلماء الذين هم ورثة الأنبياء.

قال على - رضى الله عنه:

كل امرئ قدره ما كان يحسنه و للرجال على الأفعال أسماء

و ضد كل امرئ ما كان يجهله و الجاهلون لأهل العلم أعداء

فى أبيات له - رضى الله عنه - هذا فى زمانه، و لا - شك أن زمانه خير من زماننا، و من زمان من قبلنا، لكن جهل زماننا مرّكب من جهلين: يجهلون، و يجهلون أنهم يجهلون.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٨

و لبعضهم [٣]:

إذا كنت لا تدرى و لم تك بالذى تسائل ذا علم فى ضيعة العمر!

و من أعظم الأشياء أنك جاهل و أنك لا تدرى بأنك لا تدرى

تراهم لباس الفضلاء يلبسون، و بالحدس و التخمين يفتون، و يقولون ما لا - يفعلون، هيل يشي توى الذين يعلمون و الذين لا - يعلمون

(الزمر: ٩.

واعلم- أرشدنا الله و إياك- أن من سعى على العلماء بجهل و عناد؛ ليخمل ذكرهم، و يسقط كلمتهم و أمرهم و نهيمهم، فهو بلا شك إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان، و يكفيه ذلك عند الله هوان.

و أما من ظنّ في نفسه أهلية الأمر بالمعروف، و النهي عن المنكر- و لم يره الناس لذلك أهلا- فلا يترك قوله أصلا، حتى يظهر حجته، و يبدي صفحته، فإما أعذر فنجأ، و إما أسره الحق فارتدى، و ما أحقه بالتعزير و الهوان الشديد.

قال مالك[٤]- رحمه الله: لا خير فيمن يرى نفسه بحالة لا يراه الناس لها أهلا.

و قال: ليس كل من أحب أن يجلس في المسجد للحديث و الفتيا جلس؛ بل حتى يشاور أهل الصلاح و الفضل، و علماء تشير إليه جهة المسجد، فإن رأوه أهلا لذلك جلس، و ما جلست حتى شهد لي سبعون شيخا من أهل العلم أنى أهل لذلك[٥].

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٩

[كلام المؤلف حول وضع علامة في المسجد لمكان العالم و المفتي و حجز الامكنة]

و لما بلغني عن بعض المتعصبة من المتفقهة، و عن جماعة من أهل الشر متعددة، إنكارهم وضع حجر أو أحجار بالمسجد الشريف، وضعت علما على موضع حاكم، أو مفت، أو عالم و لم أر معه صوابا، و لا كان لفضوله يستحق جوابا، أردت أن أبدى ما عندي في ذلك.

و ما ذكره الزواة عن الإمام مالك- رضى الله عنه- ليكون عدّة لأهل العلم إذا عوندوا، و حجة لهم إذا بوحثوا، و أضيف إلى ذلك شيئا من أحوال من كنت في زمانه من المشايخ الصلحاء، و الأكابر العلماء، و الخدام الأرقاء، و أسمى من حضرني اسمه، و شيئا من كراماته؛ ليحيا بها ذكره، و ينشر بها علمه، و ألحق بذلك أشياء حسنة من تاريخ من كان قبلنا من الثقات يرتاح إليها من سمع لها و لم يقف على صحه نقلها، فيجدها هنا و عسى أن يقف على ذلك منصف، فيتصف بأخلاقهم السنية، و يتأدب بأدابهم العلية.

قال علماؤنا- رضى الله عنهم:- يستحب اتخاذ موضع من المسجد للقاضي و العالم و المفتي؛ حتى إليهم ينتهي المستفتى، و بذلك قال علماء الحنفية.

قال مؤلف (الاختيار في شرح المختار): و يجلس للقضاء جلوسا ظاهرا في المسجد؛ لأن رسول الله صلى الله عليه و سلم، كان يفصل بين الخصوم في المسجد، و كذا الخلفاء الراشدون من بعده، و دكّة على بن أبي طالب- رضى الله عنه- في مسجد الكوفة إلى الآن معروفة.

قال صلى الله عليه و سلم: «إنما بنيت المساجد لذكر الله تعالى و للحكم»، و لثلا يشته على الغرباء مكانه، انتهى كلامه.

و نقل القاضي عياض- رحمه الله تعالى- عن ابن المنذر أن مالكا كان له

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٠

موضع في المسجد قال: و هو مكان عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- و هو المكان الذي كان يوضع فيه فراش النبي صلى الله عليه و سلم إذا اعتكف، كذا قال الأويسى.

و نقل أهل السير: أن النبي صلى الله عليه و سلم كان إذا اعتكف في رمضان طرح فراشه وراء أسطوانة التوبة، و روى الطبراني في معجمه عن ابن عمر- رضى الله عنهما- أن ذلك مما يلي القبلة يستند إليها.

و في كتاب (إقليد الإقليد المؤدى إلى النظر السديد) من كلام الشيخ الإمام الحافظ أبي بكر محمد بن أحمد بن حمزة: إن اتخاذ العلماء المصاطب و المنابر جائز في المسجد للتعليم و التذكير، و هم أحق بها.

و مما رويته بسندى إلى الزبير بن بكار قال: حدثني محمد بن إسماعيل قال:

رأيت ظنفسه كانت لعبد الله بن الحسن بن الحسين تطرح قبالة المنبر على مرمر كان هناك، قال: فحسب عبد الله بن الحسن سنة أربعين ومائة، وبقيت الظنفسه بعده أياما، ثم رفعت، ثم إن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب -رضى الله عنهم- أيام كان واليا على المدينة عام خمسين ومائة، عمل المرمر في جوانب المسجد حتى ألحقه بالسوارى، فسأله أبو مودود عبد العزيز بن أبي سليمان أن يدع له مصلى فتركه.

قلت: وهذا كله يدل على أن التابعين فمن بعدهم كان لهم من المسجد أماكن يختصون بها، ويحافظون على بقائها برسمها؛ لتكون باسمهم؛ لفضلهم و علمهم.

و روينا بالسند الصحيح إلى ابن عمر -رضى الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اعتكف يطرح له وسادة، ويوضع له سرير من جريد فيه سعف يوضع له

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١١

فيما بين الأسطوانة التي وجاه القبر وبين القناديل، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضطجع عليه.

قال أبو وجزء السعدى، وهو يذكر السرير، ويمتدح آل الزبير لقربهم منه محلاً:

و إذا غدا آل الزبير غدا الندى و إذا انتدوا فإليهم ما ينتدى

و إذا هموا راحوا فإنهم هموا أهل السرير و أهل صدر المسجد

قال القرطبي في تفسير "المجادلة": "القاعد في موضع من المسجد إذا قام لغيره، و كان قيامه في موضع مثل الأول يسمع فيه كلام الإمام لم يكره له ذلك، و إن كان أبعد من الإمام كره له ذلك؛ لأن فيه تفويت حظه من القرب، و إذا أمر إنسان إنساناً أن يبكر إلى الجامع فيأخذ له مكاناً يقعد فيه لا يكره، فإذا جاء الأمر يقوم المأمور من المكان.

و روى أن ابن سيرين كان يرسل غلامه إلى مجلس له في يوم الجمعة فيجلس فيه، فإذا جاء قام له منه، قال: و على هذا من أرسل بساطاً أو سجادة تبسط له في موضع من المسجد.

روى مسلم عن أبي هريرة -رضى الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قام أحدكم...» و في حديث أبي عوانة: «من قام من مجلسه ثم رجع إليه، فهو أحق به».

قال علماءنا: هذا يدل على صحة القول بوجوب اختصاص الجالس بموضعه إلى أن يقوم منه؛ لأنه إذا كان أولى به بعد قيامه فقبله أخرى و أولى، و قد قيل: إن ذلك أولى، و قد قيل: إن ذلك على الندب؛ لأنه موضع غير

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٢

متملك، لكنه يختص به إلى أن يفرغ غرضه منه، فصار كأنه تملك منفعتة، إذ قد منع غيره من مزاحمتة.

و قال في "الإقليد": "و ما في جوامع مصر من ذلك مما لم ينكره أهل العلم، دليل على ذلك، فأما ما وضع منها لطلب الأجرة كالمعلمين، فلا يكونون أحق بها، بل ينبغي إزالتها، و كذلك إن وضع للعالم في الموضع حصير فهو أحق بذلك الموضع، و إن تأخر حتى سبقه غيره، و يراعى في ذلك حق من يقصد العلماء فيجدهم في مكانهم.

و في "الموطأ": "أنه كانت ظنفسه توضع لعقيل [٦] بن أبي طالب -رضى الله عنه- يوم الجمعة تحت الحائط الغربي فإذا غشيها الظل يخرج عمر -رضى الله عنه- فيخطب؛ و هذا يرسخ ما تقدم.

قال الباجي -رحمه الله- في كلامه على حديث صفوان مع السارق لردائه:

قال ابن القاسم في "العتبية": "فمن سرق من بسط المسجد التي توضع فيه في رمضان فإن كان عندها صاحبها قطع.

قلت: و هذا يدل على أن السلف كانوا يضعون البسط في المسجد في رمضان؛ ليحفظوا بها أماكن صلاتهم.

قال القاضي أبو بكر في قوله عليه الصلاة والسلام: «منى مناخ من سبق إليه برحله»، دليل على ما يفعله الصوفية اليوم من تقديم سجاجيدهم إلى المسجد ليحفظوا أماكنهم للصلاة.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٣

و عن مالك- رحمه الله- أنه كان يقول: إذا ارتسم موضع من المسجد برجل فهو أحق به، و على هذا أكثر العلماء.

قال صاحب "الإقليد": "و مما يدل على ذلك العامود المخلق الآن في المسجد النبوي، و عنده كان جلوس النبي صلى الله عليه و سلم، و من كان له موضع من المسجد معلوم يجوز أن يخرق الصفوف إليه إذا تأخر.

و نقل القاضي عياض في "المدارك" أن سحنون إمام المالكية في زمانه لما ولي القضاء، و كثر عليه الناس، أمر ببناء بيت في المسجد لنفسه يحكم فيه، فكان لا يحضر عنده إلا الخصمين، و من يشهد بينهما.

و قال في "الإكمال" عند قوله صلى الله عليه و سلم: «إذا قام أحدكم من المسجد، ثم رجع إليه فهو أحق به إذا قام لحاجة»: اختلف في معناه.

فقال محمد بن مسلمة: يحمل الحديث على مجلس العالم إذا قام لحاجته، فهو أحق به، و اختلف فيمن رسم من العلماء و القراء موضعا من المسجد للتدريس و الفتيا.

فحكى عن مالك- رحمه الله عليه:- أنه أحق به إذا عرف به.

قلت: و ما يقوى ذلك ما كان في زمانه صلى الله عليه و سلم، من أمر الصفة و أهلها، و اختصاصهم بها، و كانت في أواخر المسجد. و مما يرسخ هذا وضع أزواجه صلى الله عليه و سلم- رضى الله عنهن- أخبيتهن بالمسجد حين أردن الاعتكاف، و لم ينكر عليهن صلى الله عليه و سلم وضعها، و إنما خشى عليهن الغيرة التي بينهن من الحرص على القرب منه، فلا تسلم لهن نية الاعتكاف.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٤

فقال صلى الله عليه و سلم: «البرّ ترون بهن» فمنعهن جميعهن.

و مما امتاز به العلماء ما نقله الشيخ أبو الحسن اللخمي عن ابن حبيب قال:

و أرخص مالك- رحمه الله عليه- للعالم إذا كان مجلسه في مؤخر المسجد- أو وسطه- أن يصلى في موضعه مع أصحابه و إن تقدمتهم الصفوف.

قلت: و إنما قال ذلك مع قوله صلى الله عليه و سلم: «خير صفوف الرجال أولها و شرها آخرها»؛ لأنه إذا تقدم عن الجماعة و تركهم لم يسهل عليه تخليفهم، و إن ذهب هو و هم إلى الصف المتقدم قبل الصلاة انقطع اشتغالهم، و إن اشتغلوا فيه شوشوا على المصلين، و إن تقدموا بعد إقامة الصلاة كان سعيهم من آخر المسجد إلى أوله عمل و الإمام يصلى، و ربما فاتتهم الركعة الأولى، فأرخص لهم في ذلك.

و مما ترشح به مسألتنا ما ورد في صحيح البخارى في حديث الوليدة التي اتهمت بالوشاح: فقالت عائشة- رضى الله عنها: كان لها خباء في المسجد، أو حفش، و هو البيت الصغير.

و في البخارى أنه عليه الصلاة و السلام ضرب لسعد خيمة في المسجد حين أصيب يوم الخندق في أكحله؛ ليعوده من قرب.

و من ذلك أيضا بناء المقصورة في أيام عبد الملك، و المتولى على عمارتها عمر ابن عبد العزيز، فاقتطع لها قطعة من قبله المسجد لما أراد حفظ والى المدينة من الغيلة.

و قد ذكر ابن رشد في "البيان و التحصيل" أن مروان بن الحكم فعل معه كما فعل مع عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- فأراد اليماني قتله في صلاة

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٥

الصباح، فأمر بمقصورة يصلى فيها و يتحصن بها، فلما دعت الضرورة إلى قطع جانب المسجد جاز ذلك للحاجة إليه، ثم لم تزل حتى احترقت بحريق المسجد فى ليلة الجمعة أول شهر رمضان من سنة أربع و خمسين و ستمائة، و منها بقيت أثرا إلى الآن. و من ذلك بناء القبة التى فى صحن المسجد الشريف، عمّرها الإمام الناصر لدين [٧] الله لحفظ حواصل الحرم، و المصحف الكريم العثمانى و عدة صناديق كبار متقدمه التاريخ صنعت بعد الثلاثمائة، و كانت عمارتها سنة ست و سبعين و خمسمائة، و جميع ما فيها سالم إلى اليوم، و قد سلمت من الحريق ببركة المصحف الكريم، و لكونها متوسطة فى المسجد، و من ذلك الدكة الخشب التى يبلغ عليها المؤذنون خلف الإمام.

و مما يشيد بناء هذه المسألة و يقوى أركانها، إباحة العلماء المالكيين التعزير فى المسجد الشريف، و إنما ذلك تيسير للحكام لئلا يتكلفوا الخروج عند إقامة الحدود، مع العلم بما يجب للمسجد من التنزيه عما هو أقل من هذا، مثل رفع الصوت بالعلم، بل أدنى من ذلك، حتى قيل: لا توقد فيه النار، لكنهم راعوا المصلحة العامة، و رأوا أن المسجد بنى للشرع و أهله، و لم يبن لغيره. ثم يرجع الكلام مع هذا الذى تصدى للإنكار و الإفتاء، هلا أنكر (عليه [٨] غير مجلس الحكام من مجالس لغيره نصبت، و متكآت خصصت، و بالفضة بيّضت، و دكاك عند الأبواب، و مواضع من المسجد محجزة، و خلوات مبتدعة؟ تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٦

لو تكلم فى جميعها لساعده الخلق، و شكره الحق، بل تكلم بالهوى، و من اتبع هواه فقد غوى. ثم إنه لم ينكر الحجر المرأة الذى عن قريب وضع، و أثبت فى الحائط من داخل المسجد و جصص، و هو من البدع المنكرة، يستدعى شرورا متعددة، و منكرات متجددة، و لا يسع ذكرها هنا لكثرة تعدادها.

ثم هذا الحجر الذى وقع فيه الكلام، وضعه متقدم، وضع فى زمن غير هذا الزمن، فإن خفى عليه ذلك، فليسأل عن ذلك من سبقه من أهل ذلك الزمان الذى هو خير الزمنين، و أعدل القرنين، و إنما غير اسمه، و رفع علمه، لما ذهب أهله، و من كان يجلس عنده، و يستند إليه، مثل القاضى سراج الدين و مثل الشيخ عبد العزيز الجبرتي الذى كان للقرآن تاليا، كان يجلس إليه إذا دخل المسجد سحرا فيرفع صوته بالقراءة بحسن نية و أداء حسن عن روية.

و إنما العلة فى هذا المنكر غمة من العلم و أهله، و ما وهبوا من بذله و نشره، و رأى أن رفع أهل العلم عيب فيه، و علم على كونه ليس من أهله، و فى مثل هذا أنشد بعضهم: إذا محاسنى اللاتى أدلّ بها صارت ذنوبا فقل لى كيف أعتذر

[كلام المؤلف حول المنارتين الشماليتين]

و ما أحق شىء بالإزالة ما أحدث بالمنارتين الشماليتين، قدم باباهما على بايها الأصليين، و جعل ما بين البابين فى كل منارة خلوة اقتطع بها جانب من المسجد كبير، لا شك فى تحريمه و وجوب تغييره، و قد تساهل من كان قبلنا فزادوا على الحجرة الشريفة مقصورة كبيرة، عملت وقاية من الشمس إذا غربت، فكانت بدعة و ضلالة يصلى فيها الإمامية من الشيعة؛ لأنها قطعت الصفوف، و اتسمت بمن ذكر من الصنوف، فغلبت المفسدة بها، و ندم على ذلك من وضعها.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٧

و لقد كنت أسمع الشريف عزازا [٩] يقف على بابها، و يؤذن بأعلى صوته من غير خوف و لا فزع [١٠] حتى على خير عمل [١١] و كانت مواطن تدريسهم و خلوة علمائهم، حتى قبض الله لها من سعى فيها، فأصبحت ليلة مملعة أبوابها، معوجة أخشابها، متصله صفوفها، و أدخل بعضها فى الحجرة الشريفة، و جعل فيها الباب الشامى، و كان فى ذلك مع زيادة الرواقين اللذين [١٢] زادهما الملك الناصر جملة مصالح و دفع مفسد، فلذلك سكت أهل العلم، و لم يعدوا ذلك من تحجير المسجد و تضييقه.

[كلام المؤلف حول السقاية التي كانت في وسط المسجد]

و لقد كان في وسط المسجد سقاية يحمل إليها الماء من العين، بناها شيخ الخدام في ذلك الوقت، و أوقف عليها أوقافا من ماله، و كانت متقدمة على النخل، تقديرها خمسة عشر ذراعا في مثلها، و جعل في وسطها مصرفا للماء مرخما، و نصب فيها مواجير للماء و أزيارا، و دوارق و أكوابا، حجرها بالخشب و الجريد، و جعل لها علقا من حديد، و استمرت السنين العديدة، فكثر الشر فيها و التراحم عندها، و صار يدخلها من يتوضأ فيها، و ربما يزيل عنه فيها الأذى من استقرب المدى.

ثم تعدى الحال في شرها إلى أن تضرب عليها بالسلاح، و طلب الخدام شريفا أساء على أهل الحرم، فسل سيفه على الناس، و غلقت الأبواب، و احتفى بالسكين حتى جاءت رسل الأمير فأخرجوه، و ذلك كله بسبب السقاية و من فيها.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٨

فلما غلبت مفسدتها على مصلحتها، أزيلت عن اجتماع من القاضى شرف الدين الأميوطى و الشيخ ظهير الدين، فانظر هذا التحجير الكثير في وسط المسجد كيف اغتفر للمصلحة حتى كثرت المفسدة، و تعدت فأزيلت.

[كلام المؤلف على البدع التي أحدثتها الإمامية حول الحجر الشريفة]

و مما أدركت من البدع التي أراح الله منها، ما كان يفعله الشرفاء من آل سنان و غيرهم، كانوا إذا أظل الحاج يسارعون إلى الحجر بصناديق و كراسى ينصبونها حول الحجر الكريمة يتخذونها مقامات، يجلسون عليها للتزوير عند الصندوق الذى يقابل رأس النبي صلى الله عليه و سلم واحد، و عند المسمار الذى فى الرخام اليوم واحد، و عند أبى بكر الصديق -رضى الله عنه- واحد، و عند بيت فاطمة -رضى الله عنها- واحد، و عند المحراب الذى فى الحجر واحد، لا يقدر أحد أن يشاركهم فى مناصبهم، و لا ينفصل عنهم الزائر إلا بشيء، و إن كان معه شمع أو ماء ورد، أو هديء أو نذر، فهم الآخذون له يجعلونه فى صناديقهم بدعا مقرونة بجاه الولاة من الشرفاء.

لم يزل كذلك حتى قويت السنّة و أهلها، و اتفقت الجماعة كلها على قاضيتها و شيخها، فزال ذلك ببركة نبينا صلى الله عليه و سلم، و إنما ذلك بسبب اجتماع الكلمة، و حسن النية، و فقتنا الله لما يرضيه، و رضانا بما يقضيه، و زال ببركة الاجتماع أشياء كثيرة من هذه الأنواع.

منها:

أنى أدركت قراء الإمامية و أنمتها إذا دخل شهر رمضان أخذوا من القبة شمعا و شمعدانات على عددهم ينصبونها بعد صلاة العشاء الآخرة فى مجالسهم، و يدعون فى كتبهم، و يرفعون أصواتهم حول الروضة و الناس فى الصلاة لا يعلمون صلاتهم من رفع أصواتهم و لا يسمعون قراءة إمامهم؛ لكثرة

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٩

قرائهم و يجتمع عليهم من الناس خلق كثير، و يتخللون تلك الأدعية بسجديات لهم مؤقتة، و لم يزالوا كذلك إلى أن اجتمعت الكلمة، و ظهر الحق؛ فمنعوا من ذلك إلا فى بيوتهم و مجالسهم، فانحسنت المادة، و زالت تلك العادة.

و لقد أدركت جماعة من المجاورين و الخدام لا يقرءون كتبهم، و لا يسمعون حديث نبينهم إلا خفية، حتى قدم صاحب ابن حنا- رحمه الله تعالى- و أقام بالمدينة فكثرت من قراءة المواعيد، و قام على آل سنان و القياشين، فهابوا مكانه من السلطان، و أذعنوا و استعملوا التقية حتى رجعوا فيما زعموا كلهم سنّة.

[كلام المؤلف على صلاة الرغائب و إنكاره لها]

و كان يأتيه من الينبع قوافل بالدقيق و القمح و الأرز، و أنواع الحبوب، فيعطى منه الخدام و المجاورين، و يمد رؤساء الإماميين و كبار الشرفاء المقيمين، حتى أشهدوا على أنفسهم أنهم سنّة، و لا يحكمون بأحكام البدعة، و كان الأحكام منهم و الفقهاء منهم، و لم يزالوا كذلك حتى سافر صاحب عنهم؛ فرجعوا إلى حالهم، و لكن بعد هضم جانبهم و كسر شوكتهم، فاستمرت المواعيد و القراءات و الاستماعات و السماعات، و ذهب ببركة إقامته كثير من البدع المؤسسة في المسجد الشريف، منها: صلاة الرغائب التي روى أنها تصلى ليلة أول جمعة من شهر رجب.

أدركت القاضي سراج الدين الآتي ذكره يصلحها في جماعة في الروضة المشرفة، بلا تكبير، و لا معارض، و سنده في ذلك ما رواه فيها و أخذ به كثير من الصوفية، و قد نصّ العلماء على أنها من البدع و إن كانت من فضائل الأعمال المسندة لحديث ضعيف، لكنه عارض العمل به بقوله صلى الله عليه و سلم: «لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام، و لا يومه بصيام» و رحمه الله و جزاه خيرا.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٠

و في إقامته بالمدينة توفيت زوجته في شهر رجب، و هي بنت الشيخ ابن أبي حمزة، و قيل: إنها ورثت سر الشيخ والدها نفعنا الله به، و حملت من المدينة إلى عمّ رسول الله صلى الله عليه و سلم سيد الشهداء، و دفنت عند شهداء أحد-رضى الله عنهم- و قبرها معروف يزار للبركة-رحمها الله-

و أما صاحب زين الدين، فكانت وفاته بمصر سنة أربع و سبعمائة، و كان في الزمن الأول مقرئ الحرم و رئيسه: الشرف [١٣] الموصلي محمد بن سعيد، فبلغني أن شريفا سمع يوما ابن سعيد [١٤] يقرأ: و من أهل المدينة مَرَدُوا عَلَى التُّفَاقِ (التوبة: ١٠١). فضربه برجله و قال: قم يا عدو الله، كم تكذب على الله! و خوفه بالقتل حتى دخل على بعض الشرفاء فأمنه منه، و توفي محمد بن سعيد بمصر سنة تسع و تسعين و ستمائة.

فنحن اليوم في عافية و نعم من الله متتالية، ببركة هذا النبي الكريم صلى الله عليه و سلم، لو سلمنا من البغضاء التي يتحملها بعضنا في بعض، أزالها الله بالاجتماع و الموافقة على الكلمة السنية، و الشريعة العلية.

و إنما ذكرت هذه البدع- و إن لم تكن مقصودنا استرسالا عند ذكر ما ابتدع لمصلحة- ليعلم أن الحق يدوم بدوام الباعث عليه، و يزول بزواله، و لو طال زمانه و كثر أتباعه، و يعلم أن للاجتماع أثرا، و للتفريق أشرا، و لقد كان الأولى بالناس اليوم إنكار البدع المتعلقة بالصلاة التي هي عماد الدين.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢١

[كلام المؤلف حول ما أحدث من تقطيع الصفوف و تقديم من هو أهل للتقديم]

فمن ذلك:

ما أحدث في الصفوف من التقطيع، و تقديم من هو أهل للتأخير، و تأخير من هو أهل للتقديم، و تأديب من صلى وحده مع القدرة على الدخول في الصف.

قال ابن حبيب (من علمائنا): أدركت بالمدينة رجلا موكلين بالصفوف، فإذا رأوا رجلا يصلى خلف الصف وحده و في الصف له مدخل، تركوه حتى يفرغ من صلاته، ثم ذهبوا به إلى الحبس، و مذهب أحمد بن حنبل بطلان الصلاة، و لقد رأيت عن يمين الإمام و شماله أهل الصناعات الدنية، كالديباغ و الحداد و الجزائر، و من اشتهر منهم بقله الدين، و ذلك يتكرر منهم كثيرا، و يليه أيضا من جهة الفقراء من لا يفهم صلاته، و لا يعقل ما وجب عليه منها و فيها، و يترك الفقهاء و القراء في أطراف الصفوف، و خلف تلك الجلوف. و قد قال صلى الله عليه و سلم: «ليليني منكم أولو الأحلام و النهي».

قال القاضي أبو بكر بن العربي: ينبغي أن لا يصلى خلف الإمام إلا- من يصلح للاستخلاف، لما يتوقع من حاجة الإمام إلى من يستخلفه، أو يرد عليه، أو يصلح صلاته.

قال: ولو سبقه من ليس هو كذلك أقيلاً، وقدم إلى الإمام من هو أحق.

وأغرب من هذا كله أنه يأتي عامي أو جاهل إلى مكان عالم أو فقيه له يصلى فيه نحو العشرين سنة- أو أكثر منها- فيجلس فيه، فإذا قيل له: هذا موضع فلان، يقول: ليس في المسجد موضع لأحد، وأنا و هو في ذلك سواء، أين هذا المتعرض للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من هذه المنكرات الخفيات؟!

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٢

[كلام المؤلف حول ما يقع عند فتح أبواب الحرم الشريف في السحر]

ومن ذلك ما يقع عند فتح أبواب الحرم الشريف في السحر لصلاة الصبح من الزحمة والجري العظيم، وقله الأدب في تلك الحضرة الشريفة، وفي ذلك الوقت المبارك، والمضاربة والمشاتمة حتى إنهم ليقتل بعضهم بعضاً من شدة الخنق، ولقد أراد تكرر يان أن يقتل بالسكاكين في الروضة لأجل ذلك، وهذه المصيبة العظيمة تدفع بأيسر شيء، وهو لو كان قومه المسجد وأصحاب النبوة يفتحون للأول فالأول من الناس، ما حصل هذا البلاء العظيم ولكنهم يتركون الناس على الأبواب حتى تضيق أنفسهم، فيدخلون دفعة واحدة يحطم بعضهم بعضاً، وإثم ذلك على من منعهم، وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ (البقرة: ١١٤).

[كلام المؤلف حول السجاجيد التي تؤبد في المسجد]

ومن ذلك السجاجيد التي يؤبدونها في المسجد ليلاً ونهاراً، ولقد كنت أعرف خداماً موكلين بالسجاجيد كريحان الموصلي، إذا وضع أحد سجاده- وما كان أهلاً لذلك- أخذوها ورموها، ومتى غلبوا عليهم وكتروا، جمعوا السجاجيد وأخفوها حتى يحترق عليها صاحبها؛ فيردونها عليه ويتوبونه، ولقد أحرقت مرة على باب النساء، وما زالوا على سائر الأزمان يهتبلون بذلك اهتبالاً عظيماً، فإننا لله وإنا إليه راجعون!!

قال الشيخ أبو عبد الله القصرى- رحمه الله:- رأيت في المنام كأن ناراً استعرت في الروضة وهي تعمل في السجاجيد، وأنا أصبح: والله يا رب ما سجادتي من تلك السجاجيد!! وكان يحكى هذه الرؤيا في الميعاد، وكان- رضى الله عنه- يقول: إذا جئت إلى الروضة ولم أجد لي فيها مدخلا فرحت و سررت لما أرى من الحرص على الخير، وكان- رحمه الله- يقصد طرف الصف من جهة المنبر حتى يرفع البساط، ويصلى على الرمل.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٣

[كلام المؤلف حول علو الرمل في الروضة الشريفة]

ومن ذلك: علو الرمل في الروضة، ووضع بعضه على بعض، ولقد كنت دائماً أرى الشيوخ من أهل الخير ينفضون الرمل من الروضة ينسفونها نسفاً بالمساحي حتى يعلو ما حول المحراب من الرخام محافظةً على قرب مقام المأموم من الإمام في العلو، وبالغوا مرة في الحفر، فوجدوا يداً مقطوعة مكفنة مدفونة في الروضة، كأنها قطعت ظلماً، فأراد من هي منه أن تكون بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم، جهلاً منه وقله يقين بالله، فإن الله تعالى يعلم من ظلم فيكافيه، ومن ظلم فيجازيه، ومرة وجدوا إصبعاً مدفوناً تحت الشباك.

وما زال العلماء والأئمة يتخرجون من كون الحضرة منخفضة انخفاضها اليوم، فمن قائل بالكرهه، ومن قائل بالمنع، وقد اعتبرتها اليوم بالذراع فوجدتها ذراعاً بالرمل والبساط الذي علا عليها، وعلى ترخيمها، وفي المذهب قولان في صحة صلاة الإمام والمأموم،

و على هذا يجب القول بالمنع، و أما فى أيام القاضى سراج الدين فمن بعده إلى أيام شرف الدين، فإنهم كانوا يرفعون مقام الإمام بشىء من الرمل حتى تزول الكراهة و المنع.

و لما قام فى ذلك شرف الدين الأميوطى - رحمه الله - و أراد إزالة الخشب و ما حوله و طمس المقام أو رفعه، قام فى وجهه الخدام و كرهوا أن يتغير مقام النبى صلى الله عليه و سلم، و استعانوا على القاضى بالأشراف، فكفّ و انتقل عن المحراب، و صار يصلى إلى الأستوانة التى تقابل أستوانة الوفود، و لزمها إلى أن مات - رحمه الله.

ثم إن الخدام رفعوا الرمل الذى كان يرتفع به المقام فنزل بزواله، ثم جعلوا الرمل على الترخيم الذى حول المحراب، فارتفع مقام المأموم و انخفض مقام الإمام و اتضع، و صار من الفقهاء من يدفع الكراهة بما يحصل من القرب إلى مقامه صلى الله عليه و سلم و موقع قدميه، و يقول: فى هذا من الفضل ما يوازى لى ما فى ذلك

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٤

من النقصان، و هذه و الله أعلم، نزعة صوفية لا علمية و لا عملية، كذلك كل من رأته بحث فى هذه المسألة لا يصوب الانخفاض إلا لمعنى ليس من الشريعة، و ما أقرب قولهم إلى قلوب العامة و ضعفة الفقهاء، و أسرعه إليها!!

إذ يقال: ما يدنى من محل كان الرسول صلى الله عليه و سلم يصلى فيه و يجلس عليه، و يمس جبهته و يديه أحق بأن أمرغ وجهى عليه، و أملاً محاجرى من تراب قدميه، و هذا حق و كلنا نقول به و نحبه، و لكن الخير كله فى اتباع سنته، و ما أمر به، و ما حض عليه، و هو صلى الله عليه و سلم لم يكن موقفه من المأموم أخفض و لا أعلى، بل كان هو و أصحابه فى الموقف سواء، فمن خالف سنته بالهوى فقد غوى، بل التمادى فى المكروهات و البدع الموضوعات يعظمها و يصيرها كباثر، فمن قدر على التغيير و الإزالة فلم يفعل؛ يخاف عليه أن عمله لا يقبل، و أن الله تعالى عن ذلك منه يسأل، ثم إن القيام فى ذلك صار جانبا عن هذه المعانى، بل داخله حفظ النفس و التعصب فى صورة التعبد و التقرب - أعاذنا الله من حظوظ أنفسنا، و هادانا لما فيه صلاح ديننا، و ألف بين قلوبنا، برحمته و كرمه!!

[كلام المؤلف حول كتابة المصحف الشريف فى قبلة المسجد و ما يترتب على ذلك]

ثم مع ما فى المقام الشريف من الكراهة فى الانخفاض أضف إليه كتابة القرآن العزيز فى قبلة الإمام و المأموم، و لا خلاف بين الناس فى كراهة هذا حتى قيل ببطلان صلاة من قرأه و اشتغل به مع التزويق العظيم و التذهيب الأنيق الذى يشغل المصلى، و لو كان بالولاية متحلياً، ألا ترى كيف ردّ رسول الله صلى الله عليه و سلم الخميصة لما خاف أن يشغله علمها فى الصلاة؟ و قال: «ردوا هذه الخميصة على أبى الجهم، و اتنوني بأبجانيه أبى الجهم فإن علمها كاد يفتنى فى صلاتى».

و هذا إنما هو تعليم للأمة و تحذير لهم من أن يكون مثل هذا فى الجملة من

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٥

السنة.

و انظر إلى فعل أبى طلحة - رضى الله عنه - لما كان يصلى فى حائطه، فطار دبسى، فطفق يتردد يلتمس مخرجاً، فأعجبه ذلك فجعل يتبعه بصره ساعة، ثم رجع إلى صلاته، فإذا هو لا يدري كم صلى، فقال: لقد أصابتنى فى مالى هذا فتنة فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فذكر له الذى أصابه فى حائطه من الفتنة، و قال: يا رسول الله هو صدقة لله فضعه حيث شئت.

و فى "الموطأ" [١٥] أيضاً: أن رجلاً من الأنصار كان يصلى فى حائط له بالقف - واد من أودية المدينة - فى زمان الثمر [١٦]، و النخيل قد ذلت، فهى مطوقة بثمرها، فنظر إليها فأعجبه ما رأى من ثمرها، ثم رجع إلى صلاته فإذا هو لا يدري كم صلى!! فقال: لقد أصابتنى فى مالى هذا فتنة، فجاء عثمان بن عفان - و هو يومئذ خليفة - فذكر له ذلك.

و قال: هو صدقة فاجعله في سبيل الخير، فباعه عثمان بن عفان - رضى الله عنه - بخمسين ألفا، فسمى ذلك المال: الخمسين. و كم مثل هذا أثبتته السنّة خوفا من مثل هذه البدعة.

[كلام المؤلف على تزويق المسجد و زخرفته]

قال أبو الحسن اللخمي في "التبصرة": "قال مالك - رحمه الله عليه -: كره الناس ما فعل في قبلة المسجد بالمدينة من التزويق؛ لأنه يشغل الناس في صلاتهم، و أرى أن يزال كل ما يشغل الناس عن صلاتهم و إن عظم ما كان تاريخ المدينة المنورة / ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٦ أنفق فيه.

قلت: و إنما زخرف المساجد من زخرفها لمعنى قصدوه، لا - للزخرفة؛ لأن الوقت كان من الكفر و الجاهلية قريبا، فما كان يقوم للمسجد من التعظيم و التفخيم قبل ما صنع فيه ما يقوم له بعد ذلك، فأرادوا ذلك المعنى. و مما يدل عليه: أن جامع بنى أمية لما بنى على هيئته اليوم بالفسيفساء و لى عمر بن عبد العزيز، كره أن يكون المسجد على هيئة تشغل المصلى، فأمر بأن تستر القبلة و الجدار بالقباطى، ثم قدم الشام راهبان فسألا عن الكشف حتى ينظرا إليه، فأرسلا إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يسألانه فى ذلك، فأذن لهما، فلما رأياه استعظما ذلك، و دخل عندهما من ملك الإسلام رهبة و عظمة، فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز.

فقال: أرى ما هناك يغيظهما و يكتبهما [١٧]، ارفعوا القباطى فرفعوها. و أما ما يتأوله بعض الناس أن الزخرفة مأذون فيها من قوله عليه الصلاة و السلام: «لا تقوم الساعة حتى تزخرف المساجد» فهو غلط بين؛ لأنه صلى الله عليه و سلم عد هذا من الأشياء التى تدل على فناء الدين و ذهاب من يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر. فقال: «من أشرط الساعة أن تزخرف المساجد كأنها البيع و الكنائس» و إنا لله و إنا إليه راجعون!! ذهب الرجال العاملون بعلمهم و المنكرون لكل أمر منكر و بقيت فى خلف يزين بعضهم بعضا ليدفع معور عن معور

تاريخ المدينة المنورة / ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٧

و ما أشين البدعة فى مثل هذه الحضرة التى عرض على النبى صلى الله عليه و سلم تزيينها و رفع جذوعها، فقال: «بل عريش كعريش أخى موسى».

أما ما فعل من ذلك لضرورة أو لعذر ما، فيكاد أن يغتفر منه شىء ما وجد مبتدعه لبدعته عذرا إن خفف من ذلك قدرا، و إنما الميزان القويم، و القسطاس المستقيم، فى اتباع هذا النبى الكريم، فالناس اليوم فى جانب عن سنته و اتباع ملته و طريقتة، و ما أحق المجاورين له بالأدب معه، و السؤال عن أحواله و أقواله فيتبعونها، خصوصا قومه مسجده الشريف، و خدامه، و يعلمون أن من خدمته صلى الله عليه و سلم تعظيم العلم و أهله و رفع منزلتهم و القيام بحقهم، و التغافل عن زلهمم و الشفقة على ضعيفهم؛ لأن منزلتهم من النبى صلى الله عليه و سلم رفيعة، و نسبتهم إليه عظيمة، إذ جعلهم الوارثين له، و لا ميراث لهم إلا ما حملوه من سنته و شريعته.

و فى الحديث أن أبا هريرة - رضى الله عنه - دخل السوق فقال لأهله:

أراكم ههنا و ميراث رسول الله يقسم فى المسجد؟! فذهب الناس إلى المسجد و تركوا السوق فلم يروا شيئا، فقالوا: يا أبا هريرة: ما رأينا ميراثا يقسم، قال:

فما رأيتم؟ قالوا: رأينا قوما يذكرون الله - عزّ و جلّ - و يقرءون القرآن، و ينشرون العلم، فقال: ذلك ميراث محمد صلى الله عليه و

سلم.

فواجب إذن تعظيمهم و توقيرهم، و ما أحق من إلى الرسول صلى الله عليه و سلم انتمى بهذا المعنى؛ فإن سر المخدوم يسرى إلى خادمه فيتأدب بآدابه، و يشكر الله تعالى إذ جعله على بابه و من حجابيه، و أن أهله لنسبة الخدمة، و كفى بها من نسبة، فيقال: خادم النبي صلى الله عليه و سلم، و يمثل نفسه الغوية بين يديه صلى الله عليه و سلم فيرضى لها من الأدب ما يعلم أنه يرضاه لو رآه، و أين القلب الصافي و العقل الوافي، الذي ينظر الأولياء بهما في هذه المعاني.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٨

تنبيه

إشارة

حكى لى الشيخ الإمام العلامة أفضى القضاء جمال الدين محمد بن أحمد المطرى أنه كان بالمدينة الشريفة رجل صالح عظيم القدر من أرباب القلوب يقال له: الزجاج، و كان شيخا لجمال الدين و للشيخ محمد بن إبراهيم المؤذن، و كانا بعد موت والديهما مؤذنين متأخيين فى رئاسة الأذان، يتعاقبون فى الوقت، قال لى: فكنا نجىء إلى باب المسجد فى السحر للدخول لأجل الأذان، فنجد الشيخ قاعدا على الباب فى ذكر و قراءة، قال فأدق الباب، فيقول لى صاحب النوبة: من هذا؟ فأقول له: محمد؛ فيفتح لى، ثم يجىء صاحبى فيفعل معه مثل ذلك.

ثم كذلك لثالثا و كان اسمه عبد الرحمن، من قرابة الشيخ محمد بن صالح نائب الإمامة و الخطابة. قال: فخلا الشيخ بى و قال لى: يا محمد، أنت تتصور ما أنا و أنت فيه كل ليلة؟ فقلت له: لا علم لى، فقال لى: صدقت، لو علمت لظهر عليك أثره، ثم قال لى: أحضر عقلك و انظر إلى كيف أبقى بعدك محجوبا عن الدخول، و أنت مأذون لك دونى، فتدخل و تجتمع بمحبوبك و تخلو به و تتلذذ بمناجاته، و أنا مطرود وراء الباب مبعود، يا بنى هذا حال الآخرة، لا يفعل بك مثل ما هو اليوم يفعل بى، قال: فوجدت بذلك موعظة عظيمة كنت عنها غافلا.

فانظر إلى هذا الشيخ كيف نبه على هذا الكيف، و حال من انتمى إلى هذا المحل يجرى هذا المجرى أليس هو صلى الله عليه و سلم يسمع من يسلم عليه؟

فإذا وقف أحدنا بين يديه كوقوف المملوك بين يدى المالك، و قد خالفه فى أمره له و نهيه، و ارتكب من الأخلاق السيئة ما لا يرضى به، أليس جديرا بأن

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٩

يعرض عنه، و يغضب عليه، و يقول له بلسان الحال: أنت لا تصلح لقربى، و لا أن تكون فى زمرتى، و لا أرضى أن تكون معى، بأى وجه تأتى إلى و أنت المسىء إلى جيرانى و أحببى، و من هو منتم إلى سنتى؟

فما الجواب يا ضعيف الرأى، و قد أخرجك عملك، و جنى عليك خلقك؟

و لا أقول هذا لغيرى حتى أبدأ بنفسى، لهذا أمثال فى شريعته صلى الله عليه و سلم تشهد لما ذكرته؛ قال علماؤنا- رحمهم الله: إذا أكرى رجل داره لرجل، فظهر منه دعارة، أو فسق، أو شرب خمر، أو سرقة، أو شبه ذلك مما يؤذى الجيران، فإن الحاكم يكف أذاه عن رب المنزل و عن الجيران، فإن كف و إلا أخرج منها و لزمه كراؤها، فإن جاء من يكرتها، و إلا تركت خالية و وزن كراؤها.

و كذلك لو كانت الدار ملكه، و ظهر منه شىء من ذلك عاقبه الحاكم على ذلك، فإن لم ينته أخرجه منها و باعها عليه؛ ليستريح جيرانه من ضرره.

وفقنا الله للأدب في هذه الحضرة الشريفة، و رزقنا حسن جواره صلى الله عليه و سلم و شرفه و كرمه. فاحذر أن يمحي اسمك من جيران المجاورين، و أن تحبط خدمتك لهذا النبي الكريم صلى الله عليه و سلم، و أن تنفى عن هذا المحل الأسنى إن لم يكن حساً فبالمعنى، فيجب على كل من انتمى إلى هذا الجنب الكريم أن يتخلق بأخلاقه صلى الله عليه و سلم، و يعامل جيرانه بما يرضيه من احترام الكبير و الصغير، و الشفقة عليهم و العفو عن المسيء.

[أخلاق النبي صلى الله عليه و آله و سلم]

فمن أخلاقه صلى الله عليه و سلم: الحلم، و الاحتمال، و العفو مع القدرة، و الصبر على ما يكره. تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٠
و لما كسرت رباعيته و شجّ وجهه يوم أحد، قيل له: يا رسول الله! لو دعوت عليهم؟ فقال: «إني لم أبعث لغانا، و لكن بعثت داعيا و رحمة لهم، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» [١٨].
قال القاضي عياض: انظر ما في هذا القول من جماع الفضل (و درجات الإحسان و حسن الخلق، و كرم النفس و غاية الصبر و الحلم، إذ لم يقتصر صلى الله عليه و سلم على السكوت عنهم حتى عفا، ثم أشفق عليهم و رحمهم و دعا و شفع لهم.
فقال: "اللهم (اغفر أو اهد،" ثم أظهر سبب تلك الشفقة عليهم و الرحمة بقوله "لقومي" ثم اعتذر عنهم بجهلهم [١٩].
و لما قال له الرجل: اعدل، فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، لم يزد في جوابه أن بين له ما جهله، و وعظ نفسه و ذكرها بما قال له [٢٠].

[عظيم عفو و صفحه صلى الله عليه و آله و سلم]

و من عظيم عفو و صفحه: عفو عن اليهودى الذى سحره، و عفو عن اليهودية التى سمته فى الشاة، و كفه عن المنافقين مع علمه بنفاقهم و سوء نياتهم، و عفو عن الأعرابى الذى جبذه بردائه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد فى صفحة عاتقه الشريف [٢١].
و لما أظهره الله على قريش، لم يشكوا فى استئصال ساقاتهم، و إبادة خضرائهم، فعفا عنهم، و قال صلى الله عليه و سلم: «ما تقولون إني فاعل بكم؟» فقالوا: خيرا، أخ كريم و ابن أخ كريم.
تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣١
فقال عليه الصلاة و السلام: «أقول كما قال أخى يوسف: قال لا تتريب عليكم اليوم يعفّر الله لكم و هو أرحم الراحمين (يوسف: ٩٢، اذهبوا فأنتم الطلقاء» [٢٢].
و روى أن أعرابيا جاء يطلب منه شيئا فأعطاه ثم قال له [٢٣]: «أحسن إليك؟» فقال الأعرابى: لا، و لا أجملت، فغضب المسلمون و قاموا، فأشار إليهم أن كفوا، ثم قام و دخل منزله و أرسل إليه و زاده شيئا، ثم قال صلى الله عليه و سلم: «أحسن إليك؟» قال: نعم فجزاك الله من أهل و عشيرة خيرا، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: «إنك قلت ما قلت و فى نفس أصحابى منك شيء، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما فى صدورهم عليك» قال: نعم، فلما كان الغد، أو العشى جاء فقال صلى الله عليه و سلم: «إن هذا الأعرابى قال ما قال فردناه فزعم أنه رضى أكذاك؟» قال نعم جزاك الله من أهل و عشيرة خيرا [٢٤].
فقال صلى الله عليه و سلم: «مثلى و مثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه، فأتبعها الناس فلم يزيدها إلا نفورا، فناداهم صاحبها: خلوا بينى و بين ناقتى، فإني أرفق بها منكم و أعلم، فتوجه لها بين يديها، فأخذ لها من قمام الأرض، فردّها حتى جاءت و استناخت، و شدّ عليها رحلها و استوى عليها، و إني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار» [٢٥].
و لما كذبه قومه؛ ناداه ملك الجبال و سلم عليه و قال: مرني بما شئت، إن

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٢
 شئت أطبقت عليهم الأخشيين، فقال صلى الله عليه وسلم: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا» وقال له جبريل عليه السلام: إن الله تعالى أمر السماء والأرض والجبال أن تطيعك، فقال عليه الصلاة والسلام: «أؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم» [٢٦].
 ورفقه عليه الصلاة والسلام بالأعرابي الذي بال في المسجد، وقال لأصحابه: «لا تزرموه».

[حسن عشرته و أدبه صلى الله عليه وآله وسلم]

و أما حسن عشرته و أدبه فقد انتشرت به الأخبار الصحيحة.
 وقال علي -رضي الله عنه- وكرم الله وجهه في وصفه عليه الصلاة والسلام: كان أوسع الناس صدرا، و أصدقهم لهجة، و أليينهم عريكة، و أكرمهم عشرة، و من ذلك قصته صلى الله عليه وسلم مع قيس بن سعد، لما زار سعدا و أراد الانصراف، قرب سعد حمارا و وطاء عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال سعد: يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال قيس: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 «اركب» فأبيت، فقال لي: «إما أن تركب، و إما أن تنصرف» فانصرفت [٢٧].

و في رواية أخرى: «اركب أمامي، فصاحب الدابة، أولى بمقدمها» [٢٨]

و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤلفهم، و لا ينفهم، و يكرم كريم قوم و يوليه عليهم.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٣
 و قالت عائشة -رضي الله عنها: ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما دعاه أحد من أصحابه و أهل بيته إلا قال: «لييك» [٢٩].

و كان يمازح أصحابه و يخالطهم و يحادثهم و يداعب صبيانهم و يجالسهم، و يجلسهم في حجره، و يجيب دعوة العبد و الحر [٣٠] و الأمة و المسكين و يعود المرضى في أقصى المدينة [٣١].

و لقد قال يوما: «أين فلان»؟

فقيل: مريض، فقال صلى الله عليه وسلم: «نذهب إليه لنعوده».

فقيل له: بعيد منزله.

فقال صلى الله عليه وسلم: «منه كان يأتينا».

و كان صلى الله عليه وسلم يقبل عذر المعتذر.

و قال أنس: ما التقم أحد أذن [٣٢] رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحى رأسه، حتى يكون الرجل الذي ينحى رأسه، و ما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر،

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٤

و لم يزل على خلق عظيم، و لم ير [٣٣] مقدما ركبتيه بين يدي جليس له، و كان يبدأ من لقيه بالسلام، و يبدأ أصحابه بالمصافحة، و لم ير قط مادا رجليه بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد [٣٤]، حتى إنه يوما أراد أن يمد رجله لتعب لحقه، فتلطف إلى جلسائه، فمد رجله الكريمة.

و قال لهم صلى الله عليه وسلم: «ما تشبه هذه»؟.

فدارت أذهانهم إلى وجوه المشابهة، فلما أعيوا و قد استراح، مد الأخرى و قال: «هذه» يعني صلى الله عليه وسلم أنه لا يشبهها إلا

الأخرى، فحصل مقصوده مع بقاء حسن الأدب معهم صلى الله عليه وسلم.

و كان صلى الله عليه وسلم يكرم من يدخل عليه، وربما بسط له ثوبه، ويؤثره بالوسادة (التي تحته، و يعزم عليه فى الجلوس عليها إن أبى، و يكتئى أصحابه و يدعوهم بأحب أسمائهم تكرمه لهم، و لا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوّز، فيقطعه بنهى أو قيام، و يروى: بانتهاء [٣٥].

و يروى: أنه كان لا يجلس إليه أحد و هو يصلى إلا خفف صلاته، و سأله عن حاجته، فإذا فرغ عاد إلى صلاته، و كان أكثر الناس تبسماً، و أطيبهم نفساً، ما لم ينزل عليه قرآن، أو يعظ، أو يخطب [٣٦].

و كان صلى الله عليه وسلم يلقى ثوبه، و يحلب شاته، و يرقع ثوبه، و يخصف نعله، و يخدم

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٥

نفسه، و يقم البيت، و يعقل البعير، و يعلف الناضح، و يأكل مع الخادم و يعجن معها، و يحمل بضاعته من السوق.

و قال أنس رضى الله عنه: خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لى:

أفّ قط [٣٧]، و لا قال لى فى شىء صنعته: لم صنعته، و لا لشىء تركته: لم تركته [٣٨]؟.

و كان صلى الله عليه وسلم قد وسع الناس بسطه و خلقه، فصار لهم أبا و صاروا عنده فى الحق سواء [٣٩].

و كان دائم البشر، سهل الخلق، لئى الجانب، ليس بفظّ و لا غليظ، و لا صحّاب فى الأسواق، و لا فحاش، و لا عياب، و لا مزاح، و لا

يجزى بالسيئة السيئة، و لكن يعفو و يصفح [٤٠] صلى الله عليه وسلم.

و لو تتبع هذا لملاً الصحف فصوله و أبوابه، و أعجز الكتاب تدوينه و كتابه، فحق على جميع أمته العامى و الشريف، و القوى منهم و

الضعيف، خصوصاً من جاوره و خدم ضريحه، أن يقتبس من أخلاقه، و يتأدب بآدابه، و يروض نفسه الغويّة على اتباع سنته العلية، و

لو أن يكف يده إذا غلب على لسانه، و يعظم من

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٦

تفقه فى دينه، و اتبع سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم و سنن آله و صحابته، و إذا رأى من حملة القرآن و العلم أحدا سرّ به و

برؤيته، و سأل من دعوته، و لا يسيء الظن بأحد بأدنى هفوة أو زلة، فإن الإنسان ليس بمعصوم و لو حاز كلّ العلوم.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٧

فصل [فى ذكر من أدركهم المؤلف من شيوخ الخدام]

إشارة

و لقد أدركت من الخدام الصالحين، و من المجاورين العالمين العاملين، أقواماً على الخير متعاونين، و على البر متظاهرين، و بسنته

صلى الله عليه وسلم عاملين، رحمهم الله أجمعين.

فأول من أدركته من مشايخ الخدام بالحرم الشريف ممن عقلته:

[٤١] العزى: عزيز الدولة.]

و فى أيامه غرس كثير من النخل الذى بالمسجد اليوم، و كان منه شىء قبل العزى و مات أكثره.

و إن قلت: كيف فعل ذلك و هو من البدع المنهى عنها، و كيف ترك و رأيه فى ذلك؟.

قلت: المسألة مختلف فيها، فمنهم من كره، و منهم من منع، و لا يكون الإنكار سمحاً إلا فى مسائل الإجماع فيها، و أما حكم ثمره فقد

سئل مالك - رحمه الله - عن شجرة نبتت في صحن المسجد، أو المقبرة، أو محجة الطريق؟، قال: أكلها حلال لجميع المسلمين. و كان كثير الخير و البر، وقف من النخيل شيئاً، و حرر من الأرقاء جمعاً كثيراً، و كان العزيزي - رحمه الله - يوالى الأشراف، و يحسن إليهم إحساناً كثيراً، حتى اتهم بمذهبههم؛ لكثرة اختلاطه بهم، و قضاء حوائجهم، كنت إذا تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٨

مررت عليه مع جماعته ذاهبا إلى سيدى الشيخ أبى محمد البسكرى و هم جلوس بين باب النساء و باب جبريل صفًا واحداً، أقول بأعلى صوتى: السلام عليكم، فيردون كلهم حتى تسمع لهم لجة عظيمة، ثم ينادونى، و يقولون: خذ جزءا تحيتك، فيعطينى كل منهم على قدره، و أول من يبدأنى الشيخ - رحمه الله - و أحيانا يذهب بى إلى بيته و يخرج الكيس من خرزة حجر أعرف اليوم مكانها من البيت، فيعطينى و يبرنى و يفرح بى جزاه الله خيرا، و أعظم له أجرا، توفى عزيز الدولة سنة سبعمائة. ثم خلفه فى المشيخة:

[٤٢] شبل الدولة كافر المظفرى المعروف بالحريرى - رحمه الله.

كان من أحسن الناس شكلا، و أتمهم كمالا، و كان مهيبا قد ملأ قلوب الشرفاء رعبا، كان إذا انكسر قنديل، أو وقع تجصيص يصيح حين وقعته صيحة يغلب بها، يرجف أهل المسجد من قوتها و عظم مبلغها.

و كان يقول: إنه توءم، مات أخوه بعد أن ولدتهما أمهما، و كان له على الأميرين سلار و بيبرس الجاشنكير دليّة بتريته [٤٣]، حتى إنهما لما حجا والوه بأحسن الموالاة، فكلهما فى بناء المنارة التى بباب السلام اليوم، فأنعما، ثم إنه خشى أنهما يشتغلان بملكهما عن ذلك، أو يستثقلان النفقة على عمارتها، فقال:

أنا لا أطلب منكما مالا، عندى من قناديل الذهب و الفضة ما يقوم بها و زيادة، فأنعما له بإرسال الصناع، و شرع هو فى تحصيل الحجر و المؤنة بينما يأتى الحاج،

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٩

فحمل من الحجر ما يحتاج إليه من أنواعه كلها، فكانت كالجبال فيما بين بابى الرحمة و السلام، و أمر بالحفر لها فى مكانها اليوم، فلم ينزلوا إلا قليلا إذ وجدوا باب مروان بن الحكم أسفل من أرض المسجد بقدر قامه، ثم وجدوا باب فخار ملأى بدراهم مظفريه قد استحالت صفتها من طول مكثها، ثم وجدوا تحصيب المسجد فى أيام مروان بالرمال الأسود يشبه أن يكون من جبل سلع، و ذلك تحصيب عام فى سائر مسجدهم القديم؛ لأنهم لما أسسوا الرواقين اللذين زادهما الملك الناصر شمالى الروضة المقدسة فى سنة تسع و عشرين و سبعمائة، وجدوا ذلك التحصيب، فوقف عليه فوجدته يشبه ما وجدوا فى أساس المئذنة، و سمكه نحو ذراعين بالعمل أو أكثر، ثم إنهم نزلوا فى الأساس حتى بلغوا الماء، و كان بعض المؤرخين يذكر أن هناك مئذنة مشرفة على دار مروان فهدمها غيره على أهله من مؤذنها، فلم يجدوا لذلك صحة و لا أثرا ألبتة.

و كان الحريرى - رحمه الله - مباشرة ذلك كله مجتهدا بنفسه و ماله و خدامه، ثم إنه أمر من كان بالمدينة يتعانى البناءة كالشيخ إبراهيم البناء و الشيخ على الفراش، و غيرهما ممن ليس له فى البناءة كبير قدم أن يحفروا الأساس، فحفروه إلى أن ظهر الماء، و أخرجوا منه شيئاً شرب منه الشيخ، و شرب الناس منه، يرون ذلك بركة و مسرة و تفاعلاً بتمام العمل، ثم دكوا الأساس، فلما جاء الموسم و حضرت الصناع و المعلمون، كان فيهم المقدم عليهم فى البناءة و الهندسة و الدراية.

فقال للشيخ: لم استعجلت علينا؟ لا بنى على هذا حتى تنقضه جميعه، فإننا لا نأمن عاقبته، و ألح فى نقضه، فألح الشيخ فى تركه على حاله فرجع إلى مصر من حينه، و قال: أنا أخشى من الدرك، و ما يلحقنى فى صنعتى من

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٤٠

العيب، فقال الشيخ لمن كان معه من المعلمين: اعملوا عملكم و الله تعالى يتممه بركة هذا النبي الكريم، فعملوها على ما هي اليوم عليه، وعم نفعها وعظم أجرها، وصارت في صحيفة من سعى فيها، والعمل اليوم عليها؛ لأنها متوسطة المدينة حتى إن رئيس المؤذنين محمد بن إبراهيم قال لي - رحمه الله: لو تركت لي هذه المثذنة لكفت المدينة، وهو الحق، فإن المدينة من جهة الشمال قليلة العرض، وإنما امتدادها وقوة عمارتها وكثرة أبياتها من جهة الغرب، وكانت عمارتها في سنة ست وسبعمئة.

و إنما ذكرت حكاية المثذنة؛ لأن ذكرها مما نحن بسبيله من المحدثات في المسجد للمصلحة العامة للمسلمين.

و مما للشيخ الحريري من الآثار الحسنة: تبطيل الطوف بالشعل من جريد النخل و تبديلها بالفوانيس التي يطوفون بها اليوم كل ليلة بعد صلاة العشاء الأخيرة، وذلك أنهم كانوا قبل الحريري و صدرا من ولايته يأخذ عبيد الخدام و بعض الفراشين شعلا من سعف، فيطوفون بها عوض الفوانيس يجرون بها كأشد ما يكون من الجري، فإن وصلوا باب النساء خرجوا بها، و خبطوا بما بقي معهم منها، فكانت تسود المسجد و تسود بابه أيضا، و فيها من البشاعة ما لا يخفى، فأمر بالفوانيس عوضا، و ترتبت في صحيفته - رحمه الله تعالى - و كان يوالى المجاورين و يحسن إليهم و يقضى حوائجهم.

و سيأتى فعله مع المجاورين حين أمر الأمير منصور بإخراجهم و ارتحالهم بأولادهم و عيالهم، و مناقبه كثيرة، و حسناته عديدة، توفي سنة إحدى عشرة و سبعمئة.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٤١

ثم خلفه في المشيخة:

[٤٤] سعد الدين الزاهري.

و لم يمكث إلا قليلا نحو سنتين، و كان قد عمى و كف بصره، فلم يقوم بوظيفة المشيخة على ما ينبغي، فلما حج الملك الناصر الحجة الثانية و هي سنة تسع عشرة و سبعمئة و قدم المدينة زائرا و دخل الحرم، فوجده أعمى، فعظم ذلك على السلطان فعزله. ثم ولى في الحين:

[٤٥] ظهير الدين مختار، الأشرفى - رحمه الله.

و كان له هيبه و صولة مع زمانه بالنسبة إلى من قبله، فقام بالمشيخة أحسن قيام، و أدخل الرعب في قلوب الشرفاء و الأمراء، و استخلص من أيديهم أوقافا و أملاكا كانوا هم و آباؤهم فيها كالمارستان اليوم، و القرن الذى أمامه، و الحوش الذى بإزائه، و دار المدرسة الشهائية، و نخيل و غير ذلك.

و لأجل هيبته عزّ المجاورون و الخدام، و قويت حرمتهم، و لم يزل كذلك حتى حج النائب أرغون، و شكوا إليه ما يلقون من الشيخ، فكأنه تكلم عليه بحضرتهم كلاما غص من صولته، و رده عن شدته، و لم يمكث بعد ذلك إلا قليلا حتى توفاه الله إلى رحمته.

و كان من المجاورين من يركن إلى الأمراء و يجتمع بهم في منازلهم، و يطلعهم على أحوال الخدام و المجاورين، فأقسم فيهم أن من طلع القلعة

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٤٢

منهم لم يكن له وظيفة ألبتة، فانكف الناس، و أخرج جماعة من الأسباع و استبدل بهم.

و أخرج جماعة من الفراشين و قطع معلومهم، حتى غابوا في الهند سنين عديدة، مثل ياقوت الصالحى، و برده الحريرى، و سعيد التاجى، و غيرهم من أهل الأخبار، و كان يجلس قريبا من الأسباع، فأى من غاب عن وظيفته، أخذ قسط ذلك اليوم فى حينه، و بذلك انضبطت الوظائف، و صار ليس له مخالف، و عمرت الأوقاف فى أيامه، و كان له منه نصيب وافر، و لما توفى والدى - رحمه الله -

أيامه حفظ علينا وظائفه، و رفق بإخوتي - رحمه الله - توفى سنة ثلاث و عشرين و سبعمائة.
ثم خلفه في المشيخة:

[٤٦] ناصر الدين نصر عطا الله.

و كان قبل ذلك من إخوان المجاورين و أحبابهم، مآخيا لجمال الدين المطرى لا يخرج عن رأيه و لا مشورته، و إن كان الشيوخ كلهم بهذه المنزلة معه، فكان هذا له أعظم و به أبر، و كان من أحسن الناس صورة و أكملهم معنى، و كان يحفظ القرآن، كثير الصيام، مهيبا في جماعته من غير ضرر، و لا تهديد، و لا وعد و لا وعيد، وجد الأحوال بعد الظهير، متمهدة فزادها تمهيدا، و مع ذلك فإذا قام في أمر تتمه، لا يرجع عن رأيه فيه لأحد، و لو قام في ذلك و قعد، و كانت مدة ولايته أربع سنين، توفى سنة سبع و عشرين و سبعمائة.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٤٣

ثم خلفه في المشيخة:

[٤٧] عز الدين دينار.

فكان - رحمه الله - ذا حشمة، و دين، و عزة و حسن يقين، سحب المشايخ الكبار من المجاورين، فتأدب بآدابهم، و اكتسب من أخلاقهم، فلزم قراءة القرآن، و جاهد نفسه بالصيام و القيام و الصدقة و الإحسان، و أوقف أملاكا ما بين نخيل و دور، و أعتق خدما و عبيدا و إماء يزيد عددهم على الثلاثين، و علق من خدامه في الحرم سبعة، و كفل أيتاما و حرما، و نعمهم بالمأكل، و الملبس، و المسكن حتى كانوا يعدون من عياله، و له مناقب جليئة، و محاسن عديدة.

منها: أنه لما سافر إلى الديار المصرية استخلف على بيته و أمواله بعض أصدقائه من المجاورين، و كان في البيت إماء و عبيد و خدام، فاستأمنهم الوكيل و ظن أنهم لا يتفقون على الخيانة فخبروا البيت، و ضيعوا أكثر ما فيه، فلما قدم الشيخ عز الدين من مصر، فقد ما خلفه في بيته فسأله عنه، فقال: لا - علم لى بشيء، غير أنى كنت أخرج لهم نفقتهم، و أصرف عليهم ما يحتاجون إليه، و لا أعلم من حالهم شيئا، و لم أظن فيهم أنهم يتواطئون على الخيانة، فحاسبه على ما خلفه في بيته، فوجدوه قد نقص مقدار أربعة و عشرين ألف درهم.

فقال له: هذه لازمة لك بحكم الشرع؛ لأنك فرطت فيما و كلتك فيه.

فقال: نعم، ألتزم بها و أقوم بأدائها، فتقوم من أملاكي و نخيلي ما شئت، فخلا الشيخ بأصحابه و شاورهم في ذلك، فقالوا له: المفطر أولى بالخسارة.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٤٤

فقال لهم الشيخ: لم يصب رأيكم، رجل صحبته في الله، و أقرأني القرآن، أغرمه شيئا أفسده عبيدى و لم يتدنس منه بشيء، معاذ الله من ذلك، و أبرأ ذمته، و لم يزل له صديقا إلى أن فرق الموت بينهما رحمهما الله تعالى.

و له بالحرم الشريف آثار حسنة، و كان فيه من الشدة في الدين على الأشراف ما كان في ظهير الدين و زياده، مع الانقياد إلى الشرع و الموافقة على الخير، و كان حين ولايته في القاهرة سعى في المشيخة صفى الدين جوهر خادم اللالا فأعطيتها، و كان بينه و بين جمال الدين المطرى شيء ألقاه بينهما بعض الناس، فلما شاع في المدينة خبر ولايته، تسلط أهل الشرع على جمال الدين، و شغبوا عليه بكثرة القال و القيل و توعدوه، و كانوا عصبه شر عفا الله عنا و عنهم، فلحقه من كلامهم هم و غم.

و قال لى - رحمه الله - رأيت ليلة في منامى، و قد همنى ما أسمع منهم من الأذى، كأن باب جبريل حول إلى باب الرحمة، و أنا أقول:

كيف يزال باب ثابت إلى غيره، و يبقى هذا الباب ما له باب؟

فلم يكن إلا قليل، إذ جاء الخبر بأنهم رجعوا عن خادم اللالا، ولوا عز الدين. و كان عز الدين في باب الرحمة كما هو اليوم، و بيت جوهر اللالا كما هو اليوم مجاور رباط صفى الدين السّلامى - رحمه الله - فتفسر المنام، فزال عن جمال الدين ما كان يجد، و رجع كل من أهل الشر إلى ورائه، و كان بين عز الدين دينار و بين جمال الدين من الاتحاد و المحبة، و سماع الكلمه، مثل ما كان بينه و بين ناصر الدين نصر عطا الله و أكثر، و كان الشيخ عز الدين رحمه الله لأولاد المجاورين كالأب الشفيق، إذا رأى أحدهم سأله عن حاله و حال أهل بيته و أولاده. يقول: كيف أولادنا؟ كيف إخواننا؟ و يقضى الحوائج

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٤٥

بطيب نفس لا يتنكر و لا يحرد، فإذا انزعج أو غضب، رجع عن قريب لم يؤيس من خيره، و لو آيس بقوله، و صرّح بعذره، و طالت مدته أكثر من غيره، و سأذكر وفاته - رحمه الله - في ولاية الشيخ افتخار الدين ياقوت، ثم سعى عليه فعزل.

[٤٨] ولى شرف الدين مختص الديري:

فجاء الناس بأخلاق تركية لم تتهدب برياضه، و لا بحجّ و زيارة، و قام بهيبة و عزّة، و لقد جلس يوما في المجلس الذى كان غيره يجلس فيه، فجاء شهاب الدين العادلى؛ ليجلس فى صفّه لا فى جنبه، فأقامه بنهره، و عزّ عليه أن يستوى معه فى صفّه، و كذلك فعل بغيره حتى كان لا يجلس إليه، إلا من يدلّ عليه، لكنه كان له رغبة عظيمة فى العماره، فانعمرت الأوقاف فى أيامه، و لو استمر فيها لكثير خيرها.

كان يخرج كل يوم غالبا فيباشر الغرس و العماره، و يخرج معه بعيش رغيد، و خير كثير، و كان جماعة الخدام فى أيامه و قبلها، يباشرون الأوقاف بأنفسهم، و يحضرون الجداد بأعوانهم و خدامهم و عبيدهم، و لا يتناولون على ذلك أجره ألبته، و يخرجون معهم بالأطعمه الكثيره الفاخره المليحه، و لهذا كانت الأوقاف مباركه و غلاتها متزايدة، و البركه عليها لائحته، حتى خلفهم من لا يتحرك فى وقف إلا - بأجره، وليته يعمل فيها بنيه صالحه؛ حتى يثاب عليها فى الآخرة، و كانت أيضا تعمر ببركه نيته، و لو أخذ أجرته، لكن اليوم أكثر الأوقاف دامرة؛ لأن غلتها لا تردّ فى عمارتها كما أوجه الشرع لها، فلذلك خربت و قلّ خيرها.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٤٦

و لقد شاهدت منذ زمان كان الناس فيه ناس، يعطى الزائر فوق الصاع من التمر البرنى، حتى إن العصبه إذا أخذوا التمر يكومونه على أنطاعهم كوما، يتعسل بعضه فوق بعض، و مع ذلك يبقى التمر السنين و الثلاث حتى يسودّ، و لا يجدون من يأخذه. و لقد كنت فى حال صغرى، إذا رآنى خزنة التمر ينظرون من يحمل لى منه، فيذهب به إلى بيتنا، حتى أنكر ذلك والدى و والدتى، فهددنى والدى، و قال:

لئن رجعت تأتى إلينا من تمر الفقراء بشىء، فعلنا بك و فعلنا، و كان لا بد لى من المرور عليهم؛ لأن التمر كان يخزن فى دار الخدام المجاورة للتربة التى عمرتها زوجة ابن علم، و فى المدرسه الشهايبية، و لما لم يكن بدّ أنهم يعطونى، ترصد لى حمال يقال له: ناشى، يأخذ ما يعطونى.

فأقول له من خوف أهلى: خذه و لا- تأتهم به، فياخذه، فعل معى ذلك مرارا، كل ذلك منهم؛ محبة فى أولاد المجاورين و رفقا بأهاليهم.

و كان النخل من الغابة و العمريه إذا استجد، لا يخلص منه فى شهر ليلا و نهارا.

و لقد رأيت الحمالين يضعون أحمالهم من باب رباط الفاضل، إلى باب التربة التى نزلها الشيخ افتخار الدين، و من رباط دكالة أيضا إليه إذا جاءوا مع المغرب، لا يفرغون عن حملة و تفرغ غرائره إلا قريب الصبح، هذا كله من التمر البرنى، و أما ألوان النخيل فلم تكن

فى حساب، فأين تلك البركات ذهبت؟! و الله مع نيات القوم، و الله المستعان.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٤٧

ثم سعى على الشيخ فعزل، و ولى:

[٤٩] شرف الدين الخزندارى.

و كان وصوله بالمشيخة فى أواخر سنة اثنتين و أربعين و سبعمائة، و كان فحلا حذقا صلبا، عارفا بأمر الدنيا و تصاريدها، طالت مدته فولى الولاية فى القاهرة على أهباز الخدام نقادة [٥٠] و غيرها، فتور الفلاحين بدوائه، و أتعبهم بأمره و نهيه و تعنتاته، و كان ذا حقد شديد [٥١]، إذا استرضى لا يرضى مع طلاقة الوجه و لين الكلمة. و ممن كان من أحبابه و أخلائه الشيخ:

[٥٢] عبد الرحمن بن ياقوت المؤذن الكبير

القدر فى القراءة مع حسن الصوت و سلامة الصدر، و حسن الخلق، و الكرم العظيم فى الحضر و السفر. سافر معه إلى القاهرة و بات معه ذات ليلة فى دار واحدة، فكان الشيخ عبد الرحمن قام من نومه بدهشة اختل فيها عقله، فأخذ السيف و ضرب به شرف الدين ضربة أخطأته، فمسك و قيد، حتى زال عنه ذلك، فغضب عليه و سعى به عند الولاة و الحكام حتى سجن، ثم جعل فى رجليه قيد، و أدخل فى الذين يخدمون فى أعمال السلطان من أهل الجرائم الكبار، و هو مسكين ضعيف البنية، كثير الصوم و العبادة و تلاوة القرآن، فاستمر على ذلك مدة و الناس

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٤٨

يدخلون على شرف الدين ليغفر له فلم يفعل، حتى سخر الله له من أطلقه من ذلك و أرسله إلى الحجاز.

فلما وصل الخزندار إلى المدينة أتبعه فى وظائفه، و فى نفسه و عياله، و سعى عليه عند الأمراء ليخرجوه من المدينة، فلم يطيعوه فى ذلك، و منعه من الدخول إلى القاهرة و السفر إليها، و الإقامة بها؛ بسبب ما يكتب فيه لأصحابه، و لم يزل معه كذلك إلى أن طالت المدة و نسيت القضية، و عاش بعده الشيخ عبد الرحمن إلى الآن، نفعا الله به.

و كانت مدة ولاية شرف الدين الخزندارى سنتين، ثم سعى عليه شرف الديرى [٥٣] فتولى المشيخة، فلم يكمل له سنة، حتى جاء الخبر بعزله، و تولية عز الدين و استنابة شمس الدين الجمدارى [٥٤] عنه، ثم جاء عز الدين مع الحاج، و سافر الديرى إلى مصر و أقام بها إلى أن توفى، و أقام شرف الدين الخزندارى فى المدينة مع الشيخ عز الدين معظما محترما مسموع الكلمة، و كان له من الخدام جماعة، و حفدة لا يخرجون عن رأيه، و لم يكن ما بينه و بين عز الدين حسنا، و كان عز الدين يعامله بالحلم و الصبر و المداراة، و كان شرف الدين قد سافر إلى مصر فى ولاية عز الدين الأخيرة، و سعى فى المشيخة فلم تحصل له و ولى النيابة بمرسوم سلفانى، و كان نائبا لعز الدين.

ثم إن الشيخ افتخار الدين توفى فجأة و أصبح فى فراشه ميتا، و ذلك ليلة الأحد التاسع من شهر ربيع الآخر أحد شهور سنة تسع و خمسين و سبعمائة، و استمر عز الدين فى الولاية على الطريقة الأولى من فعل الخيرات و عتق

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٤٩

المماليك، و وقف النخيل على الفقراء، رحمه الله و نفع به.

فلما ضعف فى بدنه و قوته لكبر سنه، لزم العزلة و الإقبال على الخير، ثم سعى عليه لأجل ذلك، فولى الشيخ:

[٥٥] افتخار الدين ياقوت بن عبد الله الخزندارى.

و ذلك فى سنة ثمان و خمسين و سبعمائة، و هو من المشايخ الرؤساء، لم يقم أحد بحرمة المنصب مثله، من أكمل الناس عقلا، و أعظمهم حرمة، مع التدين و العبادة و الورع.

ذكر أنه خدم الملوک بالديار المصرية مدة خمس و عشرين سنة، لا يتناول جامكية إلا من الجزية المأخوذة من أهل الكتاب تورعا من أموال السلطان، و كان يشهد عند القضاة فيقبلون شهادته، و له اجتهاد عظيم، و مثابرة على سماع الحديث، و كتب العلم و الرقائق، مع ملازمته للصلوات فى الصف الأول، و الناس لا ينكرون عليه إلا قوة نفسه، و ذهابه فى رأيه قدما لا يرجع لأحد فيه، و فيه من شرف النفس ما إنه لا يتناول ما شرط له فى الأوقاف على النظر، بخلاف غيره من الشيوخ، و فيه من الهيبة على أصحابه ما انصلح به كثير من شأنهم، و تأدب به كثير من شبابهم، و صبيانهم، و صار له هيبة فى الناس و خفارة، و حفظ الحرم حفظا حسنا، و صادف وقتا سيئا جرى فيه على الشد، و زاد على الحد، حتى ضاقت عليه الأنفس من غير جماعته، و سعوا فى حل ولايته، و إنما أتى عليه لوثوقه برأيه، و عدم قبوله نصح أصحابه، و كأنه لم يسمع قول القائل:

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٥٠

و لن يهلك الإنسان إلا إذا أتى من الأمر ما لم يرضه نصحاؤه

و الله تعالى يقضى لنا و له بالخير.

و كان يتأدب مع الشيخ عز الدين لما كان عز الدين معزولا، و يأتيه إلى مجلسه، و يعرفه الشهر يتقرب إليه حتى أحبه عز الدين. و كان يقول: هذا خادم محتشم رئيس، و لقد صدق فيما قال، و توفى عز الدين فى أيامه، و ذلك فى سنة إحدى و ستين و سبعمائة.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٥١

فصل [فى ذكر من أدرکهم المؤلف من الخدام الصلحاء]**إشارة**

ثم إنى أدركت من الخدام الصلحاء الخدام المتخللين أيام هؤلاء الشيوخ أقواما لهم جلاله، و عليهم من الله مهابة، منهم:

[٥٦] طواشى شبل الدولة كافر بن عبد الله الخضرى.

كان فيه رحمه الله من الدين و الخير و البر، ما لا عليه من مزيد.

و أخبرنى من أثق به أنه كان يضع معلومه فى غلف أباليج السكر، و يضعها فى بيته من غير غلق زهدا فى الدنيا، و قلته حرص عليها، و فى كل يوم يملأ منها كيسه، و يجعلها فى جيبه يعد ذلك لمن يقف عليه من السؤال، أو من الحرم و الأيتام، و كذلك رأيت لا تزال يده تنفق سرا و علانية.

كان شيخا فى الرواية، سمع على جماعة لهم ذكر فى طبقات المحدثين، ربي أيتاما كثيرين، و أعتق جماعة مباركين، كان منهم خيار الفراشين الشيخ عبد الله الخضرى، ولد لعبد الله أولاد قراء و متصوفة، و لهم اليوم عقب رحمهم الله، و كان الخضرى و العادلى متجاورين فى المسكن، متعاونين على البر و الخير، تغمدهم الله برحمته أجمعين.

و منهم:

[٥٧] شهاب الدين رشيد بن عبد الله السعيدى [٥٨] رحمه الله.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٥٢
كان متفقهًا متدينًا متعبداً، يصحب العلماء و يشتغل عليهم، و يشتري كتب العلم، و يوقفها عليهم، له خزانه جیده كان فيها كتب غریبه
أعرفها في دار الزيات، و له رباط و دور وقفها بعد أن تعب في عمارتها و إنشائها، و له من اسمه نصيب وافر رحمه الله.
و منهم:

[٥٩] شمس الدين صواب الحموى الناصرى.

كان من شيوخهم و رؤسائهم قليل الكلام، لا- تراه إلا- مشغلاً بنفسه، إذا جلس إلى الشيخ أمر بمعروف و نهى عن منكر، و كان
صاحب رأى صائب، و له حسنات خفيات [٦٠].
ثم ظهر بعده على طريقته أو أزيد خادمه:

[٦١] أمين الدين مفيد.

حفظ القرآن و ربح "التنبية"، و صحب أهل الخير و اشتهر بالدين و الأمانة، فاعتمد عليه، و سلم إليه ما يعدّ من الحاصل، للصرف على
الفقراء و الأوقاف و غيرها، و هو الأمين على ما فى القبة التى وسط الحرم، و بيده مفاتيح حاصلها، و هو أهل لذلك فنعم الحسنه
خلفها شمس الدين بعده، و توفى سنة تسع عشرة و سبعمائة، و توفى أمين الدين مفيد فى سنة أربع و سبعين و سبعمائة.
تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٥٣
و منهم:

[١٥- سعد الدين نجيب الفاخرى.]

له اعتقاد فى الصالحين، و حسن ظن فيه، مع سلامة باطن، فيخدع لمن تزياً بزى الفقراء، و كان سليم القلب، و حسن الخلق، كثير الخير
و الصلة، و عليه خفارة و حشمة.
و اتفق أن جاء إلى المدينة فى أيامه.

[١٦- رجل من اليمن ادعى أنه شريف]

، كان له شكالة حسنة، مع طول قامه و سكون و حشمة، و كان معه جماعة فى طوله يتبعونه و يعظمونه، فأظهر أنه صاحب الزمان، و
سكن مع أصحابه فى دار النفيس شامى المسجد الشريف، فانعطف عليهم الناس و هادوهم، و تمكنوا من خاطر الفاخرى تمكيناً جيداً،
و وعدوه أنه يكون عنده من المقربين إذا خرج، فأقام على ذلك مدة تهدى إليه البذلات الرفيعة، و الموائد الفاخرة تجرى عليه من
عنده، و من عند إخوانه جماعة من الشرفاء، و كان فى حفظ نفسه و مراعاة رئاسته عجباً، فلما طال مقامه و أبطأت عداته تكعكع عنه
الناس قليلاً، فلما أحس بذلك سافر إلى العراق، فلم يطلع بعد ذلك خبره.

ثم ظهر بعد ذلك رجل من أهل تونس، و كان والدى- رحمه الله- يعرفه فى تونس هو و أبوه، يقال له:

[١٧- ابن حماس،]

ظهر بهذه الطريقة، و اتسم بأنه من أرباب الحقيقة، و انعطف عليه هذا الطواشى و غيره، فأسكنوه و قربوه، و أتخفوه بأنواع الملابس و فاخر الأطمعة، و كان قد تبدن و سمن من كثرة ما يأكل.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٥٤

و كان يقول: الآن قام من عندى الخضر - عليه السلام-، و قال: لى كذا و كذا إلى أن قال: لى ملك كذا و كذا. ثم ترقى حتى قال: كلمنى القلم، و رأيت الملكوت، و أنواعها من هذه الترهات و الخزعلات، و قام عليه جماعة من أهل الخير، و بلغوا الحاكم مقالته و نصب خيالاته، فأدعى فى مجلس كبير و حضره شيخ الخدام، و جماعة من لفيف العوام، فسألوا عما نقلوا عنه، فكان يقول مقالة غير مقالة الآخر، لم يجتمع على الشهادة اثنان فخلّى سبيله، ثم سافر إلى القاهرة، و اشتهر بها ذكره و كثر أتباعه، ثم انتقل إلى العراق فقيل: إنه قتل بها.

قال لى والدى - رحمه الله -: إن هذا الرجل كان له مال كثير ورثه من والده، فأخرجه على الفقراء، و تصدق به كله، و خرج فقيرا، لكنه لم يقف عند حده، بل طمع فى الولاية، و هى لا تحصل إلا بالموهبة الإلهية و العناية الربانية، و إنما ذكرت حال هذين الرجلين؛ تنبيها على حسن اعتقاد الخدام فى المجاورين، و جميل ظنهم فيهم رحمهم الله تعالى. و منهم:

[١٨- عز الدين مختار الحلبي.]

كان من كبار الخدام، و ممن اتصف بأحوال الصالحين و محبة العلماء، أثنى عليه الشيخ عبد الواحد الجزولى - رحمه الله- و ذكر له مناقب كثيرة، و كان مسكنا [٦٢] مع والدنا فى داره التى أوقفها على جمال الدين المطرى مجاورة لرباط تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٥٥ الشيرازى، و هى اليوم وقف على أولاده رحمهم الله تعالى. و منهم:

[٦٣] شفيع الكرمونى.]

كان - رحمه الله- من أحسن الخدام شكالة و طولاً، و أعدلهم بنياً، و كان من أقدرهم على مخالطة الناس، و كان له صولة عظيمة فى المسجد على من رأى منه أدنى مخالفة، خصوصا من رأى منه أدنى مخالطة لأهل الشر [٦٤]. و قد بنى هو و الشيخ ناصر الدين نصر عطا الله، دارين عظيمتين غرما عليهما مالا عظيما، و تعباً فيهما تعباً كثيراً، فلم يسكنا فيهما، و لم يتمتعا بهما حتى توفياً، عوضهما الله خيراً و رحمهما [٦٥]. و لشفيع اليوم خادم صالح عاقل، لم أر أحسن من سكونه، و قلته فضوله و عزلته عن الناس، جزاه الله خيراً، فقد سلم الناس من يده و لسانه. و منهم:

[٦٦] شمس الدين صواب المغيبي - رحمه الله-.]

ما كان أدينه و أورعه، كان أول من يأخذ من محط خدمة المسجد الشريف، تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٥٦ و تعليق قنابله، و أول من يسبق إلى المسجد من المصلين، لزم أسطوانة المهاجرين حتى عرف بها، و هى الأسطوانة الثالثة من أسطوان

التوبة عند المحققين، و كان إذا جاءت نوبته في الخدمة يضع الأطقم الكثيرة، والألوان الفاخرة، و يدعو لطعامه من عرف و من لم يعرف، و كذلك كان يفعل جميعهم سوى أنهم يتفاضلون في السخاء و الكرم و طيب النفس، يريدون بذلك وجه الله تعالى [٦٧].

و كان- رحمه الله- على أهل الدولة، له عقدة لا تنحل، و شفرة لا تنكل، نفعنا الله به بعد وفاة والدنا في سبع سيده، و ذلك أن بعض أهل الشر بذل للأمير منصور في وظائف والدي مبلغا جيدا، حتى تكون كلها له و يخرجنا منها، فأرسل الأمير إلى شيخ الخدام ظهير الدين يعرفه بأنه قد حصل له في هذه الوظائف كذا و كذا، فإن دفع أولاد المتوفى هذا المبلغ، و إلا أخذتها منهم للذي بذل إلى [٦٨] ذلك، فعرض علينا الشيخ ذلك، و قال: هل في حالكم شيء و لو ألف درهم؟ فقلت له: و الله لم يخلف لنا والدنا ديناراً و لا درهما واحداً، غير نفقة من الحب أوصى بثلاثها، و دارا نسكنها، و كتباً نقرأ فيها، فإن كتب الله قسمته، و إلا فهي رزية و بلية، نرجو من الله العظيم كشفها و العوض عنها.

فقام حينئذ شمس الدين المغيبي و صاح على الشيخ، و قال: في مثل هذا تتهاون، و الله لا يصل هذا اللعين إلى وظيفتنا، و لا يقرأ فيها أبداً إلا أن يفعل بي كذا و كذا، فبلغ ذلك الأمير، فلم يسمع من الذي سعى عليها بعد ذلك في حقنا كلمة، و رد الله كيد ذلك الرجل في نحره ببركة النبي صلى الله عليه و سلم، و ببركة والدنا،

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٥٧

ثم دارت الدائرة على ذلك الرجل، فأخرج من جميع وظائفه التي تتعلق بالحرم الشريف، و الله تعالى مع الضعيف.

توفى شمس الدين في سنة أربع و ثلاثين و سبعمائة فيما يغلب على الظن- رحمه الله-، و دفن أمام باب قبة سيدى إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و منهم:

[٦٩] عز الدين دينار البدرى.

رحمه الله من خادم، إذا [٧٠] قيل للنبي صلى الله عليه و سلم خادم، كان مسكنه دار الشرابى بزقاق الخدام، قد جعلها موثلاً للإخوان، و مرفقا لكل مرتاد، يعد فيها للمرضى أنواعا من الأمواه و الأشربة و الأغذية، لا يمرض فقير أو مجاور أو خادم إلا جاءه في الحين، و حمل إليه من كل ما يحتاجه، و كان عطاؤه عطاء السلاطين، و إن أعطى ماء لسان الثور، أو ماء خلّاف، و ما أشبه ذلك ملاء الإناء، و كذا يفعل في الشراب و السكر و غير ذلك، و متى وصف لمريض فقير دواء سعى في تحصيله حتى يأتيه به، ثم إنه لا يزال يطبخ في بيته الأشياء اللطيفة المناسبة، و يحملها بنفسه على يده، لا يستعين بعبده، و لا بغلامه [٧١].

و لا- أقول إنه يفعل ذلك مع أصحابه و من يعرفه من عناياه [٧٢]، و أحبابه، بل يجرى خيره على جميع الناس، و يأتئهم في الرّبط و المدارس، و يترقق لهم

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٥٨

و يشفق عليهم، و يشيهم- رحمه الله-، هذه حاله فيما ملكت يمينه.

و أما غير ذلك من مساعدة الضعيف، و القيام مع المنكسر بدين أو فقر فالعجب العجاب، و يخرج من ماله و يتضمن في ذمته، و يدخل على الغريم في بيته، و لقد ضمن مرة نحو خمسين ألف درهم طولب بها، و ضيق عليه فيها، ففرج عنه ببركة نيته، و لو تتبع آثاره الحسنه، و مناقبه الجميلة، لكان سيرة مدونة.

و أما سعيه في التثام الكلمة و إصلاحه بين الناس، و جمع الشمل بين الإخوان، و التأليف بين الأقران، فمن عجائب الزمان رحمه الله تعالى رحمه تنزله الجنان، و تبعده عن النيران، توفى- رحمه الله- سنة أربع و ثلاثين و سبعمائة.

و منهم:

[٧٣] شمس الدين رشيد الدورخاني.

رحمه الله، كان فيه من مكارم الأخلاق، و من محبة الإخوان و الشفقة على طلبه العلم و سذاجته، و قلته حذاقته في الدنيا ما لا مزيد عليه، يعطى العطايا الجزيلة، بيته بيت الملوك، و نوبته اقرأ من كتاب الله ما بعد يأتيك [٧٤]، كان سيده يحبه فيتحنه في كل سنة بما يحتاج إليه من السكر و الشراب و أنواع الحبوب، و حبب الله إليه الإنفاق، فاتسع الناس في خيره حتى مات مستورا رحمه الله تعالى في سنة ثلاث و أربعين و سبعمائة.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٥٩

و منهم:

[٧٥] شمس الدين صواب الجمداري.

رحمه الله تعالى كان من أجوايدهم و ذوى الرأي منهم، ممن يعظم الشرع و أهله، عليه سكينه و وقار و حسن أخلاق، و بشاشة عند التلاقي، كانت له رئاسة و حشمه، و إطعام للكسرة، و كان نائبا للشيخ عز الدين، و له عتقاء حسنة، و بنى دارا و أوقفها، و اشترى في آخر عمره نخلا- جيدا و أوقفه، و له غير ذلك من الأوقاف، كان ذا حياء لا تكاد تراه يمزح و لا يضحك، و لا يجلس إلا في وقت ضرورة في أيام نوبته، و له خادم رئيس قليل الخلطة بالناس، توفى الجمداري رحمه الله تعالى في سنة ثمان و خمسين و سبعمائة [٧٦].

و منهم:

[٧٧] جمال الدين محسن الإخميمي.

و منهم:

[٧٨] ظهير الدين مختار الزمردى.

كانا على نسق واحد من حسن الهيئة و المهابة و الرجل [٧٩] و الحذاقة، مع

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٦٠

المحافظة على المروءة، و السلامة من الناس في مخالطتهم، توفى الزمردى بمكة سنة خمسين و سبعمائة.

و أما جمال الدين الإخميمي رحمه الله تعالى، فإنه رأس الخدام حتى عين لمشيخة الحرم لكن أدرسته المنية.

و كان رحمه الله رأس الخدام في وقته، و أكثرهم حشما، و أبعدهم من الشر و أهله، لين الجانب، كثير الأدب، حسن الخلق رحمه الله عليه، و بنى دارا حسنة و أوقفها، فلما كملت مات قبل أن يسكنها عوضه الله خيرا [٨٠].

و كان لى من وده و موالاته نصيب وافر، و كان له نخل أوقفه، و غلام أعتقه، و جعله مع الفراشين هو من خيارهم، جزاه الله خيرا و رحمه رحمة واسعة، توفى سنة خمس و خمسين و سبعمائة.

و منهم:

[٨١] شهاب الدين مرشد القارئ.

رحمه الله، كان قريبا من الناس، سريع الميل إلى من يؤانسه و يجالسه، و كان يتعانى الأشياء الحسنه اللطيفة من الأشربة و الأمواه و المعاجين و الفاكهة، و لا يزال بيته معمورا بالضيفان، مبدولا للإخوان، يعمل الأشياء الفاخرة من الحلوى العزيزة الوجود في الحجاز، و

يهديتها لأصحابه، و يتحف بها من يرغب في بركته و دعائه من صالحى المجاورين.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٦١

و كان- رحمه الله- قل أن تطلب منه حاجة فيقول: لا- أجدها، بل يحرص على تحصيلها و يطلبها من مظانها، حتى يقضى حاجة صاحبها، سجيئة صالحه، و تجارة رابحة.
و منهم:

[٨٢] الطواشى نصر- رحمه الله-]

كان من عباد الله الصالحين، كان من الخدام القدماء الصلحاء، المتمرنين على العبادة، المتصفين بصفات أهل السعادة، كان يجاور سنة بالمدينة و سنة بمكة، و كان يختار سكنى رباط دكالة، لم يزل فيه ليقرب من صحبة المشايخ الصالح الساكنين به، و كان يصوم الثلاثة الأشهر متواليه، و كان لا يصحب إلا المجاورين الذين لهم فى العبادة قدم، و هم فى الناس كنار على علم، له اليوم خادم صالح من أهل القرآن، عاش بين الإخوان بعقله، و ساس وقته بفعله، و كانت وفاة سيده فيما يغلب على الظن سنة ست و ثلاثين و سبعمائة.
و منهم:

[٨٣] مختار المعروف- بالموله-]

كان من إخوان نصر الطواشى فى خلقه، صحب المشايخ الكبار، مثل الشيخ أبى محمد البسكرى و غيره، فتأدب بأدابهم، و اكتسب من أخلاقهم، و كان له كرم و اعتقاد حسن، و كان من الخدام الذين لهم أخباز، و كان الشيخ عمر الخراز من إخوانه، و كان عمر يأخذ الذين الكثير لأجل عياله، فيأتى الموسم و عليه فوق
تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٦٢
الثلاثة الآلاف درهم فيقضيها الطواشى مختار، و ربما يقول له: خذ من خبزي بغير ميزان، فيحفن له حفنات تقضى دينه، و يعينه على وقته.
و بلغنى أنه يجمع الفقراء و يعطيهم ثوبه يفلونه، يريد بذلك المؤانسة، ثم يعطيهم التمر و الخبز يرون أنه أجره، و ما هو إلا ليحصل الثواب و الأجر بلا منه عليهم، رحمه الله عليه، توفي سنة إحدى و أربعين و سبعمائة.
و منهم:

[٨٤] عز الدين ربحان الطباخى.]

رحمه الله، كان حنفياً، متفقه، ملازماً للعلماء، محباً فى الفضلاء، مساعددا عند الشيوخ على تسديد الأمور المعضلات، و ترقية الخصومات، كثير الحج إلى بيت الله الحرام، توفي رحمه الله فى سنة ست و أربعين و سبعمائة.
و منهم:

[٨٥] ربحان الهندى.]

من الخدام الذين طالت إقامتهم فى الخدمة الشريفة، له مآثر حسنة، و وقف رباطين حسنين، عمّ النفع بهما، و نخيلاً جيدة، و سقاية للماء، و دارين، و كان كثير المعروف، محباً للخير و أهله، مؤثراً الباقي على الفانى [٨٦]، رحمه الله.
تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٦٣

و منهم:

[٣١- أمين الله خالص البهادى.]

كان فيه من السكون والخير المكنون، ما لا مزيد عليه، و كان يتعانى الفلاحة، فيخالط الناس فيسلم منهم و يسلمون منه، متواضعا متأدبا يرحم المسكين، و يعين من به يستعين.

طالت أيامه و كثر ماله، حتى أوقف الأوقاف، و له رباط بباب البقيع، و له عتقاء من عبيد و إماء، و غرس فى الحرم خادمه سرورا لقراءة القرآن، و ألزمه حضور الأسبوع، فجادت قراءته و حسن صوته، فظهر بين أقرانه برجله، و شجاعه.

و منهم:

[٨٧] عنبر الموصلى.]

و هو من قدمائهم، كان خادما للشيخ محمد الأعمى، خدمه محبة لله و موالاة، فاكسب من أخلاقه الحسنه و رياضته مدة حياته، ما حصل به خيرى الدنيا و الآخرة، بنى دارا قبالة دار العشرة و أوقفها [٨٨].

و منهم:

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٦٤

[٨٩] مفتاح الهندى.]

كان من الكبار، عاش مائة سنة على عبادة و مجاهدة من أرباب الكرامات، وقف نخلا جيدا بالحشان، و نخلا آخر ببئر عز العرب، كان يعمل كل سنة فى شهر ربيع الأول مولدا للنبي صلى الله عليه و سلم ينفق فيه نفقة جليله، و كان يقول: إنه يعرف يوم وفاته، و إنه يموت فى شهر رجب- أظنه السادس أو الرابع منه- فكان كذلك، و كان غالبا يعمل مولده فى بيتى، و يحضر كأنه واحد من الجماعة. و حضر يوما مع الجماعة، فلما خرجوا قدمت له طعاما فيه لحم، فوفقت فى حلقة لحمه، شهق منها شهقة ما شككت أنه مات، ثم إنه أفاق بعد ذلك، و قال لى عند إفاقته: خفت على أن أموت، لا أموت اليوم، بل بقى لى كذا و كذا ثم أموت، فكان كما قال رحمه الله و نفع به.

و منهم:

[٩٠] الطواشى صندل.]

كان من أكابر القدماء الرؤساء المتعفين الدينين، كثير الصدقة بالبر و الخير، و أوقف و أعتق، و أثر آثارا حسنة، و كان من أحسن الناس خلقا و خلقا، محبا فى المجاورين، شفوفا على أولادهم، قد سلم الناس من يده و لسانه.

و منهم:

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٦٥

[٣٥- نجيب النظامى.]

توفى و هو ساجد فى صلاة التراويح، رحمه الله عليه عند باب الرحمة.

و اعلم أنه كان قبل هؤلاء و معهم و بعدهم جماعة كثيرون، يتيفون [٩١] على المائة لو عددتهم كلهم متصفون بالخير الكثير، و الدين

المتين، والأوقاف من الدور والنخيل، وعتق الأرقاء من الخدام، الذين كثير منهم اليوم في الحرم الشريف، والعييد والإمام مع الاجتهاد في قراءة القرآن، والإكثار من سماع الحديث، ولو تتبعتهم و ذكرت صفاتهم و ما علمت من أحوالهم، لطال الكلام و اتسع المقال.

منهم:

كافور المحسنى، نائب المشيخة، والتاجى، والناصحى، و صواب الأبيكى، و مختار البغدادى الحلى، و كافور التكريتى، و عنبر المخلصى، و عنبر الفارقى، و شبل الدولة كافور الجلدكى، و نصر الصالحى، و دينار القرطبى، و الجواجانى، و صندل البغدادى، و الفخرى، و مختار خادم اللالا، و غيرهم طبقات عديدة يطول ذكرهم تغمدهم الله برحمته.

ثم إن في الحرم الشريف اليوم جماعة كثيرة من نمط هؤلاء المتقدم ذكرهم، متصفون بما اتصف به إخوانهم من الديانة، و صحة الصالحين، مع الحسنات الكثيرة الظاهرة و الخفية، و الأوقاف العظيمة من النخيل و الدور و العتقاء مع قراءة القرآن، و المواظبة لاستماع الحديث، و المثابرة على الصلاة في الصف

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٦٦

الأول دائما، و فيهم جماعة متبتلون للعبادة على طريقة السلف الصالح نفع الله بهم، و لم أترك ذكرهم إلا أن الغرض في هذا تنبيه الشاهد بأحوال الغائب، و تحريض الخلف، على اتباع السلف، و قد ذكرت منهم جماعة مع ذكر معتقدهم.

و سيأتى ذكر بعضهم في أثناء الكتاب إن شاء الله تعالى، و لم أقصد الترتيب فيما وضعت، و إنما وجه الله العظيم أردت، فيما سأذكره و فيما قد ذكرت، و جمع الكلمة قصدت، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، و ما توفيقى إلا بالله عليه توكلت.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٦٧

فصل في ذكر جماعة من المجاورين القدماء و المشايخ الصالحاء و التعريف بكشف أحوالهم و مناقبهم

إشارة

و أصف لفروعهم طيب أصولهم؛ ليتخلقوا بأخلاقهم، و يتأدبوا بآدابهم، و يكتسبوا من محاسنهم في الأقوال و الأفعال. و في مثل ذلك يقال:

أرى كل عود نابت في أرومة أبي صالح العيدان أن يتغيرا
بنو الصالحين الصالحون و من يكن لآباء صدق فهو بالخير أجدر

فمن أولهم و أولاهم بالذكر ذو الولاية العلية، و المقامات السنية:

[٩٢] الشيخ الصالح الولي الرباني، أبو محمد عبد الله البسكري.]

كان في بلاده من أكابرها في النسب، و من أعيانها في المال و الحسب، خرج عن ذلك كله، و انقطع إلى الله تعالى و رسوله، و خرج مجردا فقيرا، صحب مشايخ وقته شرق البلاد و غربها [٩٣].

و منهم: [٩٤]

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره ؛ ص ٦٧

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٦٨

[٩٥] الشيخ أبو محمد المرجاني.

و غيره.

ثم أوى إلى المدينة في وقت شديد، على قدم التجريد، فأقام أولاً بالمدرسة الشهابية مدة، ثم انتقل إلى رباط دكالة و معه جماعة من أهل المجاهدة و الصبر، فمكث به سنين لا يعلم حاله أحد، و لم يتعرض لزوجه و لا ولد، كان أصحابه يطوون الأيام على غير شىء من الطعام.

أخبرني بعض خدام الشيخ رحمه الله: أنه كان له أصحاب مغاربة مثل:

يوسف الخولى، و حسن الخولى، و محمد المكناسى، إذا جاءوا من عملهم من الحدائق حملوا معهم شيئاً من رمام البقول الذى لا يصلح إلا للدواب، كالسلق، و بقايا اللفت، و من هذا الجنس، فأتونهم به فيأخذهم خادمهم و يسلقه، و يضعه فى قصعة إلى أن يأتوا من صلاة العشاء، فيقدمه لهم و هم صائمون، فيأخذ كل منهم كفايته، و ما فضل عنهم أخذه الخادم و رماه فى خارج باب البلدة، تأكله البهائم.

استمروا على ذلك سنين لا يعملون غير ذلك إلا فى النادر، حتى فطن بهم بعض الناس، و كان يأتهم بشىء من الأعشار كعشر الشعير و التمر، منهم تركى الأمير جماز يقال له: سنجر، و أبو شميلة الدارنجى فترفع حالهم و كثر أتباعهم، و مال الناس إليهم لما رأوا من خيرهم و اعتزالهم، ثم قصدهم الخدام و صحبهم، و اشتهر فى البلاد ذكرهم، و ذكر الشيخ أبو محمد، فكان يقصد من

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٦٩

البلاد البعيدة كاليمن و غيرها.

و كان الشيخ مبسوط اليد لا يدخر شيئاً، و لا يرد فقيراً، و لا يبيت على معلوم، كان إذا جاء قادم من مكة أضافه و وانسه، ثم يقول له: ارفع طرف الحصرير، فيرفعه فما وجدته تحته فهو له، سواء كان درهماً أو مائتاً، و إذا أطعم الفقير لم يدع فى بيته قمحاً و لا سمناً و لا عسلاً، بل يعمل له الجميع حتى إنه عمل يوماً للفقراء طعاماً و لم يجد له إداماً غير برنية شراب أهديت له لمرض كان به، فأمر بصبها و إيدام الجماعة بها، و ظهر فى الناس بالكرامات و الإخبار بالمغيبات، حتى انعطف عليه الناس لعلمه و عمله، و كرمه و حسن خلقه، و كان مع ذلك مهيباً فى جماعته، بل فى الحرم الشريف.

قال لى من أثق به: إنه كان إذا دخل المسجد خضع له كل من فيه، من كبير و صغير، و متى رأى منكراً غيره بلسانه أو بيده، و كان أعظم أصحابه.

[٩٦] الشيخ عبد الواحد الجزولى رحمه الله من العلماء الزهاد

، و منقطعاً كانقطاع الشيخ أبى محمد، و مجاوراً له فى رباطه، مكباً على نسخ العلم، عالماً بالحديث و القراءات، له كتب كثيرة بخطه أوقفها كلها، و فرّقها قبل موته بقليل رحمه الله، كان إذا رأى منكراً غيره بيده و لسانه، و اتفق أن بعض المشايخ الكبار مرتب فى قراءة ختمه قبل صلاة الجمعة يجلس لقراءتها على كرسى، و يرفع صوته بالقراءة، فقال له الشيخ عبد الواحد: لا تجلس فى هذا الوقت، و لا ترفع صوتك بالقراءة فيتأذى الناس برفع صوتك، فقال: هذه وظيفة مشروطة بهذه

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٧٠

الصفة، فلا بد أن أفعل الشرط، و إلا آكل حراماً، فقال له: قد نهيتك، فإن لم تفعل و جلست بعد هذا أخذت بلحيتك هذه، و أنزلتلك من على كرسيتك، فإن شئت فافعل، و إن شئت فدع، فترك ذلك رحمه الله.

فلما ذهب أولئك الشيوخ الأمرون بالمعروف و الناهون عن المنكر، عادت القراءة كما كانت، و هي الختمة التي تقرأ اليوم في الروضة قبل الصلاة.

و كان مما يعد من كرامات الشيخ أبي محمد البسكري، أنه لا يأتيه مظلوم يشتكى عليه ظالمه إلا شفع له، فإن شفع فيه، و إلا عجلت عقوبة الظالم في وقته.

أخبرني من أثق به: أن الشيخ:

[٩٧] أبا العلا إدريس رحمه الله

تكلم بكلام وصل إلى الأمير جماز، فغضب عليه و أمر بإخراجه من المدينة، و ذلك أن شيخ الخدام في وقتهم كان يحسن إليهم و إلى سائر المجاورين، و يفرق عليهم من التمر كل سنة قدر كفايتهم و عيالهم، و كان شيخ الخدام يومئذ يجري في الأوقاف مجرى أهل المدينة في مغارساتهم و معاملاتهم على جاري العادة في المدينة، و أحكام قضاتهم، و لهم عادة في المغارسة غير جائزة بإجماع من الأمة، و الأملاك لا تعمر إلا بها، و لا يرغب في خدمتها إلا من يأخذها بذلك.

فبلغ ذلك الشيخ أبا العلا رحمه الله، و كان من الورعين الزاهدين، فلما جاء

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٧١

وقت تفريقه التمر على المجاورين أرسل إليه بنصيبه على العادة فتورع وردّه، فجاءه الشيخ، و قال: لأى شىء ترد التمر و أنت لم تزل تأخذها؟ و إذا كانت غنيا عنه صرفته على مستحقه و لا تردده في وجهي؟

فقال له: أنت خالفت في الأوقاف المعاملة الشرعية، و عملت فيها ما لا يجوز، و أدخلت علينا الشبهة فيما نتناوله منها، و هذا لا يجوز لك، و لا يحل لنا أن نأخذ منكم، فاشتد على الشيخ كلامه و أن يسمع منه مثل هذا الكلام، و كانوا يغارون على عرضهم و دينهم من مثل هذا الكلام، أو دون هذا، فكأنه شكى حاله معه إلى الأمير جماز، و قد تقدم أنه كان بينه و بين الشرفاء خلّة و صحبة أكيدة، فاغتاظ الأمير، و أمر بإخراج الشيخ أبي العلا من المدينة.

فبلغ ذلك الشيخ أبا محمد البسكري و الجماعة فعز ذلك عليهم، و أرسل الشيخ أبو محمد إلى الشيخ بأن يترك له صاحبه و لا يشدد عليه، و يرد الأمير عنه، فلم يفعل.

فقال لى: إن الشيخ أبا محمد بعث إليه جماعة من أصحابه بعد العشاء الآخرة، فدخلوا عليه في بيته فوجدوه قد اضطجع على سريره، فوقفوا بين يديه كاشفين رءوسهم في الاستغفار، فغفل عنهم فنام و غلب عليه النوم، فما قام حتى ذهب جانب من الليل فوجدهم قياما على حالهم فعز عليه.

و قال: اذهبوا حتى يأتيني هو بنفسه أو شيئا نحو ذلك، فرجعوا و لم تنقض لهم حاجة، و أخبروا الشيخ أبا محمد بما تم لهم معه، فغاضه ذلك و خرج لصلاة الصبح، فاجتمع بالقويضى ابن أبي النصر، و كان مفتى الإمامية و شيخهم، و كان يعتقد الشيخ أبا محمد، فحكى الشيخ الحكاية، فجاء إلى شيخ الخدام فكلمه فأنعم له و قبل شفاعته، ثم جاء إلى الشيخ أبي محمد، فقال له: قد

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٧٢

أنعم و رضى و جعل له بذلك عليه يدا.

فلما خرج جمع الشيخ أبو محمد أصحابه، و حكى لهم ما جرى من الشيخ و كونه لم يقبل الفقراء، و لم يعز عليه و قوفهم بين يديه كاشفين رءوسهم، و قبل شفاعته ابن أبي النصر، فجمعوا خواطرهم عليه فمرض من حينه، و اشتكى حتى طلب منهم التحليل و الرضا، فنقد سهمهم و انقضى فيه الأمر فقضى.

أخبرني أفضى القضاة جمال الدين المطرى- و كان ملازما خدمتهم؛ لأن مسكنه في الحجرة التي عند باب رباطهم:- أن الشيخ أبا

محمد لما دخل مكة المشرفة قصد زيارة الشيخ نجم الدين الأصبهاني، فلما جلس إليه أراد أن يسأل الشيخ نجم الدين عن اسمه، فبدره الشيخ نجم الدين، وقال له: اسمي مكتوب بين عينيك، ففهم الشيخ مقاله، وأنه كاشفه، وأن اسمه كاسمه عبد الله رحمهما الله.

ولما عازمت على التوجه إلى مكة المشرفة في طريق المشيان في حال الشبوية، أظنه عام عشر و سبعمائة، جاء والدي إلى الشيخ أبي محمد فأخبره بعزيمتي، فقال له: ابعته إليّ، فجئته.

فقال: بلغني أنك تريد مكة المشرفة، فقلت: نعم يا سيدي؛ لأجل العمرة في رمضان، فقال لي: من رفيقك؟ فذكرت له جماعة من الفراشين وغيرهم، فقال لي: ليس في هؤلاء من هو من جنسك ولا من يليق بك، وكان اصبر قليلا حتى نظر لك، فقلت له: ضاق الوقت، وقد دخل شهر رمضان ومضى أكثره، فقال لي: اسمع ما أقول لك، فذهبت عنه و وثقت بوعده، فما كان إلا قليلا إذ ورد المدينة زائرا.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٧٣

[٤٠- الشيخ محمد بن عمران الخضري و جماعة من الصالحين]

، فدعاني الشيخ وقال لي: سافر مع هذا، فسافرت معهم، فرأيت من الشيخ محمد بن عمران وأصحابه من الخدمة والشفقة والمؤانسة، ما لو كان والدي معي لم يرفأ بي كذلك، ولم أحمل معهم غير عصاى التي كانت بيدي رحمهم الله أجمعين. فدخلت مكة ليلة الثامن والعشرين من رمضان، و خرجت يوم العيد متوجها إلى المدينة مع الشيخ الصالح.

[٤١- محمود اللارى]

، ذى الأخلاق الحميدة، والمعاشرة الجميلة، والديانة التامة، والمبادرة إلى انتظار الصلوات من أول الأوقات، فصحبته في الطريق فكان نعم صاحب، وكان ذلك بإشارة الشيخ أبي عبد الله النحوى، وإشارة أبي عبد الله الشريف الفاسى رحمهما الله، فوصلت المدينة في ستة أيام، وذلك كله ببركة الشيوخ وخاطر والدي رحمه الله. وكان الشيخ أبو محمد البسكرى قد ابتلى في آخر عمره بالبواسير نسأل الله العافية لنا ولكم، فانقطع في بيته ولزم حجرته، وقاسى منها مقاساة عظيمة حتى كان يقول: لو جاز لي أن أسأل الله تعالى لى الموت لسألته، من شدة ما قاسى، رحمه الله. وله من المناقب والأحوال العلية ما لا أحصيه عدا، ولا ينتهى حدا، نفع الله به، وهو صاحب القصيد المشهورة المباركة التي أولها: دار الحبيب أحق أن تهواها وتحنّ من طرب إلى ذكراها

و رأى بعض الصالحين النبى صلى الله عليه وسلم وأشكّ هل كان هو الشيخ رحمه الله أو غيره؟ وأنشد هذه القصيدة فلما بلغ آخرها.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٧٤

وهو قوله:

والحمد لله الكريم وهذه تجزت وظنى أنه يرضاه

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رضيناها رضيناها [٩٨].

و أما من بعده في هذا المقام الرفيع، والمرتع المريع.

فصاحبه الشيخ:

[٩٩] عبد الواحد الجزولي.

كان فيه من الشدة في الدين، وقوة اليقين، مع العلم والعمل ما لا عليه مزيد [١٠٠].
وقد تقدم ذكره مع الشيخ أبي محمد البسكري رحمه الله، توفي قبل والدي بسنين أظنها أربعاً أو خمساً، وأما ذكر جماعتهم فقد تقدم ذكر بعضهم.

ومن كان يخدمهم من الأعيان الشيخ سعيد والشيخ ريحان النوبى والشيخ موفق الحبشى وكثيرون على أخلاق شيوخهم وطريقتهم، وخلف الشيخ أبا محمد فى مكانه ومنزله جماعة صلحاء.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٧٥

منهم:

[١٠١] الشيخ عز الدين الواسطى.

كان من أهل العلم والعمل، وأرباب القلوب، دخل المدينة للزيارة فوقف على باب السلام، وسلم من مكانه ورجع إلى منزله، فقيل له فى ذلك، فقال:

إنى لم أجدنى أهلاً للدخول إليه، ولا للوقوف بين يديه، من أنا حينئذ حتى أصلح لذلك [١٠٢].

ثم أقام بالمدينة فكان لا يزال لسانه رطباً بذكر الله وبتلاوة القرآن، وكان يقرأ قراءة لم يسمع السامعون مثلها، وكان مسكنه فى الرباط المذكور فى بيت الشيخ أبى محمد على تقشف و فقر.

كانت يوماً عند الشيخ أبى الحسن الخراز فقال لى ولجماعة معى: رأيت البارحة هذا الفقير الذى أقام عندنا على المنبر يخطب، فلا بد له من ذلك.

وكذلك رأيت بعد وفاة الشيخ أبى الحسن على المنبر خطيباً، لما سافر القاضى سراج الدين استتابه فى الإمامة والخطابة، فقام بها أحسن قيام، وكان عليه روح، وللناس فيه اعتقاد عظيم، وهذا مع ما يوجد فيه من سلامة الباطن والسداجة والتغفل، حتى يظن الذى يراه أن به هبلاب وهو فى علمه واجتهاده متقن العلم والعمل لا يعتريه خلل، إذا أخذت معه فى شىء من أحوال الدنيا، كان جوابه بأحوال الأخرى، فينقطع معه الكلام.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٧٦

وكان إذا جاء أحد وشكى إليه من ضرر أو مرض، قال له: قل: يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا راحم المساكين، ويا أرحم الراحمين سخر لى كذا، أو اصرف عنى كذا، فإن جاءه يشكو من فاقه وقله، قال له: قل: ما يفتح الله للناس من رحمته فلا ممسك لها وما ممسك فلا مرسل له من بعده (فاطر: ٢) [١٠٣].

ومما جرى من أحواله أن المدينة حوصرت أياماً، واشتد حال الناس من التضيق عليهم والخوف من عدوهم، ومع ذلك لا يدرى ما الناس فيه فاختفوا فى بيوتهم، فلقى شخص من الهاريين من أرباب الدولة والشيخ قد توضأ، وخرج إلى المسجد فقال له: يا سيدى أين تريد؟ قال: المسجد، قال:

المدينة دخلت وأبواب المسجد غلقت، لا يدخله أحد.

قال: أى شىء تقول؟ فأعاد عليه، قال: ومن هم هؤلاء المساكين الذى أخافوا المدينة وأهلها، ويريدون أن يمنعونا من صلاة الصبح فى جماعة؟ ثم مضى إلى المسجد فعلم بمكانه ففتح له، ودخل وصلى ما كأن شيئاً جرى، فكان ذلك الشخص يحكى هذه الحكاية،

و يعجب الناس بها [١٠٤].

و لقد أخبرني بعد وفاة والدي و كان يقرأ على والدي العربية، و يقطع الكتاب من أوله إلى آخره، ثم يعيده مرة أخرى لطلب المؤانسة معنا، و المحبة في والدي فبشرني بأنني أكون في مقامه، و أتولى ثلاث و لا-يات في ذلك العام فكان كذلك، جاءني موسم بالتدريس في المدرسة الشهابية، و جاءني تدريس درس القاضي فخر الدين ناظر الجيش، و جاءني تدريس من المغرب، أقامني تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٧٧

فيه شعيب بن أبي مدين، و ذلك كله في عام ثلاثة و عشرين و سبعمائة، فأعان الله تعالى و رزقني على الإشغال [١٠٥] إقبالا كثيرا، و حسدت حسدا عظيما، و قصدت بالأذى فزادني طولا، كثير يظنون أنهم يسعون في إخمالي و حط منزلتي، و ما سعوا إلا في ظهوري و نشر فضيلتي [١٠٦].

و لله در القائل:

من خص بالشكر الصديق فإنني أحبو بخالص ودى الأعداء
وروا على معايبي فحذرتها و نفيت عن أخلاقي الأعداء
جعلوا التنافس في المعالي ديدني حتى رفعت بفعل الجوزاء
و لربما انتفع الفتى بعدوه فالسّم أحيانا يكون شفاء

و مع ذلك فقابلتهم بالحلم عليهم، و الإحسان إليهم، و صبرت إلى أن فرج الله تعالى، و النصر مع الصبر فله الحمد على كل حال.
و لله در القائل:

ما دمت حيّا فدار الناس كلهم فإنما أنت في دار المدارات
من يدر داري و من لا يدر سوف يرى عما قريب قرينا للندامات

و مما جرى لي مع هذا الشيخ في سنة خمس و ثلاثين و سبعمائة، أنه تحامل عليّ بعض القضاة، و لفيف من أولئك الحسدة، فرموني عند الأمير طفيل برميّة بليّة، و ذكروا له أن شخصا مات و ترك عندي مالا كثيرا، و لم يكن من ذلك شيء، إلا
تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٧٨

أن ذلك الشخص أودعني مبلغا قليلا، و صّي به في شراء نخيلات تكون وقفا على رباط السبيل، فقلت للأمير و أعوانه: ليس عندي غير هذا، و قد وصاني فيه بكذا، و معي على ذلك شهود جياذ أحدهم الشيخ عز الدين دينار شيخ الحرم، و الآخر الشيخ عز الدين الواسطي، و كان الأمير طفيل غائبا في الفلاة، و اشتغل بي ذلك القاضي و تلك الجماعة، و كانت قضية عويصة، صادفت أوقاتا شنعاء، و عدا بشعة، لها قضية طويلة جرى لي في أثنائها أطاف عديدة.

و ذلك أن وزير الأمير قام عليّ في ذلك بحس القاضي، و بنى عليّ كلامهم، فلما خفت كثرة الأعداء و اشتغالهم بي و تطلبهم عثراتي، شكوت ذلك إلى شيخ الخدام عز الدين رحمه الله، و سألته الجلوس في المسجد و المبيت فيه حتى يحضر الأمير من البادية، و كان عليّ مسيرة أيام من المدينة، فجلست في المسجد مع أخي محمد رحمه الله ليلا و نهارا، و خرج أخي عليّ رحمه الله خفية، و ركب راحله توجه إلى الأمير في هذا الأمر، و كان له عليه دليّة و صحبة أكيدة، و محاسنة و ملايمة، فأقمت في المسجد عشرة أيام بلياليها، بين قيام و صيام و اعتكاف حصل لي بذلك خير كثير، فكنت في ليلة أصلي عند أسطوانة التوبة، و هي التي في آخر صف الروضة الملاصقة للشباك اليوم، عليّ ما ذكره عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، و تبعه مالك بن أنس رحمه الله عليه، و ما قيل فيها غير ذلك فغلط، أوجه أشياء يطول ذكرها، فلحقتني سنة و أنا ساجد عندها، فرأيت شخصا قد خرج ربع القامة، حسن الوجه و الهيئة،

مليح الثياب فمرّ عليّ، و قال: قم قضيت الحاجة.

فاستيقظت فلم أر أحدا، فلم يكن إلا قليل إذ جاء أخى بمرسوم الأمير أن لا يتعرض لى أحد، حتى يقدم إلى المدينة، فلما قدم بعد مدة اجتمعت به، فقال: لئن لم تأتني على ما قلت بشهود، و إلا فالذى يقال عنك صحيح.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٧٩

و كان معى الشيخ عز الدين دینار شیخ الخدام رحمه الله، و الشيخ عز الدين الواسطى كما تقدم، فقلت له: معى عز الدين دینار، فقال: لا أقبله، ذلك صاحبك و هو عدونا، فجئت إلى الشيخ عز الدين، و ذكرت له الحكايه، و عهدى منه أنه لا يفهم على الناس ما بينهم من أمور الدنيا و لا يذكر الشهادة، فقال لى: إذا خرج الأمير إلى المسجد لصلاة الجمعة اجتمعت به.

و كان لا يجتمع بأحد من أرباب الدنيا، و لا يعرف الأمير و لا الوزير، لكنه عندهم معلوم السيرة، مشهور الطريقة، فلما حضر الأمير فى المسجد، و جلس مجلسه المعروف جئت إليه، و قلت له على خوف: ما تقول فى الشيخ عز الدين الواسطى؟ فقال: أقبله و من هنا مثله؟! فناديت الشيخ عز الدين، و فى ظنى أنه لا يعلم ما قلت له، بل لا يذكر مجلسى معه، فلما جاءه عظمه الأمير طفيل و قام له، فبدأه الشيخ بغضب، و رفع صوت و انزعاج، و قال: يا طفيل اتق الله، كررها ثلاثا، و هو يقول: الله يجعلنا يا عز الدين من المتقين. ثم قال له: أما تتبع جدك و أفعاله، كان جدك عليّ بن أبى طالب -رضى الله عنه- متصفا بكذا و كذا، و ذكر له من الوعظ ما أبهته حتى و دّ أنه لم يأتته.

ثم قال له: ليس لك عند هذا الفقيه شىء و لا دعوى، و ذلك الرجل الميت كان فقيرا من الفقراء، و الذى يقول لك الفقيه هو الصحيح و السلام.

فقبل كلامه و حمله على الشهادة، و رأى الناس أن هذا كان من الشيخ بغير قوته، و لا جارى عادته، بل أجراه الله على لسانه لما أراد الله لى بإحسانه و فضله.

و الذى لقيت من الأعداء و الحسدة البغضاء الذين أبادهم الله، و لم يبلغوا

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٨٠

مما أملوا من الشر شيئا لا يحصى، و فى كيفية نصر الله عليهم فى قصص طويلة لا تستقصى، و لا يسع تدوينه فى كتاب، و إلى الله عز و جل معهم المآب.

و ما أحسن قول القاضى صدر الدين بن القماح رحمه الله:

اصبر على حلو القضاء و مرّه و اعلم بأن الله بالغ أمره

فالصدر من لقى الأمور بصدره و بصبره و بحمده و بشكره

و الحرّ سيفّ و الذنوب لصفوه صدأ و صيقله نواب دهره

فإذا أصبت بما أصبت فلا تقل أوذيت من زيد الزمان و عمره

و اثبت فكم همّ أهمّك عسره ليلا فبشرك الصّباح بيسره

و لكم على يأس أتى فرج الفتى من سرّ غيب لا يمرّ بفكره

و لربّ ليل فى الخطوب كوحلة صابره حتى ظفرت بفجره

و مع ذلك فالخير كله فى الحلم و الصبر، و دفع السيئة بالحسنة، و فى تقوى الله جماع خيرى الدنيا و الآخرة، توفى الشيخ عز الدين رحمه الله فى (سنه إحدى و أربعين و سبعمائة).

ثم سكن الحجرة مسكن الشيخ عز الدين.

[[١٠٧]] أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر مرزوق التلمساني.]

رحمه الله، و كان من أحبابي الكبار، و أصحابي الأخيار، بل لم أصحاب مثله في الناس و لم أر مثله على قياس، أقام بمكة قبل أن يأتي المدينة، فلزم الطواف حتى زمن و أقعد، فلما قدم المدينة لزمني و لزمته، فمنّ عليه بالعافية، و أول ما تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٨١ نزل نزل في بيتي [١٠٨].

و كان معه ولده الفقيه العلامة الخطيب المشهور اليوم في بلاد المغرب بالعلوم و الفوائد، و التصانيف و الرئاسة، و أحبّه الملوك و أحبته الرعية لما اشتمل عليه من المحاسن و العلوم، ثم تسلط عليه أعداء حساد، فامتحن بهم، ثم نجاه الله من كيدهم، و حسدهم أسوء بأهل الخير من السلف الصالح.

و كان قدومهم هذا إلى المدينة في عام ثمانية و عشرين و سبعمائة، و كان الولد أبو عبد الله المذكور حينئذ لم يبلغ الحلم، فاشتغل بالعلم حتى رجعا إلى بلدهما تلمسان، فأقاما سنتين، ثم رجعا إلى المدينة، فأقام الشيخ و رجع ولده، و استقر الشيخ في الحجر المذكورة، ثم انتقل إلى بيتي، ثم اشترى نصف دويرة، و سكنها حتى سافر إلى مكة، و مات بها في سنة أربعين أو إحدى و أربعين و سبعمائة [١٠٩].

كان له من الكرامات و الأحوال الجليلة العزيزة اليوم ما لا يحصر و لا يعدّ، منها أن سلط عليه شخص من بلاده يقال له: عثمان بن المعذور، كثير الشر يطلب منه كل حين النفقة، و يشغب عليه وقته بكثره التردد إليه، فملّه الشيخ أبو العباس و أراد قطعه عنه، فعمل على بابه غلقا له مفتاحان، و أراد إغلاقه حتى يظنّ أنه ليس في البيت أحد، فيخلو بنفسه في بيته حتى يخرج إلى المسجد لصلاته، ثم يرجع إلى بيته، فتسلط عليه هذا الرجل حتى وقف له بالليل عند خروجه في السحر إلى المسجد، و قال له: أنت فلان؟ و حقّ كذا و كذا إن لم

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٨٢

تعطني ما أطلبه منك لأقتلك، و لأفعلن بك كيت و كيت، ثم ذهب إلى الشرفاء فسعى به و قال لهم: عند فلان من الذهب عشرة آلاف و بالغ في الأذية، و الشيخ يحيله على الله تعالى، و يصبر على أذاه حتى مرض الشيخ في بيته، و كان مجاورا لي، فكأنه غفل عن الباب فدخل عليه و هو مريض، فروع و لو لم أعاجله بالدخول عليه لما كنت أدري ما يفعل به، ثم ذهب إلى الأمير و قال: إن مات ابن مرزوق استغيت الدهر، و كل ماله عند ابن فرحون، فبلغه ذلك و أخبرته بما صدر منه، فقال لي: وصل إلى هذا الحد؟ أنا إن شاء الله أريك فيه [١١٠].

فو الله لم تمر عليه أيام قليلة أقل من جمعة، حتى حمل إلى المقبرة بعد عذاب شديد ناله في مرضه، و ذلك سنة تسع و ثلاثين و سبعمائة [١١١].

و كان الشيخ لا يأكل الرطب و لا- الفاكهة و لا- البطيخ و لا- العنب و لا- اللحم و السمن حتى نحل ورق، و عزمت عليه بظاهر الشرع [١١٢].

و كان صائم الدهر، قائم الليل، و لا يفتر من ذكر الله تعالى، يتفقد الفقراء في بيوتهم، و يعالج الطّرحاء في مكانهم، و يطوف على المرضى بالمدينة فيتفقدهم أينما كانوا بالطعام و الدواء، و يشهيم فيعمل لهم ما يشتهون، و يطلب منا المساعدة على ذلك [١١٣].

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٨٣

و كان لا يزال متبسما يسأل عن الصغير و الكبير، و يأتي إلى بيوت أصحابه و يدعو لصغارهم، و كان لي منه نصيب أيّ نصيب، إن قلت: لم أنل الخير إلا معه، و لم أر السعد إلا في أيامه، كنت صادقا [١١٤].

و كان يتفقد نفسه إذا وقع في شيء من الهم، حتى إنه جاء يوما من المسجد ويده قطعة من حديد، تساوى فلسا، أو لا تساوى، فنادى ولدى أحمد فأعطاه إياها ليلعب بها، ثم خرج عنا، فلما دخل المسجد رجع بسرعة، فقال: ايتونى بتلك الحديد، فأتيناه بها، ثم بعد ذلك جاءنا على عادته فسألته عن حكايتها؟

فقال: لما رجعت إلى المسجد فقدت سكيننا كانت معى فى المحفظه، قال:

فتفقدت نفسى و تفكرت فيما عملت حتى عوقبت فى السكين، فلم أجد إلا تلك الحديده فرددتها فى موضعها فوجدت السكين، و كان فى هذا المقام و أعلى من هذا المقام [١١٥].

و اتفق أن مرض فى بيتى مرضه شديده، آيس من نفسه فيها، فدخلت عليه يوما و ولدى أحمد عنده، و كان صغيرا و أسمعه يقول: يا ولدى يا أحمد أقوم من هذا المرض و أتعافى؟ ثم سمعته يقول: فيها البركه يا ولدى، فقلت له: ما يقول لك، و ما معنى كلامك؟ فقال: قلت له: كذا و كذا، فقال: إشارة بيده أربع فتأولتها [١١٦] أربع سنين، فأنا أعيش أربع سنين، فكان كذلك، مات فى الأربعة

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٨٤

بمكه رحمه الله [١١٧].

و كان ليلة يصلى واقفا فى السطح، و كان يازائه نساء فى عرس، فضربوا الدفوف و المعازف و الرباب، و أنواع الطرب بحذائه، حتى إنه لم يدر ما يصلى، فرأيته قد نزل إلى أسفل البيت، فلم يكن إلا قليلا حتى طلع إلى مكانه، و سكن ذلك اللعب و اللهو، فسألته عن سبب سكوتهم؟ فقالوا: بينما نحن فى ذلك الحال إذ وقعت عروسنا من الدرجة فانعطبت فى رجلها، فعلمت أن ذلك بركة خاطره؛ إذ كانوا على أنواع من المعاصى و الملاهى، نفعنا الله به و جمعنا و إياه فى مستقر رحمته، فقد انتفعنا بصلاحه و بخاطره و بخدمته و بولده أبى عبد الله محمد من بعده حفظه الله تعالى، وردّه إلى ما كان عليه والده من الانقطاع عن الناس، و العزلة عن الخلق، فهو- إن كان على خير-، فحال الشيخ أكمل و أقرب إلى السلامه فى الدنيا و الآخرة، و قد تقدم ذكر وفاته جمعنا الله و إياه فى مستقر رحمته [١١٨].

ثم أدركت من الشيوخ الكبار:

[١١٩] عليا الواسطى.

كان من الأولياء ملازم الصوم، عديم النوم، كان يقيم بالمدينة أو بمكه، حتى إذا اشتاق إلى وطنه أخذ ركوته، و خرج حتى يأتى أرض العراق لا

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٨٥

يعترضه أحد من الأعراب، و من وجده أكرمه و بلغه إلى حيث يأمن عليه، قد عرفته العرب و اعتقدته آل مهتبا اعتقادا عظيما، حتى كانوا يصدرون عن رأيه، و يتبركون بعصاه و ثوبه، و كان إذا جاء المدينة سكن إحدى المدرستين الشهائيه أو الأزكجيه، و يخدمه جمال الدين المطرى و يقوم به، و يقتصر الشيخ عليه لا يكاد أحد يدنو منه لهيبته فى النفوس [١٢٠].

و حكى لى جمال الدين رحمه الله: أن الشيخ بعث إلى الملك الناصر يقول له:

أنا أضمن لك على الله قضاء ثلاث حوائج إن قضيت لى حاجه واحده، و هى إزالة هذا الشباك الذى على الحجره الشريفه، فبلغه ذلك فتوقف و لم يفعل، وليته فعل فإن الشباك الذى يدور على الحجره، قطع جانبا من المسجد، و حجز كثيرا من الروضه المشرفه، و فى كل زمان يجدد و يعمر بما يتقوى به و يتأبد، و أدخلت فيه قطعه كبيره لما أزيلت المقصوره، و قد تقدم ذلك، و للشيخ رحمه الله أنواع من الكرامات، لحق بها أهل الولايات، توفى رحمه الله فى حدود الثلاثين و سبعمائه [١٢١].

و مثله من سكان المدرسه الشهائيه:

[١٢٢] الشيخ أبو الربيع سليمان الغماري رحمه الله.

كان من شأنه التجرد و التقلل من الدنيا و التعب، كان يأخذ في الموسم قوته

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٨٦

كفافا و يتصدق بما زاد، و كان الشيخ عمر الخراز يشتري له إدامه و يحاول هو ذلك بنفسه، و لم يزل كذلك حتى كف بصره، فعرض عليه القيام بما يحتاج إليه من الإدام فلم يفعل، و كان يضع القديرة على كانون فحم، و يضع فيها ما تيسر، فإذا طابت أكل ما وجدته فيها على أى وجه كان، و ينزل إلى البئر فيملاً الإبريق بنفسه، فيقول له القيم أو غيره ممن يعتقده: يا سيدى أنا أكفيك ذلك، فيأبى، و لم يزل على هذه الحالة حتى توفى رحمه الله [١٢٣].

أخبرنى جمال الدين المطرى رحمه الله: أن السنة التي جاء فيها التتر إلى أطراف الشام، و تحرك عليهم فيها الملك الناصر، أيقن الناس أنه لا- يكون في تلك السنة حاج، و أن المسلمين اشتغلوا بأنفسهم، فهم الأشراف بالمجاورين و الخدام، و قالوا: نغتالهم و نقتلهم، و نطيب المدينة منهم، و جال الكلام بين الناس، حتى أرجفوا بالمجاورين و الخدام، قال لى جمال الدين: فجئت إلى الشيخ أبى الربيع فى الحرم فقلت: يا سيدى، ما ترى ما الناس فيه من الوعيد و التهديد؟ فقال لى: ما يقولون؟ فقلت: كذا و كذا، فقال: بل يكذبون، بل هذه السنة آمن السنين، و السلطان طيب، و سيحىء فى هذه السنة، و كانت سنة اثنتى عشرة و سبعمائة، قال: فلم نلبث إلا قليلا- إذ جاء الخبر بحج السلطان من الشام، و جاءت الإقامات، و تهدمت الإرجافات، و قوى رجال السنة، و الحمد لله بعد تلك المخافة، فله الحمد [١٢٤].

و أخبرنى الشيخ أبو عبد الله محمد بن سالم المكي، أنه كان ساكنا فى المدرسة

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٨٧

الشهابية فى بيت بإزاء بيت الشيخ أبى الربيع، قال الفقيه محمد: فكنت أدرس "التنبيه" و أرفع صوتى، و كنت جهورى الصوت لا أحسن أقرأ إلا كذلك، و لا أحفظ إلا برفع صوتى، قال: فتشوش الشيخ من رفع صوتى، فقال لى: يا محمد، اخفض من صوتك، قال: فقلت: يا سيدى ما أقدر أن أقرأ إلا هكذا، فقال لى: فاخفض قليلا، فلم أفعل، فأصابنى عارض من نزلة منعتنى أن أتكلم، فمرّ على، فقال لى: يا محمد ما ترفع صوتك! فقلت بالإشارة: يا سيدى، أنا تائب إلى الله تعالى، ففرج الله عنى فى الحين [١٢٥].

و كان الشيخ أبو الربيع- رحمه الله- فقيه المدينة و مفتيها على مذهب مالك، و كان إذا سئل عن المسألة يقول للسائل: هل سألت الشيخ أبا عبد الله بن فرحون؟ يعنى والدى- رحمه الله-، فإن قال: لا، يقول: اذهب و أسأله و أخبرنى بما يقول لك، و إن قال: سألته، يقول له: ماذا قال لك؟ فإذا أخبره نظر، فإن كان مما اتفقا عليه أمر السائل به، و إن كان فيه مخالفة ما، قال له:

اذهب حتى أجمع به، فيجتمعان و يحتران المسألة، ثم يأمران جميعا السائل بما يتفقان عليه، و لم يزا كذلك حتى توفى قبل والدى بمدة طويلة رحمه الله [١٢٦].

و جاءت إلى السراج وظيفة التدريس فى درس سلار، فنكب عن والدى، و طلع إلى الشيخ أبى الربيع فى بيته المدرسة، و قال له: خذ هذه الوظيفة فدرّس فيها، فقال له: يا سراج الدين، و أين أنت عن الشيخ أبى عبد الله بن فرحون؟

و الله إنه أعلم منى و أحق بها منى، و امتنع منها حتى رجع السراج يطلب لها

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٨٨

والدى، و كان ذلك من السراج لشيء خشى من وقوعه، فوقع ما توقع، و الله غالب على أمره [١٢٧].

و أخبرنى الشيخ عمر الخزار: أنه حضر موته فكان يقرأ القرآن، فلما فاضت روحه كان يقرأ آية فى سورة يوسف انتهت قراءته إليها، و هى قوله تعالى:

تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ (يوسف: ١١ [١٢٨]).

فانظر إلى هذا الرجل ومقامه، وما كان من علو شأنه، كان لى منه رحمه الله نصيب وافر و دعاء كثير، أرجو من الله العظيم أن يحقق لى قبوله بمنه و كرمه.
ثم ممن صحبنا، و من الله علينا بحبه و صداقته و الأخذ عنه.

[١٢٩] الشيخ الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد

بن على بن حريث القرشى البلنسى ثم السبتي العبدري.

أقام بالمدرسة الشهابية فى المبرك هو و الشيخ أبو عبد الله القصرى، كانا رحمهما الله متواخين من عند شيخهما الإمام العلامة أبى الحسين عبيد الله بن أبى الربيع، و عنه أخذ الفقه و الحديث، و كتب الشيخ أبو عبد الله القصرى فى ترجمة ابن أبى الربيع: إنه أعلم من رأيناه، و أفضل من لقيناه.

كان الشيخ رحمه الله على طريقة الأولياء العلماء العاملين، و كان إمام جامع سبتة، و كان معه مال حلال ورثه، و كان يسأل الله تعالى أن تكون وفاته عند

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٨٩

آخر درهم منه و كذلك كان، لم يتناول من حين دخل الحجاز إلى أن توفى طعاما، و لا شرابا، و لا ملبسا إلا من ماله، و ما قدم به معه، كان يلبس حسنا، و يأكل طيبا.

و كان الشيخ أبو عبد الله القصرى يلبس خشنا، و يأكل قوتا، إدامه باذنجانة واحدة، أو قليلا من حمص، و كان لا يأكل من لحم الحجاز، و لا من سممه، و كان يهدى إليه من الشام شىء من قديد اللحم فيقبله و يتبرضه [١٣٠]، و اتفق أن طبخ الشيخ أبو عبد الله بن حريث القرشى طيخا طيبا، و سأل الشيخ أبا عبد الله القصرى أن يأكل منه معه، فأبى.

فقال له الشيخ أبو عبد الله بن حريث: كل منه فإنه أحلّ من طعامك ليس فيه شبهة، فقال له الشيخ عن حرج: كيف يكون أحلّ من طعامى، و ما معك هو من أجرتك على الإمامة بسبتة؟

فقال: و الله ما تناولت من معلوم الإمامة درهما و لا ديناراً، و إنما جمعته حتى تصوّر منه جملة اشترت بها ربعا لى وقفته على الجامع، فإن شئت فكل و إلا لا تأكل.

و لى خطابة سبتة ثلاثين سنة، و تفقه عليه أهلها، و كان يروى "الموطأ" عن ابن أبى الربيع عن ابن بقى، سمعته عليه بالحضرة المشرفة من الروضة، و كان إقامته بالحجاز تسع سنين، توفى رحمه الله بمكة فى سنة اثنتين و عشرين و سبعمائة.

و أما صاحبه شيخنا الإمام العلامة الأستاذ المقرئ الولى المحقق السرى.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٩٠

[١٣١] أبو عبد الله محمد بن غصن القصرى الأنصارى

، جاور بالمدينة ثلاث مرات، الأولى عام تسع و سبعمائة، و الثانية عام ثمانية عشر و سبعمائة، و الثالثة عام عشرين و سبعمائة، و كان عالم زمانه بالقراءات، مشهورا بالكرامات، قرأت عليه و أخذت عنه، و جودت القرآن عليه، فرأيت من سنى أحواله، ما لم أره فى أحد من أقرانه [١٣٢].

ذكر لى عنه من أثق به: أنه فى تونس ظهر حاله ظهورا عظيما، و اتبعه خلق كثير، و اعتقده الخاصة و العامة، حتى خاف منه صاحب تونس، و خشى على ملكه منه، فأمره بالرحلة عنه، و ذلك أنه لو أمر الناس بخلعه لفعلوا [١٣٣].

قيل لى: إنه فى يوم واحد فكّ كثيرا من الأسرى من أيدي الفرنج بأموال لا تعد ولا تحصى، و كان إذا تكلم فى ميعاده فى تونس على ما فى الكرم و الجود و الإحسان إلى الخلق و ترك الحقوق، و التعامى عن الخصوم، لا- يقوم إلا- و قد ألقى الناس من وثائق الديون و شبهها ما يشبه ربضة الثور الكبير [١٣٤]، رضى الله عنه.

فلما قدم المدينة المشرفة أراد إخفاء حاله، و كان قصده التأدب مع المقام الشريف، فلزم الصلاة و الإقراء حتى اشتهر حاله و كراماته، فاجتمع عليه أهل الخير و مشايخ الحرم، و سألوه أن يجعل لهم يوما يعظهم فيه، فأنعم لهم بيوم فى الجمعة بعد توقف كثير و معالجة كبيرة، و ربما رأى فى النوم أنه أذن له فى ذلك،

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٩١

فوعد الناس بالجلوس لهم بعد صلاة الصبح من يوم الجمعة فكان الناس إذا صلوا ذهبوا إلى مجلسه فى آخر الحرم حتى إنه لسمع للمسجد من سعيهم ارتجاج عظيم، و لم يبق أحد فى المدينة إلا حضر مجلسه من مجاورين و خدام و رجال و نساء و صبيان، و كان قد جعلنى قارئ مجلسه، فأمرنى أول يوم بأن أقرأ قوله تعالى: يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ الآية (الحج: ٧٣) [١٣٥].

و من الحديث: حديث أبى سعيد الخدرى: «إن الحلال بيّن و الحرام بيّن».

و كان يتكلم جالسا، فإذا غلب عليه الحال قام على قدمه و صاح بأعلى صوته، فكأنما يقدّ بوعظه القلوب قدّا، و يفتح عنها بابا موصدا، و انتفع الناس بكلامه.

و من جملة كراماته أن الأمير الكبير كيش بن منصور كان متوليا فى المدينة نيابة عن أبيه، فبلغه أن عمه مقبل بن جماز أقبل من الشام يريد المدينة، فأمر كيش بالاحتفاظ منه، و نادى فى الناس: أن لا ينام أحد فى بيته، و ليذهبوا كلهم إلى القلعة يبيتون فيها و حولها، و أن من تخلف عن ذلك حلّ ماله و دمه، فلحق الناس من ذلك كرب عظيم، و لم يسعهم غير الطاعة.

فكان الناس كلهم مجاورهم و خادهم و ضعيفهم و قويهم و عالمهم و جاهلهم مستوين فى هذا الأمر، و لم يبق من الجماعة غير والدى و الشيخ أبى محمد البسكرى و الشيخ أبى عبد الله القصرى، و من حبسه عذر، و أقام الناس على ذلك أياما كثيرة حتى اطمأنوا، و بات الناس فى منازلهم، و ذهب عنهم الفرع فى زعمهم.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٩٢

فلما كان فى بعض الأيام، قام الشيخ أبو عبد الله فى الناس فى الروضة، فصاح قائلا: اللهم من أراد المدينة بسوء مساء فخذها صباحا، و من أرادها صباحا فخذها مساء.

و دعا و اجتهد و احمرّ وجهه، و قام على قدميه حتى قال من لا يعرف حاله:

هذا منه هوس، فإن الناس قد أمنوا و طابت قلوبهم، و هذا الرجل يذكر بالشر و يدعو على من أمن شرّه.

فلم يكن بعد ذلك إلا ليلة أو ليلتان، إذ أصبح الأمير مقبل فى المدينة قد دخلها هو و جماعة بالليل من خلف قلعتها، و ذلك أنهم نصبوا سلما استعملوه فى الشام قطعا موصلا، هو اليوم فى الحرم الشريف، و كان دخولهم ليلة السبت ثامن عشرين من شعبان سنة تسع و سبعمائة.

فلما أصبح مقبل و جماعته فى الحصن، أراد أمير المدينة الهرب، ثم ثبته الله، فقاتلهم كيش مع أهل المدينة، فانتصروا و قتل الأمير مقبل، و جوشن و قاسم ابنا قاسم بن جماز، و أثنى باقيهم بالجروح، فعلموا أن الشيخ رحمه الله حدث بذلك، و كشف عنه و حدّر الناس، و لكان ما فهموا.

و من جملة ما رأيت من الشيخ رحمه الله، أنه لما قدم المدينة بعد مجاورته بمكة فى آخر عام اثنين و عشرين و سبعمائة، وجد والدى قد توفى إلى رحمة الله قال لى: ما منعك أن تقوم بوظائف والدك؟ فقلت له: يا سيدى لم يبق لى ركن، و لا معى من يساعدى غير الله تعالى، فقال لى: اثبت على وظائف والدك، فأنت إن شاء الله تعان عليها، فقلت: الاشتغال (و الإشغال يطلب مادة و صفاء فكر، و

قد انكسر خاطري، فقال: ألم تكن تشغل الناس بالعربية في أيام والدك؟
فقلت: بلى، فقال: قدم على ذلك، و من جاءك يقرأ شيئاً في الفقه فأقرئه و لو أن
تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٩٣

تصحح له كتابه، فقبلت كلامه، و حملت نفسي على الاشتغال و صبرت، و لازمت، و كانت حلقتي فوق حلقة والدي في حياته، و لله
الحمد، و اشتغلت اشتغالا جيدا حصلت في سنتي ما لم يحصله غيري في مدة عمره [١٣٦].
ثم سافر الشيخ إلى القدس الشريف فوافاه بها الشيخ أبو يعقوب رسول السلطان أبي الحسن المدني، و قد أرسل لإقامة درس بالمدينة
و وظيفة أخرى، فاستشاروه فيما جاءوا به و من يتقدم فيه، فأشار عليهم بأن لا يقدم على أحد، ففعلوا ذلك، و حصل لي الخير ببركة
الشيخ و إشارته رحمه الله [١٣٧].

ثم سافر أخي علي - رحمه الله - إلى مصر، فلقي بها الشيخ أبا عبد الله الوادي آشي و الشيخ أبا عبد الله بن الحداد، فسألتهما المساعدة
في السعي لي في وظيفة التدريس بالمدرسة الشهابية و غيرها، فطالبهما قاضي القضاة تقي الدين الإخنائي المالكي بإثبات الأهلية،
فكتب بذلك محضرا و شهدا بما فيه.

فلما وقف عليه ابن الأثير كاتب السر، قال: بعد أن تشهدا بذلك فأنا أفعل لكما ما تحبان، و جاءني في الموسم مرسوم السلطان الملك
الناصر محمد بن قلاوون رحمه الله عليه بالمدرسة المذكورة.

[١٣٨] و كان الشيخ أبو عبد الله الوادي آشي.

من شيوخنا المباركين الذي صحبوا والدي و رعوه في ذريته.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٩٤
و كان رحمه الله شيخا في الحديث قد أفنى عمره في السماع، ثم الإسماع، و كان يحرص على إسماع الصغار، و يأخذ خطوط الشيوخ
لهم من غير أن يعلموا بذلك رجاء نشر العلم، و أن يذكر فيدعي [١٣٩] له.
و كان من أحسن الناس في علمه و أنسه، و فوائده، و فرائده، و صلى بالناس صلاة التراويح في مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم
فلم أسمع أحسن من جودة قراءته و جودة حفظه و ترتيب مواقفه، و كان من القراء المجودين توفى بمدينة تونس بعد الحج و الزيارة
في حدود خمسين و سبعمائة رحمه الله [١٤٠].

قلت: و قد ذكرت الشيخ أبا عبد الله الوادي آشي استطرادا في ذكر النعم التي من الله تعالى بها، و كان باب الخير و السعادة فيها
شيخنا أبو عبد الله القصري رحمه الله عليه، و له موضوعات مفيدة منها:

اختصار الكافي في "القراءات" لم يسبق إلى مثله، صغير الحجم غزير العلم، انتفع به الطلبة و حفظوه، و له مقدمة في النحو، و أخرى
في الحديث، و أخرى في نصح الشباب.

و كان أخص أولاد المجاورين به الشيخ الفقيه العالم المتقن المقرئ، نائب الخطابة و الإمامة بالحرم الشريف النبوي:

[١٤١] شمس الدين محمد بن الشيخ صالح بن إسماعيل الكنانى الشافعى

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٩٥
المدنى، جود على الشيخ القراءات السبع و أتقنها، و ورث من الشيخ ما كان يعلمه منها، و انتفع به أهل المدينة و غيرهم من الواردين
و حصلوا و انتفعوا [١٤٢].

و كان شمس الدين ملازما للشيخ أبي عبد الله، حتى كأنه ولده و كان الشيخ أبو عبد الله يتمثل في شمس الدين و أخيه علي، قوله

تعالى: فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا (الكهف: ٨٢) [١٤٣].
و كان والدهما الشيخ:

[١٤٤] صالح صالحا على اسمه

، و كان صانعا مبيضا، متقنا ناصحا، يشتغل بالتبييض في الحرم الشريف [١٤٥].
و ذكر ولده شمس الدين أنه حج ثمانى عشرة حجة، أعنى والده، و أنه أعتق نحو ثلاثين مملوكا تقبل الله منه، و سأل الله يوما أن يرزقه ولدا صالحا قارئاً لكتاب الله، ثم تزوج فرزق هذين الولدين، و أعطى فوق ما سأله في ولده شمس الدين [١٤٦].
و كان ولده على رجلا صالحا يخدم مشهد سيدنا حمزة - رضى الله عنه -.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٩٦
و كانت وفاة الشيخ أبى عبد الله القصرى فى القدس الشريف فى سنة ثلاث و عشرين و سبعمائة فى عيد الأضحى رحمة الله عليه [١٤٧].

و توفى الشيخ صالح عام سبعة و سبعمائة، و قد قارب عمره السبعين.
و كان من أرباب القلوب و أصحاب العوارف و المعارف و العكوف على العبادة و الخير:

[١٤٨] الشيخ العالم الورع الزاهد أبو القاسم محمد بن محمد بن مالك

بن سهل المقرئ النحوى المتقن، المحدث الإمام الفلكى الأندلسى الغرناطى.
صحبه فلم أر أحدا وصل إلى مقامه فى التوجه و المحافظة على أوراده من صيامه و قيامه، كان من بيت الوزارة بالأندلس، فلما توفى والده تخلى عن القرية من أهل الإمارة، و اشتغل بنفسه و ورث مالا كثيرا فكان يقات به و ينفق منه، و لا يأكل من غيره و لو عرض عليه، كان - رحمه الله - رحلة فى الفقه، و له يد طولى فى علم الهيئة، لم يصل أحد إلى ما وصل إليه إلا القليل، و كان يقسم لى بالله تعالى أنه ما ازداد بعلمها إلا يقينا، له مقامات لا يصل إليها أحد من المجاهدات إلا من سبقت له العناية الأزلية و المواهب العلية.
نزل معى فى منى و كان لا- يترك قيام الليل لا- فى سفر و لا فى حضر، فقام تلك الليلة فى منى على عادته، فلما أصبح طلبت منه مناسك الحج لابن مسدى - رحمه الله -، و كان لا يتركها إذا حج، و كانت نسخه عظمة بخط أخى على -

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٩٧
رحمه الله - مجلدا كبيرا، و فى هذا الكتاب تعرض لذكر المذاهب كلها، و أردت أن أكشف على مسأله، فقال لى: و الله قد سرقت البارحة هى و البرنس و السيف.

فقلت له: و كيف ذلك؟ قال: جاء السارق من وراء المحارة و أنا فى الصلاة أنظر إليه، فهتمت نفسى بأخذه أو الصياع عليه، فأثرت صلاتى. و قلت: دعه، ما أنا فيه خير مما يفوتنى. انظر هذا المقام العظيم.
و أخبرنى - رحمه الله -: أنه اغتسل فى منزله من منازل الحاج بالليل، فحل حزامه و كان فيه مال عظيم جل ما يملكه. قال: فاشتغلت و نسيت حتى رحلت، ثم تذكرت بعد مرحلة، فحصل له من الأسف و الحزن على ذلك المال الحلال أمر عظيم، فما كان إلا قليل إذ جاءنى من يستفتينى، فى لقطه، فقلت له:

فى أى شىء هى؟ قال: فى حزام. فقلت له: هاتها. فهى لى بأماره كذا و كذا، رحمه الله عليه.

توفى - رحمه الله - بمصر سنة ثلاثين و سبعمائة، و مولده سنة اثنتين و ستين و ستمائة و رثاه الشيخ أثير الدين بن حيان و غيره.
و كان مثل هؤلاء فى العبادة و الزهد، و القناعة و محبة الإقامة بالمدينة؛ ليموت بها.

[٥٣- الشيخ أبو عبد الله بن سليمان - رحمه الله-]

كان مكبا على فعل الخير، ملازما للصلاة والصوم، وكان أبوه في تونس وزير سلطانها، بل هو في الحقيقة ملكها، فخرج ولده هذا عن حال أبيه، و صحب الشيخ أبا محمد المرجاني فتخلق بأخلاقه و تأدب بآدابه، حتى ظهرت تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٩٨

أنوار العلم والعمل عليه، و انتهت الكرامات إليه. و كان من أحببى الذين انتفعت بهم و بدعائهم، و كانت له في تونس زاوية، و له أولاد و ذرية- رحمه الله- و جمعنا و إياه في مستقر رحمته.

و ممن كان من هؤلاء الجماعة في المدرسة الشهابية.

[٥٤- الشيخ يعقوب الشريف]

كان له فقه و علم و اشتغال و عليه هيبه و جلاله، و إذا رأيته ملأ عينك بشرا من نظافته و جماله و عزته، أقام سنين كثيرة و كان له غيره عظيمة على أهل السنة، لا يزال ينكر المنكر، و يتعرض لأهل البدع فيأخذ منهم بلسانه فيسفههم، و يحطّ منهم، و كان الوقت لنا على حال أهل السنة لا يتمكن فيه من القيام بالحق، كما هو اليوم الحمد لله.

و كان في أيامه شخص من كبار الإمامية اسمه يعقوب بن الصفى يقف في وسط الروضة، و يقول بأعلى صوته.

إذا كان رفضا حبّ آل محمد فليشهد الثقلان أنى رافضى

فيفزع من ذلك أهل السنة، و كان له في مثل هذا التعصب أمثاله و له أعوان، فأنكر الشريف يعقوب عليه، و باحثه و خطاه في مسائل بحث فيها، فرفع الأمر إلى الأمير منصور، فرفع الشريف و رمى في الجب، و لم يخرجوه منه حتى غرّموه ألف درهم، و كان لا مال له، فضيقوا عليه و نكلوا به و تشفّوا من أهل السنة، فجمعت له غرامته و دفعت إليهم.

فلما جاء الموسم ارتحل إلى العراق و أقام فيه مدة، و صحب الفقيه العلامة المصنف شهاب الدين عبد الرحمن بن عسكر المالكي، و غيره فأحسنوا إليه

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٩٩

إحسانا كثيرا، ثم جاء المدينة فأقام بها و قد جمع شيئا من الدنيا فسلط الله عليه رجلا من أهل الشر اشتغل به، فأذاه، و بالغ في أذيته حتى وصل إلى أن قال له:

ما أنت شريف، فلحقته حمية أزعجتة، فسافر يريد بلده؛ لإثبات نسبه، فلقبه جماعة كثيرة من كبار أهل تونس و علمائها و رؤسائها، فقالوا له: أين تذهب؟

فقال: جرى لى كذا و كذا، و أنا أريد بلدى، و إثبات نسبى و آتى به معى، و إلا فلا أرجع إلى المدينة و أنا بهذه الحالة. فقالوا كلهم: نحن نشهد بأنك شريف النسب، و أن جماعتك و أهلك كلهم كذلك، لم يزل هذا معلوما، و بيننا مشهورا. فقال إذا جئتم المدينة اجتمعوا بشيخ الخدام و شيخ الحرم و فقهاء و اذكروا لهم.

فذهب و قدموا المدينة و حضروا فى المسجد الشريف و أدّوا ما عندهم من الشهادة بين الخدام و المجاورين، ثم إنه ذهب إلى أقصى الغرب فاجتمع بأبى سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، فأكرمه و خوّله مالا كثيرا فانقل إلى الأندلس؛ رغبة فى الشهادة.

فلما استقر بها و كثر خيره، و خيله، و خوله، و عبيده، و جواريه، أتاه أجله فتوفى- رحمه الله- عن وصية أخرج منها خمسمائة دينار لوقف يشتري بالمدينة يصرف ريعه على من بالمدينة فى المدرسة الشهابية من المالكية و الشافعية، و إنما خص به الشهابية؛ لأنها

كانت مستقره و لم يكن في وقته غير هاتين الطائفتين.

حتى جاء:

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٠٠

[١٤٩] شمس الدين بن العجمي

فولف جماعة من الطلبة الشافعية، و أمرهم بالاشتغال بمذهب أبي حنيفة، فأجابوه إلى ذلك، و تفقه منهم جماعة و صاروا أئمة وقتهم، و انتفع الناس بعلومهم، و ظهر مذهب أبي حنيفة بالمدينة ببركة هذا الرجل و حسن نيته، و كان ذلك في حدود ثلاث و عشرين و سبعمائة.

فلما وصلت الوصية على يد ولد ابن سهل وزير الأندلس، جرى فيه أحوال وقصته طويلاً و خرج آل منصور من المدينة بسببها؛ لأن الأمير طفيل أراد أن يأخذه كله، فكتب فيه القاضي شرف الدين الأميوطي إلى السلطان فعزله، في قصة تشتمل على غرائب لا يسع ذكرها هذا المكان و وقف على الفقهاء من ذلك المال الحديقة المسماة (بغشاوة)، و وقفت على الوصية و قرأتها و كان القاضي تقي الدين الهوريني يصرفها على شرط الواقف، و لا يتخصص بشيء منها- رحمه الله-.

[١٥٠] و منهم الشيخ محيي الدين الحوراني

أقام بمكة مدة طويلة تفقه بها، و أدرك الحافظ محب الدين الطبري الكبير فتفقه عليه. ثم أقام بالمدينة نحو من عشرين سنة على اشتغال بالعلم، و تجرد

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٠١

من الدنيا و كانت له خزانة عظيمة مشتملة على كتب حفيظة، مثل: (الرافعي) و (ابن الرفعة)، و (الروضة)، و غير ذلك من الكتب المنتقاة، أوقفها كلها و جعل مقرها بالمدرسة في خزانتها، و كانت أمام بيته الذي هو في الزاوية الملاصقة لإيوان الشافعية، و كان يظن أن المدرسة تكون أبداً على حالها في أيامه، فشرط أن لا تغير الخزانة من موضعها و لو رأى حالها اليوم ما قيدها بهذا الشرط. و لما خيف عليها أمر القاضي بحملها و وضعها في خزانة الكتب اليوم، و هو البيت الذي على باب المدرسة أصلح الله أمرها، ورد إليها حالها.

و كان الشيخ محيي الدين نائبا في الحكم عن القاضي سراج الدين لما سافر إلى مصر، فحكم و عدل، و درّس فما قصير، و كان والدي- رحمه الله- يحضر درس السّراج، فلما سافر السّراج، قال محيي الدين الحوراني: لا يحل لي و لا لك أن تحضر معي و أنت قادر على القيام بشرط الواقف في تدريس جماعتك و الانفراد بهم في إيوانهم.

فتوقف والدي خوف فتنة السّراج، و لما يعلم من خلقه و كراهيته لهذا الأمر، فعزم محيي الدين على والدي و شدّد عليه، فجلس والدي في إيواننا اليوم، و هو الإيوان الذي فيه الشباك و درّس، و التفت عليه الطائفة المالكية و بعض الشافعية، و كان طلبة المالكية أكثر من طلبة الشافعية، فلما جاء السّراج من البلاد عزّ عليه ما وقع و أنب الحوراني و هجره و سفّه رأيه.

و قال له: فتحت عليّ بابا كنت قد سدّدته، و حسمت مادته، و الله لا تركته حتى أغلب عليه. ثم إنه اجتمع بوالدي و الآن له الكلام و أضمر له الخداع.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٠٢

و قال له: من بقى عندي إذا انزلت عنى و من يفهم عنى، ما كان هذا فيك ظني، الصحبة كانت لله، فلا تقطعها بكلام أولادك، و لا بكلام غيرهم من حسّادك، فلما أكثر عليه من هذا، لان له و عزم على الحضور عنده، و ترك الدرس و التدريس، و كان مع والدي

كما قال بعضهم:

من لى بمن يبق الفؤاد مودؤه إذا ترخل لم يزغ عن عهده
يا بؤس نفسى من أخ لى باذلاحسن الوفاء بقربه لا بعده
يولى الصفاء بنطقه لا خلقه و يدس صابا من حلاؤه شهده
لاهّم إنى لا أطيق فراسه بل أستعيد من الحسود و كيده

و كان الشيخ أبو عبد الله القصرى يؤمئذ بالمدينة، و كان يحضر الدرس على يمين والدى، و الشيخ أبو عبد الله بن حريث على يساره، فأغاطهما ذلك و كثرت أنا عليهما الشكوى، فاجتمع الشيخ أبو عبد الله القصرى بوالدى و قال: لا سبيل إلى أن ترجع إليه، و لا يخلصك هذا من الله.

و شدّد عليه و أقسم عليه حتى رجع من ذلك الرأى، فأصبح فى مجلسه مع جماعته و السّراج منفرد مع أصحابه، فعاود الاجتماع به و كثر عليه.

و قال له: ألم أقل لك لا تسمع من هؤلاء الذين يريدون فرقتنا و ذهاب أبهتنا؟ ما هذا مليح، و الرأى أن لا تفعل، و ترجع إلى مكانك معى، فأنا أعلم أنك لا تحب الفتنة و لا الظهور، و فى هذا الذى أنت فيه تجرى أمور.

و لم يزل به حتى رجع إليه، فرجعت إلى الشيخ أبى عبد الله و عرفته بما يفعل السّراج معه، فعاوده الشيخ و أقسم عليه و شدّد عليه العزيمة.

فقال له والدى: أخشى أن يتعدى الحال إلى فرقة و عصبية، فيذهب نور

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٠٣

العلم و تفسد التية، و هذا اليوم حاكم و أنا من طبعى و عادتى أنى لا أناصى أحدا، و لو كان لى ولدا. فقال له: الترك أسهل عليك، و علينا أسلم لنا إذا عجزنا. فعاد والدى إلى عادته من تدريس جماعته و تركه، و لم يعاوده و لم يجتمع به فساه ذلك و اغتاض، و أمر القيم أن يخرج من بالمدرسة من المالكية و لا يفرش لهم، و لا يتركهم يسكنون فيها حتى يرجعوا عن رأيهم و يحضروا على عادتهم معه، فترك والدى حينئذ المدرسة و التدريس بها، و اشتغل بنفسه و بحاله.

فقال له الشيخ أبو عبد الله: ما هذا رأى اجلس للجماعة بالمسجد، و ادع للواقف الذى أنشأ المدرسة، و لا تقطع الجماعة و إفادتهم حتى يقضى الله بما فيه الخيرة لهم.

فأطاعه والدى، و أخرج النقيب المالكية من المدرسة، فمنهم من انتقل إلى الربط، و منهم من سكن بالكرى، و منهم من طلب السفر. ثم جلس والدى فى المسجد فاجتمع عليه فى المسجد خلق كثير، فكان السّراج يمر على والدى و يرى حلقة و كثرة جماعته فیسوءه ذلك، و خشى على نفسه أن يسمع عنه أن أخرج الفقهاء من المدرسة لأجل الهوى، و تعب قلبه لذلك.

فجمع أصحابه، و قال لهم: يا أصحابنا هؤلاء الجماعة قدناهم إلينا بالسلاسل فلم ينقادوا، و ما يعود انفرادهم فى المسجد علينا بخير، و الرأى عندى أن يرجعوا إلى المدرسة و نحن إلينا المرجع فى العلوم، فنعطهم ما نشاء و نحكم عليهم و نصيّق عليهم فلعلهم يرجعون إلينا.

و أرسل إلى والدى. و قال له: ارجعوا إلى مكانكم و قوموا بما يجب عليكم، فلى النظر و التفقد على الطلبة، فلم يرع كلامه والدى، و رجع و درّس على

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٠٤

عادته، فلما جاء وقت تفرقة التمر الموقوف على طلبة العلم بالمدرسة من الوقف المسمى (بالمليكى و البصة)، أرسل إلى والدى

بثمانين صاعاً، وقال له: فرق على جماعتك، وأخذ هو وجماعته نحو المائتي صاع، فشاور والدى فيها أصحابه و الشيخ أبا عبد الله. فقالوا: ردها لا تأخذها، ولا تأخذ إلا النصف، أو يحضر كتاب الوقف، فردّها.

فقال السّراج: لا تزيدكم عليها و لستم مثلنا، و لا اشتغالكم كاشتغالنا، و الحكم فى ذلك لى، فإن كنتم محضلين و فيكم المشتغلون، فالموعد بينى و بينكم يوم الخميس عند القبّة؛ حتى أختبر الجماعة و أعرف أهل العلم من أهل الجهل. فوافقته والدى و حضر معه عند القبّة، و أحضر الجماعة، فأخذ السّراج يوبخهم و يؤنبهم.

و يقول لكل واحد: ما كتابك؟ و ما قرأت منه؟ و ما معك من الحاصل؟

و ما تقول فى مسألة كذا؟ و يتعنّتهم، و كان منهم جماعة مشتغلون، أحدهم الشيخ موسى الجزولى. فقال له: هات كتابك فاعرضه علىّ. قال: لست بشيخى حتى أعرضه عليك. اسأل عنى و عن علمى إذا جهلتنى، فقال لآخر:

ما كتابك؟ فقال: كتابى (الرسالة)، فقال: كتاب الكسالى، ثم قال لآخر: ما كتابك؟ فقال: (الجلاب). فقال: هات اعرض و إلا فأعرض، ثم قال لآخر: ما كتابك؟ فقال له: (الطليطلى)، فقال له: أنحست.

و كان الشيخ أبو عبد الله القصرى فى القبّة يقرأ القراءات، فبلغه خبره و ما عمل مع الطلبة و تهكمه بهم، فقام من مجلسه و قد امتلأ غيظاً، و قد صار وجهه مثل قطعة السّحر من شدة ما وجد، فجلس قريباً منه.

و قال: بلغنى أنك قلت فى كتاب (الرسالة): كذا، و فيها من المسائل كذا

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٠٥

و كذا، و فيها من حديث الرسول صلى الله عليه و سلم كذا، و مصنفها الشيخ أبو محمد بن أبى زيد كان من العلماء الأتقياء العاملين، ثم تقول: فى كتاب (الطليطلى) كذا، و كان من صفات مؤلفه كذا و كذا، ثم تسلط على طلبة العلم و توبخهم و تهنئهم و تفعل معهم و تفعل، و كم لك عندى من قضية و زلّة، فعلت كذا فى وقت كذا، و أمرت بكذا فى وقت كذا. فقال له القاضى: اترك هذا يا أبا عبد الله و اشتغل بنفسك.

ثم دفع الرمل بيده فى وجه الشيخ، غير أنه لم يصل إليه، فقعده الشيخ على ركبتين و كساه بالرمل حتى دخل فى فمه، فجعل يقول له: لا- تفعل يا أبا عبد الله، لا- تفعل لا تفعل، و قام إليه الظهير شيخ الخدام، و جماعتهم فقبلوا رأسه و سألوه الكفّ عنه و الرجوع إلى مجلسه، فرجع إلى مكانه و انكسرت شوكة السّراج بعد ذلك، و ترك الشر و زاد الجماعة من التمر.

فلم يلبث إلا قليلاً إذ جاء الخبر أن القاضى فخر الدين ناظر الحرمين يريد الحج، فخاف السّراج على نفسه، و خشى أن يشكو عليه الشيخ، فلما قدم الفخر المدينة، رأيت الفخر يدور المسجد يطلب الشيخ أبا عبد الله القصرى، و السّراج خلفه يطلب الاجتماع بالفخر و هو لا يلتفت إليه، فلم يذكر الشيخ له شيئاً مما وقع بينه و بينه، و لا بيننا و بينه حتى سافر، و من يومئذ استمر حال المالكية و ظهر أمرهم و قوى مذهبهم و كثرت جماعتهم و أولادهم، فقرأوا الكتب المطولة، و فقهوا ببركة والدى و الشيخ أبى عبد الله القصرى- رحمهما الله-.

ثم توفى والدى عام اثنين و عشرين و سبعمائة، فتعطّلت المدارس و استبشر

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٠٦

المراوش [١٥١]، و زعموا أن لا تقوم بعد والدى للمالكية راية، و لو علموا ما فى الغيب ما عملوا، فلم تكن إلا سنة واحدة حتى جاءنى البشير بالتوقيع و المراسيم، فأراد السّراج و من معه من الأعوان الكلام فى ذلك، فخاف على منصبه و رجع على عقبه و استقللت بركة هذا النبى الكريم صلى الله عليه و سلم.

و كان لى فى ظهور مذهب مالك و نشره بالمدينة عمل عظيم، أرجو به من الله الثواب الجسيم، و النعيم المقيم، فإنه لم يكن له ظهور من قبل ذلك بسنين، فالحمد لله على ما أعطى و منع، و ضيق و وسع، و لو أذكر لك ما قاسيت فى ذلك الوقت و بعده من أهل الشر

و الحسد و البغى لوقفت على صبر عظيم، و على خطب جسيم، و عذاب أليم، من سواد خلف لثيم، أعوذ بالله من أمثالهم و من الشيطان الرجيم، أخذوني تارة بالخدع و الملق، و تارة يجاهرون فأعوذ برب الفلق.
و ما أحسن ما قيل فى مثلهم:

إن شر الناس من يشكر لى حين يلقانى و إن غبت شتم
و يحيينى إذا لا قيته فإذا يخلو له لحمى كدم

و لكن تخلل ذلك من اللطف ما يجلّ عن الوصف، و النصر مع الصبر، و ما شبه حالى معهم بقول القائل - رحمه الله -:
ألا إنّ إخوانى الذين عهدتهم أفاعى رمال لا تقصّر فى لسعى
ظننت بهم خيرا فلما بلوتهم حللت بواد منهم غير ذى زرع

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٠٧

نسأل الله الكريم أن يقينا شرور أنفسنا و كيد الحساد، و يرزقنا الاستعداد ليوم المعاد بفضلته و إحسانه.
و كانت وفاة الشيخ محيى الدين الحورانى بعد وفاة والدى بثلاثة أيام، و كان قد ابتلى بالبواسير- و العياذ بالله- فصبر حتى جاءه اليقين، و دفن بالبقيع إلى جنب والدى رحمهما الله تعالى.
و من العلماء الذين كانوا فى المدرسة الشهابية

[١٥٢] الشيخ نور الدين حسن الأسوانى.

أخو الشيخ شرف الدين الزبير الأسوانى رحمهما الله تعالى.
كان من العلماء المتقشفين المتخيلين، كان- رحمه الله- إذا خرج من بيته يقف ساعة يعوّد بابه، و يحوط عليه يظن أنه يخلف على بيته، فإذا رجع إلى بيته تخيل أنه كلفه تحوّل و تغير، فيدعو على من فعل ذلك، و ما ثم غير الخيال، و كان على باب بيته ورقة طويلة عريضة فيها من التعاويذ و الأقسام و عزائم الجان أنواع، و هذا كله مع الصلاح الكثير و الانقطاع العظيم، و كان يتهم الشيخ محيى الدين الحورانى بأنه يسحره فى كتابه و فى قدره [١٥٣].

قال لى يوما: بينما قدرى على النار إذ صار أسفلها مثل: الغربال ينزل منه

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٠٨

المرق نزول المطر، فعلمت أنها مسحورة، فقرأت عليها كذا و كذا فزال ذلك عنها.

و كان إذا أعاره أحد كتابا ثم جاءه يطلبه منه يدخل بيته فيدور عليه ثم يخرج.

و يقول له: كتابك أخذ من بيتى الساعة، و لكنه سيردونه إلى عن قريب؛ لأن هذه عادتهم معى فيه. فيذهب صاحب الكتاب و هو مشوش خاطر، ثم يرجع إليه فيجد كتابه. فيقول: هذا كتابك ردّوه إلى.

و كان متعبدا متحرزا كثير الصدقة، جرى له مع السراج حكاية اختصارها: أنه قال للسراج: عملت قصيدة ذكرت فيها من صفات النبى صلى الله عليه و سلم ما لم يذكره غيرى. فقال له: هات منها، فذكر أبياتا منها:

فبوطنه صار التراب طهورا [١٥٤]

فقال السراج عند ذلك: كذب، من قال هذا؟

فأخذ عليه و هجره، و بعث إلى القاهرة يستفتى فيما يجب في ذلك عليه، و مكث أياما كثيرة لا يصلى خلفه و يتركه حتى يقيم الصلاة و يدخل السراج في المحراب في العشاء الآخرة، فيتقدم إلى الشمعة فيقذف منها شمعة و الإمام يصلى، و ربما ركع و هو قائم يحسن الطوافه يقتل رأسها حتى أنكر الناس فعله و السراج يتغافل عنه و يكره شربه؛ لأنه كان له بالقاهرة أهل و قرابة أجلبهم

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٠٩

الشيخ حسين الأسواني أخوه علامه القاهرة في وقته، و ولده أيضا من المتفنين المتقنين، و لم يرجع الشيخ حسن عن فعله حتى قام عليه النكير و اجتمع عليه الناس الصغير و الكبير [١٥٥].

و أخبرني: أنه لما انتقل من المدرسه و منع من الجامكية- و كانت الجامكية يومئذ لها صورة-، لقيه رجل فأعطاه صرة فيها القدر الذي كان يدفع إليه في المدرسه [١٥٦]، و لم يعرفه و لا درى من هو، و كان أخوه شرف الدين الزبير مثله في الصلاح و الدين و سلامة الباطن، و كان إماما في علم القراءات و انتفع الناس به، و كان يسمع عليه الحديث، سمعنا عليه (الشفاء) للقاضي عياض، و (دلائل النبوة) للبيهقي، مع سراج الدين الدمهورى رحمهم الله و غير ذلك، و كان فقيها شافعيًا من أعظم الناس ديانته و عفته مع كثرة عيال، و كان يصلى في الروضة إلى جنب المنبر، و يعز عليه إذا رأى أحدا في موضعه لكثرة ملازمته، و كان متصديا للإقراء، و ظهر في آخر عمره رحمه الله عليه.

و حكى لى من أتق به: أنه جاء كتاب من مكة إلى شمس الدين صواب المغيبي بأن يعطى لشرف الدين الزبير مائة درهم، و لم يعلم بما في الكتاب أحد فحصل عند الطواشى من المائة خمسون درهما، فأرسلها مع جمال الدين المطرى إليه، و كان المطرى يفرح بخدمة الصالحين و إدخال المسرة عليهم، فجاءه بالخمسين، فقال له الزبير: بقى لى عندك خمسون درهما. فقال له: من أين؟ ما أعطيت إلا هذه، فقال له: ردها ما هي إلا مائة. فاشتد ذلك على جمال الدين،

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١١٠

و حنق عليه و جاء إلى المغيبي: و حكى له ما جرى له. و قال ما أتيتنى بخير اتهمنى و ردها على. فقال له الطواشى: صدق الشيخ، كانت مائة درهم تيسر نصفها، فأردت أن يعجل له لينتفع به حتى يحصل الباقي، فرجع جمال الدين إلى الشيخ و أخبره. فقال له: ألم أقل لك؟

فقال: من أين عرفت أنها مائة؟ فقال رأيت النبى صلى الله عليه و سلم فى النوم فشكوت عليه حالى، فأعطانى مائة، فلما أعطيتنى خمسين علمت أن الرؤيا حق، فطلبت الباقي فلا تلمنى.

و ذكر لى: أنه كان يوما على فاقه، فرأى النبى صلى الله عليه و سلم أعطاه ستة عشر درهما.

و قال: خذ هذه فأنفقها، و الأمر أقرب من ذلك. قال: فانتظرت شيئا فلم يأتنى شيء، فلما صليت صلاة الظهر صلى إلى جنبى الشيخ أبو بكر الشيرازى، فجعل تحت سجادتى شيئا ثم مضى، و كان التعامل يومئذ بين الناس بالعلوية، و هي قطيعات فضة مسكوكة باسم صاحب المدينة، كل واحد صرفه بسدس درهم، و لم يكن يومئذ فلوس. قال: فكشفت السجادة فوجدت علوية صرفها ذلك العدد. أعنى الستة عشر التى أعطانيها رسول الله صلى الله عليه و سلم فحمدت الله، و قلت:

الأمر أيسر من ذلك، فما فرغت حتى فتح الله بغيرها، و كان بيتهم بيت صلاح و خير و علم رحمهم الله أجمعين.

و كان له ولدان أحدهما الفقيه العالم المتفنن بدر الدين عبد الله، و شمس الدين محمد، فأما محمد فأقام بمصر، و أما.

[٥٨- عبد الله فأقام عند والده و ساعده على وقته]

، و كان مشتغلا بالعلم

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١١١

مشاركاً في فنون، و لما توفي والده في سنة سبع أو ثمان و أربعين ضم شمل عيال والده، و أضافهم إلى عياله و ارتكب بسبب كثرتهم و قلة شفقتهم عليه ديونا [١٥٧] عظيمة، و في السنة التي توفي فيها و هي سنة اثنتين و ستين و سبعمائة عزم على السفر إلى مصر؛ لأجل ثقل دينه فمرض قبل السفر بيوم فبطل و اتكل في قضاء دينه على الله فمرض أياماً يسيرة ثم توفي - رحمه الله تعالى - فحسب ما عليه من الدين فكان ثمانية آلاف درهم و كسر، فأشفق الناس عليه لتعلق ذمته بهذا المبلغ و كونه لم يخلف ما يقضى منه دينه و لا ربع دينه، و كان في المدينة رجل يقال له: الشيخ أبو بكر بن قرنيح من تجار اليمن من ذوى المعروف. فقال: أنا أتكفل بقضاء دينه، و لم تكن بينه و بينه خلطة توجب شيئاً من ذلك فصالح عنه جميع الغرماء و أرضاهم.

و أخبرنا شمس الدين العلامة الخوارزمي - و كان عندنا مجاوراً -: أنه رأى النبي صلى الله عليه و سلم في النوم قد جمع غرماء عبد الله و هو يتعطفهم و يأمرهم بالإسقاط عنه و الصبر عليه، و ابن الزبير حاضر بين يديه و الجماعة يجيبون النبي صلى الله عليه و سلم إلى ما سألهم و هو عليه الصلاة و السلام مسرور بذلك منهم، فصحت الرؤيا و ظهرت عنايته صلى الله عليه و سلم بعبد الله بن الزبير - رحمه الله -.

و كان برباط الأصبهاني جماعة أولهم و أولاهم بالذكر، الحبر الكبير و السيد الشهير ذو العلوم المتعددة و المقامات الربانية، و الكرامات الإلهية.

[١٥٨] عز الدين يوسف بن الحسن الزرندى.

تاريخ المدينة المنورة / ابن فرعون، قاهره، ص: ١١٢
المحدث، سكن رباط الأصبهاني فعمره و رده إلى أهله على شرط واقفه بعد أن كان منزلاً للنساء و الفتيان، و كان شيخ الربط كلها يتفقدوها و يعمرها، سكن في حجرة الرباط فما كان يعرف الرباط إلا به.
أخبرتني جدتي أنها كانت ساكنة فيه مع بناتها و جماعة أهلها، و كان الرباط قد اسودّ و تغير بالدخان و الوقيد فيه حتى قام به الشيخ - رحمه الله - فعمره، و أخرج منه النساء و غيرهم، و فيه ولد أولاده، فلم يزل فيه حتى كثر عياله و انتشر فانتقل عنه، و كان الشيخ عز الدين - رحمه الله - قد لزم قراءة (البخارى) في الروضة المشرفة فيختمه في كل جمعة.
و أخبرني: أنه ختمه في ثلاثة أيام؛ لأنه صار على قلبه و طرف لسانه يؤديه بفصاحة و معرفة لا يمل سامعه قراءته، و من غاب أعاد له ما فاته.

و كان - رحمه الله - حسن الأخلاق جميل المعاشرة غير مهتم بأمور الدنيا، مقبلاً على شأنه و عبادته، و مناقبه - رحمه الله - كثيرة لا يسع ذكرها هذه العجالة، توفي - رحمه الله - بطريق العراق ذاهباً في سنة اثنتي عشرة و سبعمائة، و أحيا ذكره أولاده النجباء الفقهاء الأئمة الأعلام.

[١٥٩] شمس الدين محمد.

[١٦٠] و شهاب الدين أحمد.

تاريخ المدينة المنورة / ابن فرعون، قاهره، ص: ١١٣

[١٦١] و نور الدين علي.

و أكبرهم أخونا في الله شمس الدين محمد - رحمه الله -.

كنت معه كالأخوين المتراضعين، رءوسا في المدينة و صنف الكتب العديدة و درّس في الحديث و الفقه، ثم ارتحل إلى شيراز بنية العودة إلى المدينة، فولى بها القضاء و كان فيه علما يشار إليه، توفى - رحمه الله - سنة سبع أو ثمان و أربعين و سبعمائة، و خلف ذرية صالحه أولادا نجباء مشغولين بالعلم أكبرهم سراج الدين عبد اللطيف، اشتغل و حصل في شيبته، رأس [١٦٢] بين أقرانه، ذا عفة و ديانة و صيانة، و رزق أولادا مباركين مشغولين بالعلم.
و أما أخوه:

[٦٣- مجد الدين:]

فكان مشغولا بالعلم، ثم سافر إلى الهند فرأس فيها رئاسة عظيمه، و أقبل عليه سلطان الهند و أنعم عليه، و اعتمد عليه في مهماته، و هو الآن عنده في محل رفيع و جاه و سيع وفقه الله لما يرضيه.
و أما شهاب الدين أحمد [١٦٣] ولد الشيخ عز الدين، فكان ذا عقل و رئاسة و دين عظيم مع سياسة الإخوان و الأحاب. و رزق ولدان نجيبان أحدهما:
تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١١٤

[١٦٤] عبد الله.

و الآخر:

[١٦٥] محمد.

فأما عبد الله فحوى كل العلوم المتداولة بين الناس، و حفظ اثني عشر كتابا في فنون متعددة، سافر به والده إلى دمشق فرأس و برع و اشتهر، و ولى الوظائف الجليلة ثم ماتا جميعا في الطاعون رحمهما الله، و ذلك في سنة تسع و أربعين و سبعمائة.
و أما محمد فتصوّف و سلك طريق القوم مع الاشتغال بالعلم و لا سيما علم الفرائض، و سافر العراق و مصر و الشام و هو على طريقة حسنة و همّة عليّة، نفع الله به.

و بقى من أولاد الشيخ عز الدين ثالثهم القاضى نور الدين على [١٦٦]، صانه الله. حاز من العلوم ما لم يحزه أخواه، فانفرد اليوم بعلم اللغة و علم الحديث و الرجال، و ولى الحكم و الحسبة بتوقيع شريف من غير سعى و لا طلب، بل ساقها الله إليه، لما علم من حاجه الخلق إليه، فقام بها أحسن قيام، و نرجو له من الله الزيادة و التمام، فإنه سيف لأهل السنة دامج للبدعة و المضلة، و قرئ مرسومه بالوظيفتين في يوم واحد على دكة المؤذنين بعد صلاة الجمعة، و ذلك أول سنة سبع و ستين و سبعمائة. و له التصانيف الحسنه و الدروس المفيدة، متّع

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١١٥

الله المسلمين ببقائه.

ثم سكن الحجرة المتقدم ذكرها بعد الشيخ عز الدين العالم الورع:

[١٦٧] شهاب الدين القرمي - رحمه الله -]

، يا له من رجل! ما كان أكثر خيره، و ما أحسن عبادته و عفته و صيانتته و أغرز علمه و حلمه، لم أر أحدا من أضرايه أكثر منه أتباعا للسنّة و لا - محافظة عليها، و لا أكرم منه و لا أطيب من نفسه، حسن المحاضرة و المداعبة و النوادر، كان في القرم و خوارزم واعظا

مجيدا مرييا، و كان بارعا في علومه مع جودة و سكون و حشمة، توفي - رحمه الله - في طريق مكة عند قديد قافلا من الحج إلى المدينة المشرفة في سنة أربع و أربعين و سبعمائة.
و كان من شيوخ الوقت و الأئمة الكبار في العلم و العمل و معرفة الحديث و الرجال.

[١٦٨] الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الأمين الآقشهرى الأخلاطى.

ارتحل إلى المغرب في حال شبوبيته، و أدرك رجالا من أعيان المغاربة و الأندلسيين و علمائهم، فأخذ عنهم و اشتغل عليهم، و طالت إقامته فيهم حتى كان الذى يجتمع به لا يشك أنه مغربى الأصل، و كان قد يسّر الله عليه تدوين الحديث و العلم، فلا تسأله عن شىء من علم الحديث و رجاله إلا وجدت عنده منه طرفا جيدا، و حفظا حسنا، صنّف تصانيف كثيرة، و اختصر مطوّلات تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١١٦
عديدة، و تردد إلى مكة و المدينة، ثم أقام بالمدينة المشرفة في آخر مدّته، و تزوج بها زوجة يمنية فولدت له بنتين، سماهما طابة، و طيبة، و سرّ بهما في آخر عمره، ثم إنهما توفّيتا في حياته فحزن لفقدهما حتى كاد يفنى لفنائهما، توفي - رحمه الله - في سنة سبع و ثلاثين و سبعمائة [١٦٩].
و كان لنا شيخ عظيم القدر، كاشف لأسرار الحقيقة [١٧٠] يقال له:

[١٧١] الشيخ سعادة

، كانت إقامته بمكة و المدينة يتردد بينهما، و كان قد اشتهر في زمانه بين إخوانه أنه من أرباب الخطوة، و ممّن تطوى له الأرض، كان يتأهب لصلاة الجمعة بمكة فيرى في المدينة يصلّيها، ثم يرجع فربما أدرك الصلاة، و ربما يوافق دخوله المسجد الحرام خروج الناس من الصلاة [١٧٢].
فيقال له: يا سيدى فاتتك الجمعة. فيقول: نصليها إن شاء الله، يريد الجمعة المستقبلة [١٧٣].
و خرج معه خادمه مرة فقال له لما أن قربا من المدينة: يا سيدى، قد يسألنى بعض الفقراء عن مدة سفرنا، فما يكون جوابى؟ فقال له الشيخ: اكتم ما رأيت، و لا تقل إلا حقا، فلما دخلوا المدينة المشرفة سلّم عليهم بعض الفقراء، و قالوا
تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١١٧
للخادم: متى خرجتم من مكة؟ فقال: يوم الجمعة. و تخلص منهم بذلك، فكتم الحال، و صدق في المقال [١٧٤].
و له حكايات غريبة في خروجه من بلده من المغرب و وصوله إلى الحرمين الشريفين من هذا النوع شاهده من لا يتهم، و حكى عنه ذلك من له في المجاهدة أوفى قدم، و حاله و حكاياته بمكة عند أهلها مشهورة، و كان إذا قدم المدينة احتفل الجماعة به و تبركوا بدعائه و بكلامه، و أكثر إقامته بمكة في رباط الموقّ، توفي - رحمه الله - بمكة سنة ثلاثين و سبعمائة [١٧٥].
و كان من الأولياء الكبار القدماء الذين ينفقون من الغيب:

[١٧٦] الشيخ محمد الهورى

أكثر إقامته بمكة ثم انتقل إلى المدينة فأقام بها، فصادف غلاء عظيما، و عدم التمر حتى وصل صاعه إلى الخمسين و لا يوجد، و ذلك في سنة خمس و تسعين و ستمائة، و كان الشيخ - رحمه الله - يسكن في الحصن العتيق في بيت فيه شباك إلى الحرم، و كان يتصدق بالتمر البرنى [١٧٧] على الناس لا يعلم من أين يأتيه، و لا له من يشتريه، بل لو أراد ذلك لما وجد لقلته [١٧٨] و عدمه.
تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١١٨

و كان يقول لكل من وقف عليه من الكبار أو الصغار: كم فى بيتك من العيال؟ فيذكر له عددهم قَلُوا أو كثروا، فلا يكاد يزيدهم على تمره تمره، حتى يكاد يعمّ أهل البلاد كلهم فقيرهم و غنيهم، كبيرهم و صغيرهم، ثم يصبح على ذلك كل يوم من أول النهار إلى آخره.

جئت مرة فاعطاني عشر تمرات، فلما خرجت من عنده استقلتها فأعطيته فقيرا سقّاء، و كنت يومئذ صغير السن جدّا، ثم إنى ندمت على إعطائي له، فأنا إلى اليوم أذكرها لما وجدت حينئذ من فقدها، و كانت تلك السنة شديدة، و أظنها السنة التى حج فيها الأمير سلار، فإن التمر بلغ فى الحاج خمسين، و لم يوجد من كثرة الحواجّ و الأمراء، و كانت الترك و الأمراء ليسوا مثل اليوم فى الهدية، بل يحملون التمر بالمئين.

و أذكر فى تلك السنة أن أعيان المجاورين كانوا يطلبون الحثالة من شدة الشهوة فى التمر، و ما كان أحلاها إذا وجدت، و اتفق أن جاء والدى من عند الشيخ يعقوب الشريف المتقدم ذكره فى محفظته بمدّ تمر، فسررت به و إخوتى، حتى و لو كانت دراهم ما فرحنا بها كذلك.

هذا كان الحال فى تلك السنة، و أما حال الناس فى غيرها فكانوا فى حال دون هذا، السعيد و هو الذى يتغذى بلبلة، و البليلة: حثالة و حشف مدقوقان يجعلان فى قدح و يجعل عليه الماء ساعة، فإذا ابتلّ قدّم إلى العيال أكله كأنه عندهم حلوى، و يكون ذلك غذاؤهم حتى يأتى العشاء بما تيسر من جشيشة أو حريرة، و الناس اليوم ملوك أو كالموك و لا يشكرون الله تعالى، بل غلب عليهم بطر النعمة حتى اشتغل بعضهم بعضا من شدة الحسد و البغضاء.

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب فالناس بين مخاتل و محارب

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١١٩

يفشون بينهم المودة و الصفاو قلوبهم محشوة بعقارب

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَ لِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَ لَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ (الحشر: ٩).

و أخبرنى جماعة عن هذا الشيخ الهورى [١٧٩]: أنه لما قدم بمكة المشرفة أنفق على أهلها و ضعفائها أموالا مستكثرة، فرفع خبره إلى الشريف - أظنه حميضة - فجال ذلك فى صدره، ثم دخل على الشيخ فى بيته على غفلة فرحب الشيخ به و أجلسه فى وسط بيته، و قدم إليه كسيرات و شيئا من المخلات، فقال: ما أريد إلا أن ترينى ما فى بيتك أو تعطينى ما يكفينى و حاشيتى. فقال له الشيخ:

البيت بين يديك، و الله ما أدخر عنك شيئا. فقام الشريف و أعوانه إلى البيت ففتشوه و حفروه، فلم يجدوا فى بيته شيئا غير أوانى المخلل و شيئا لا يعبأ به فتركوه و انصرفوا، و لم يزل مستمرا على ذلك الإنفاق إلى أن توفى - رحمه الله [١٨٠].

قال لى الشيخ جمال الدين المطرى - رحمه الله -: كان شيوخ مكة ينكرون عليه شيئا من أحواله، و ذلك أنه كان كثير الطواف ليلا و نهارا، فيطوف معه بالليل نساء مخدّرات و غير مخدّرات، فيأخذ فى مؤانستهن و الكلام معهن.

و يقول: أنت فلانة كيف أنت؟ و كيف حالك؟ يعرفهنّ واحدة واحدة، ربما تكون المرأة لا يعرف أحد اسمها فيسميها، فينكر عليه الشيوخ فلا يلتفت

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٢٠

إلى كلامهم [١٨١]. و يرى أن ذلك طريقته و طريقة شيوخه للتستر بهذه الأحوال، و كان من أهل الريف، توفى بمكة - رحمه الله - و نفعنا بعباده الصالحين.

ثم كان من المشايخ الكبار أولى التحقيق، و السادة من أهل الطريق.

[١٨٢] أبو بكر الشيرازي.

كان من أصحاب السيد الكبير شيخ زمانه سيدى أبى العباس المرسي تلميذ الشيخ أبى الحسن الشاذلي، كان الشيخ أبو بكر بالمدينة كالشيخ نجم الدين الأصبهاني بمكة، كنت إذا رأيته رأيت رجلا من أهل الجنة، شهرة مناقبه الجمّة تغني عن تعدادها، سكن رباط الشيرازي حتى توفى - رحمه الله -.

كان على قدم أى قدم من الصيام والقيام وإطعام الطعام، وكثرة الإحسان للإخوان، وتفقد المجاورين والمساكين، جاورناه فوق عشرين سنة، فما رأيت مثله لا يعلم ما الناس فيه، ولا يسأل عما لا يعنيه - رحمه الله - ونفعنا به.

كان بيته قل أن يخلو من الطعام الفاخر، لكل وارد و صادر، قد اشتهر بورعه و صلاحه و خيره في أقطار الأرض حتى إنه ليقال: من في المدينة يزار بعد النبي صلى الله عليه و سلم و أصحابه؟ فيقال: الشيخ أبو بكر الشيرازي و كفى به، و قد تقدم شيء من ذكره قبل هذا، توفى - رحمه الله - في سنة إحدى و ثلاثين و سبعمائة.

و كان من أصحابه و الزامة.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٢١

[١٨٣] الشيخ أحمد الششتري.

لزمه و قام بخدمته و ولده شمس الدين من بعده، فاكسبا من آدابه، و تخلقا بأخلاقه، كان الشيخ أحمد - رحمه الله - من الرجال الملازمين للسكينة و الوقار، المحيين في الفقراء و المساكين، و أهل الصّلاح و الدين، ملازم الصف الأول، و يدخل المسجد في الوقت الأول، و كان مع أهله في بيته على خلق أهل الخير لا يبيت على معلوم، و لا كان في غير حق الله يقوم [١٨٤]. ثم لحقه في خلقه و خلق الشيخ أبى بكر ولده:

[١٨٥] شمس الدين محمد بن أحمد الششتري.

على خير و عفة و صلاح، باشتغال بالعلم و سماع الحديث، - رحمه الله - سافر و ارتحل، و له حسنة عظيمة رباط بالقرب من المسجد الشريف، هو عشّ الصالحين، نفع الله به.

و له في المدينة آثار حسنة، و معالم مستحسنة، توفى الشيخ أحمد - رحمه الله - سنة سبع و ثلاثين و سبعمائة [١٨٦]. و كان من أهل الرباط المذكور.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٢٢

[١٨٧] السيد أحمد الخراساني.

كان آية من آيات الله في باب العزلة و الصبر على القلة، له كل يوم ختمة الروضة المشرفة، كان لا يعرف من الناس إلا نفسه، جلس إليه أرغون نائب السلطان الملك الناصر فسأله عن حاله، فلم يشفه في الجواب. و سأله عن قراءته. فقال له: كل يوم ختمة [١٨٨]. فقال له: فكيف لا، و أنت ليس لك شاغل من أهل و عيال. طالت مدة حياته و هو على حاله لم يتبدل و لم يتغير [١٨٩].

و سكن معهم الرباط جماعة كثيرة من أهل الخير. منهم الشيخ محمد الكازروني و عمر الكازروني، و الفيروزبادي و جماعة غيرهم.

و كان من السادة الكبار و الأئمة الأخيار في الجهد و الاجتهاد:

[١٩٠] الشيخ صفى الدين أبو بكر أحمد السّلامى [١٩١] - رحمه الله -.

لو رأيت له رأيت رجلا- أى رجل، كان ذا دنيا عظيمة فتخلّى عنها و تركها و رغب فى الآخرة و أقبل عليها، و انقطع فى المدينة على عبادة عظيمة لا يفتر ليلا

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٢٣

و لا- نهارا، كان يقف فى أواخر المسجد إلى أسطوان من الصبح إلى الظهر، و من الظهر إلى العصر، لا يقطع ذلك إلا بالصلوات الفرائض فى الروضة الشريفة، و ذلك مع شيخوخته و كبر سنّه، فإذا جنّ عليه الليل حنّ إليه كما تحنّ الوالدة إلى ولدها. و كان له إيثار عظيم بالدنيا، و كان قرابته مع السّلاميين يبعثون إليه بالأموال الكثيرة؛ ليفرقها على مصارفها و يزيد عليها من ماله، لم يكن للدنيا فى عينه بهجة، و له فى الإيثار بها غرائب كان يحكيها عنه عز الدين دينار شيخ الخدام، فإنه كان يصحبه و يعتقده، و مثله يعتقد.

أعتق خداما و مماليك، و بنى له رباطان أحدهما مجاور للميضأة موقوف على الرجال و النساء، و الآخر موقوف على الرجال، و اشترى الدار التى كان يسكنها و هى فى ظهر رباطه الموقوف على الرجال، و كان الرباط حوشا لهذه الدار، فأفرده للرجال و سد الباب الذى بينهما و هو بين إلى الآن، و أوقف الدار المذكورة على الفقراء و المجردين إن لم يكن سّلاميون، فإن كان منهم فى المدينة سكنها و هو أولى من غيره، فإن سافر أو مات رجعت إلى الفقراء المجردين حكمها حكم الرباط و مجاور لها.

و وقفت على ورقة الوقفية و رأيت فيها من الشروط ما ذكرت، و إنما ذكرت ذلك و إن لم يكن مما نحن فيه؛ لأن بعض الناس وضع يده على هذه الدار، و سكن فيها نحو عشرين سنة منفردا بشبهه أنه عتيق لعتقاء الواقف، فظهر كتاب الوقف فى هذه السنة و هى سنة سبع و ستين و سبعمائة، فانترعت الدار من يده و أعيدت إلى شرط الواقف.

توفى صفى الدين - رحمه الله - بالمدينة النبوية و دفن بالبقيع إلى جنب قبة

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٢٤

سيدنا إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه و سلم فى حدود خمس عشرة و سبعمائة.

و كان من أخص الناس بالشيخ صفى الدين السّلامى:

[١٩٢] الشيخ محمد الكازرونى

انتفع بصحبته و انتفع الشيخ به و بمساعدته فى إنشاء الربط و عمارتها، و كان الشيخ محمد يحكى عن الشيخ غرائب من المقامات الجليلة و الخصال الحميدة، و اقتبس الشيخ محمد من بركته و من دعائه حتى وجد أثر ذلك فى أولاده، فرزق ذرية صالحين منهم الولد الصالح.

[١٩٣] صفى الدين أحمد

، قد نال الدرجة العليا فى الصّلاح و الدين، و العلم المتين، و كان لى كالولد البار تغمده الله برحمته، فما كان أحسن خصاله الحميدة و أخلاقه السعيدة، و آرائه الرشيدة [١٩٤]، جمعنا الله و إياه فى فسيح الجنان و جوار الرحمن ببركه هذا النبى عليه الصلاة و السلام.

و سيأتى شىء من محاسنه و محاسن أخيه عز الدين حماه الله تعالى بعد هذا.

صحبت الشيخ محمدا حضرا و سفرا، ماشيا و راكبا، فما رأيت من الأصحاب مثله فى سعة خلقه، و طول صبره، و حسن عشرته، و طيب نفسه فى إنفاقه، و حسن ظنه فى رفاقه و لو كانوا قطاع طريق [١٩٥].

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٢٥

رأيته يسلم المال الكثير للجمالين من أهل الصفراء، ويأمنهم عليه ويغيب عنه وهو تحت أيديهم فلا يتهمهم، ومع ذلك تجده محفوظا في نفسه وماله، وكان لا يردّ من أراد منه قرضا أو معاملة، يعامل الناس على حسب أخلاقهم، لم أره ضيق على غريم، ولا حبسه، وله من الأموال العظيمة على صعايك المدينة، فإذا طلبوا منه زيادة زادهم وصبر عليهم [١٩٦]. قلت له في ذلك، فقال: من كان لي عنده شيء بفائدة حرصت على رأس المال، وما بقي إن جاء في الدنيا وإلا فهو لي في الآخرة، و لذلك حفظه الله في ذريته فجاء منهم الفضلاء العلماء. منهم:

[١٩٧] الفقيه عز الدين بن عبد السلام

و تفقه و درّس في الحرم الشريف في موضع صفى الدين أخيه، و انتفع به أهل زمانه [١٩٨]. توفى والدهم - رحمه الله - سنة إحدى و خمسين. و كان من السادة المحفوظين و الأخيار المعدودين الأخوان الصالحان المتحابان في الله:

[٧٨- الشيخ أبو الحسن الخراز]

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٢٦

[٧٩- و الشيخ أبو عبد الله محمد الخراز]

أقاما في بيت واحد فوق الثلاثين سنة مجتمعين على صناعة واحدة يخرزون في بيتهم هم و أتباعهم لأنفسهم التعل و غيرها، و يرفعون ما فضل عن قوتهم فيتصدقون منه و يؤثرون، و ما بقي رفعوه إلى أيام الحاج، و يؤلفون من أتاهم و قصدهم من الأخيار حتى من أتاهم إنه لا يفارقهم.

كان الشيخ أبو الحسن له سابقة في مجاهدة الإفرنج بالأندلس، فكان لا يزال يعد الوقائع و الحروب و ما جرى لهم من النصر على أعدائهم، و يذكر من كانت له شجاعة و فروسية و فتك في النصارى، و كان حسن التصوير في كلامه يستلذ السامع بحديثه، فلذلك كان بيتهم لا يزال بالأخيار معمورا و أكثرهم الخدام الأخيار، و كان لهم أورد و أذكار مقدره في أوقات معلومة لا يزال والدى و نظراؤه يأتونهم بعد العشاء الآخرة للذكر و قراءة المسبغات حتى يمضى جزء من الليل، و اتحد بسببهم حال المجاورين و الخدام و حصل بينهم إخاء، و ارتفق بعضهم ببعض في الدين و الدنيا رحمهم الله، و قد تقدم ذلك.

و كان من حالهم و خصالهم الحميدة أنهم يتفقون المساجد المشهورة فيعمرونها و يساعدهم عليها الخدام بأنفسهم و خدمهم و أطعمتهم، و يجعلونها نزاهات، و هى في الحقيقة عبادات.

كانوا إذا نزل الغيث و أصاب أحدا يخرجون إلى سيدنا حمزة عم رسول الله صلى الله عليه و سلم فيبيتون عنده في القبّة في صلاة و عبادة و ذكر، و يجتمع معهم جلّ الخدام و المجاورين و رؤساء المؤذنين و فضلاء المدرسين، و عامه الناس أجمعين من فقير و مجاور، أو مدينى يكون لهم خادم، حتى إنه لم يبق في المدينة من أهلها إلا القليل، فيخرج كل جماعة بما يقدرون عليه من الطعام الفاخر و غير الفاخر،

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٢٧

و يأتون الخدام بأنواع من الحلوى و الأطعمة الملونة فتكون لبتهم في الذكر و العبادة تعدل ألف ليلة؛ لما اشتملت عليه من خيرات

الدنيا والآخرة.

و كان جماعة الفقراء و شيوخهم الشيخ على و أخوه الشيخ محمد الخرازان، يحملون معهم القرب يظن الناس أنها ماء، و هى ملاءى من طيبخ الأرز و البسلا يعدونه للفقراء الذين يتبعونهم و يخرجون معهم، ثم يلحقهم مددهم ممن تأخر عنهم فى صبيحة ليلتهم، فإذا أصبحوا و صلوا الصبح سرحوا إلى الجبل فطلعوا فيه جماعات جماعات، و لهم فى الجبل مقامات، يجلسون فيها فمنا موضع للطعام، و منها موضع وسط الجبل متسع تمد فيه الحلوى و الأطعمة المحلاة، و منها موضع بعده يمدون فيه أنواعا من المحمضات و الحريفات حتى إذا انتهوا إلى رأس الجبل، صلوا فى تلك المساجد، و اجتمعوا لقراءة القرآن و الدعاء و الذكر، و كان لمحمد بن إبراهيم فى تلك المواضع عمل عظيم و تذكير كثير، فتراهم يبكون و يتواجدون و تظهر عليهم آثار الرحمة و ذكر الله لهم فيمن عنده رحمهم الله.

ثم بعد ذلك ينزلون إلى عند المهراس، فيفرون ما بقى معهم، و يمدونه للفقراء الذين [١٩٩] يتبعونهم حتى إن الطعام ليبقى ليس له أكل، و يرجعون إلى المدينة على خير رجعة بقلوب صافية و أخوة مترايدة و شوق إلى مثل ذلك الاجتماع.

و كان معهم من الكبار مثل الشيخ عبد الواحد الجزولى المتقدم ذكره،

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٢٨

و الشيخ محمد اليمنى، و والدى، و مثلهم كثير كالصّحباتين بأجمعهم، و كان أكثر الناس صحبة لهم الشيخ أحمد القرشى والد محمد الصّحباتى، و كان يعد من الصالحين الكبار المتقشفين الموسوسين عند الطهارة و عند الغسل و الصلاة، كان يدخل العين قبل قيام المؤذن للتذكير، فلا يزال فيها حتى يمل منه الناس من كثرة الوسواس، نسأل الله العافية، و كان على قدم عظيم ربما لم يكن فيهم مثله، ملازم الجماعة و مجالس العلم و الخير، و يهادى الجماعة و يتلمذ لهم، - رحمه الله -.

و كان للشيخ أبى الحسن الخراز أحباب أفراد من الناس الأكياس، منهم:

[٢٠٠] الشيخ عمر بن عياد الخراز الأنصارى.

و الشيخ عمر المدّاس.

و عبد الله الخراز.

و جماعة كثيرون.

فأما الشيخ عمر، فبلده الأندلس من أعمال الجزيرة الخضراء - أعادها الله على المسلمين - و له مع الإفرنج وقائع و مواطن عجيبة، و كان والده عياد شيخ بلده، فلما ضعف أهل تلك الناحية و غلب عليها الإفرنج - خذلهم الله - خرجوا من تلك البلاد، و توجه الشيخ عمر و أخوه إلى الحجاز، فمات أخوه فى نواحي الشام، و وصل الشيخ عمر إلى المدينة، و أقام بها، و صحب الشيخ أبا

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٢٩

محمد البسكرى و جماعته، و كان خصيصا بالشيخ أبى الحسن الخراز و جماعته، و كان - رحمه الله - على قدم عظيم فى الصّلاح و الخير و محبة الصالحين و قضاء حوائجهم، و عدم الاكتراث بالدنيا فى المأكل و الملبس، و كان له على تربية و شفقة، و كان يحملنى فى صغرى و يفكه أصحابه بى [٢٠١].

و لما حج والدى بوالدى و كنت معهما صغيرا لم أفطم من الرضاع، كان هذا الشيخ عمر يقوم عن والدى بتربيتى، حتى إنه كان يتنجس مرارا فلا يتقدّر و لا يتسخط، فله على حق يستوجب به الدعاء منى، و كان له من الخدام أعوان صالحون قد تقدم ذكرهم فى ذكر مختار المولد، و لما بنى داره ساعده فيه إخوان محبوبون و أصدقاء ملاطفون، فخفت عليه مؤنتها رحمهم الله أجمعين [٢٠٢].

له عقب أولاد صلحاء، و ذرية فقهاء، انتفع بهم أهل زمانهم أكبره اليوم الشيخ عبد الله، محب فى خدمة الفقراء مسارع إلى قضاء

حوائج الإخوان محبب إلى الناس.

[٢٠٣] ثم الفقيه العالم النبيه تاج الدين عبد الواحد.

اشتغل اشتغالا كثيرا و تفنن في علوم عديده، و أفاد دروسا و جلس في مجلس شيخه الشيخ عبد السلام بعد وفاته، فانتفع به الطلبة. توفي الشيخ عمر - رحمه الله - في سنة إحدى و أربعين و سبعمائة.

تاريخ المدينة المنورة / ابن فرحون، قاهره، ص: ١٣٠
و كان من الشيوخ المعمرين في المدرسة الشيرازية:

[٢٠٤] الشيخ إبراهيم العريان.

- رحمه الله - كان كاسمه عريانا أبدا صيفا و شتاء على قدم التجرد، في وسطه بلاس [٢٠٥] و على رأسه قبع صوف، و كان أصله من الروم، فأقام بالمدينة فوق خمسين سنة على طريقه حسنة مستقرا في المدرسة المذكورة، عاش على ذلك حتى بلغ حداً اشتهر فيه بين الناس و أهل البلاد، فصار مقصودا مشهورا، له في المدينة آثار حسنة أكثرها في المدرسة و لولاه لسقطت طبقاتها. أقام فيها تلك الأساطين حتى حملت السقف و الرواشين، و كانت المدرسة مختومة في أيامه لا يدخلها و لا يسكنها إلا الأختيار من الناس، اشترى نخلا و أوقفه و اجتهد في عمارته بنفسه و ماله، صحبتته من المدينة إلى مكة - رحمه الله - و كان لا يعاشر إلا بالملاطفة لقوة أخلاقه - رحمه الله - توفي بالمدينة سنة ثلاثين و سبعمائة [٢٠٦].
ثم خلف الشيخ إبراهيم في المدرسة:

[٢٠٧] الشيخ سليمان الونشريسي.

من أصحابنا الكبار، له مجاهدة و توجه عظيم و مكاشفة في كل حين، و متى

تاريخ المدينة المنورة / ابن فرحون، قاهره، ص: ١٣١

شكى إليه من شدة أو خوف اشتغل خاطره بتفريجهما، و أطلع الله في المنام على عاقبتها فلا يمضى يوم حتى يخبر بما يكون من أمرها، و ذلك شيء كان منه دائما للإخوان و المعتقدين [٢٠٨].

و كان مكثرا على الصيام و القيام، و لسانه لا يزال رطبا بذكر الله و تلاوة القرآن، إذا قرأ القرآن لا يقرأ كقراءة الناس اليوم، بل يرفع صوته و يرتله ترتيلا - عجيبا مع تدبر و تأمل حتى يغيب عن حواسه، و كانت قراءته في المصحف نظرا؛ ليقوى بذلك على التدبر، و لأنها أفضل من القراءة غيبا، و له شيء من التصنيف ذكر فيه أحوال القوم و طريقتهم، و فضله بمواعظ و تقريرات ينتفع بها من وقف عليها [٢٠٩].

ذكر لي - رحمه الله - أنه لما قدم المدينة سكن في رباط السيل و هو على قلعة وفاقه، و كان يطوى الأيام لا يجد شيئا و لا يفطن له لتعففه و تكففه حتى سقطت قوته و خشى على نفسه، قال: و كان جواري رجل صالح يذهب كل يوم إلى البر، فيأتي بحزمة حطب يبيعهها و يتقوت بها و هو شيخ كبير، و كنت أشفق عليه لما أرى ضعفه، و كنت أقرأ على الشيخ عبد الحميد القرآن تجويدا مع جماعة من الناس لا يعلم أحد بحالي و لا ما أقاسى من الجوع و القلة. قال:

فجلست يوما في القبلة في المسجد فجاءني إنسان من ورائي ورمى في حجري رغيفا في الغلس، و ذهب و لم أعلمه و لا - عرفت

مكانه [٢١٠]. [٢١١]

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره؛ ص ١٣١

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٣٢

قال: فأخذت الرغيف فأكلته فوقع في فمي شيء أخرجه فوجدته ديناراً مغربياً، فأخذته وذهبت به في الوقت إلى السوق وأخذت به طعاماً وتقوت [٢١٢] به أياماً، ثم عدت إلى ما كنت فيه من الفاقة، فعاد إلى ذلك الرجل ورمى في حجرى رغيفاً وذهب في الغلس، فلم أعرفه، فوجدته مثل الرغيف الأول، فاشترت طعاماً وبقيت متعجبا من ذلك الرجل، فعند فراغ ما عندي جاء في الثالثة فرمى آخر على غفلة منى فتعجبت من هذا الرجل الذى يعرف الوقت الذى أصل فيه إلى الضرورة ولو أنه كان معى فى البيت ما كان يصل إلى حقيقة ما وصل إليه هذا الرجل! ما هذا إلا ملك أو ولى من الأولياء.

قلت: والله لأراقبته حتى أعلم مكانه.

قال: فلما فرغ ما بيدى ارتقت الوقت الذى يجىء فيه، فإذا هو قد جاء على العادة فحققت النظر حتى عرفته فإذا هو جارى الحطاب.

فقلت: هذا هو الحق؛ لأنه يعلم من حالى ما لا يعلمه غيره؛ لأن الباب بالباب.

قال: فمالت نفسى إليه، والقلب يميل إلى من أحسن إليه، فوانسته فانعطف على و إن كان كره ظهور إحسانه إلى، ثم إنى تخيلت منه أنه ينفق من الغيب، أو معه علم من الصنعة؛ لأن من ظفر بإحدى الخصلتين زهد فى الدنيا، و طلبها بتعب النفس ليكون ذلك من الشكر لله تعالى على أن ملكه ما لم يملكه غيره.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٣٣

قال: فأنست به حتى سألته عن سبب تكلفه نقل الحطب مع السعة، و قلت له: هذا غير نظر منك لك.

فقال: أردت أشياء يا مسكين منها التستر عن الخلق، و منها تذليل النفس و تهذيبها، فإن النفس إذا ملكت طاقت و طغت.

و لم أزل به حتى أخبرنى أنه علم ورثه و انفرد به، فسألته أن يعلمنيه لأذكره به و أستعين به على حالى.

فقال لى: إن صحبتنى إلى بلادى علمتك، و إلا- هنا فلا، فأقام إلى الموسم ثم سافر و لم يقطع الله بى، قلت: و ما مات الشيخ حتى تزوج زوجةً صالحه كان يقول: إنه فى بركتها، و اتسع حاله و اشتهر ذكره، و كان يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، و زوجته ميمونة على قدم فى العبادة و الخير.

توفى الشيخ- رحمه الله- عقيب الحج، و كان قد حج ماشياً فى طريق المشيان، فلما كمل حجه اجتمع بى فى منى، و قال لى: قد عجزت عن الرجوع ماشياً فاكترت له، و كان فى صحبتنا إلى المدينة فلم يقم بعد الموسم إلا قليلاً ثم انتقل إلى رحمه الله تعالى أول سنة ست و خمسين و سبعمائة.

و كان لى من الإخوان فى الله العلماء الربانيون أصحاب الأحوال و المكاشفات.

[٢١٣] الشيخ الصالح العالم العامل شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز

بن

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٣٤

القاسم بن عبد الرحمن النويرى العقبلى.

نسبه إلى عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه.

كان له تردد كثير إلى الحجاز يتكرر كل سنة مع الرجىء إلى مكة المشرفة فى البحر تارة و فى البر أخرى، فلما أقمت بمكة عام ثمانية عشر و سبعمائة صادفت مجيئه إلى مكة و أنا بها، فصحبته فوجدته من رجال الآخرة، و من بيت العلم و العمل و المكاشفة.

فقال لى: أريد المدينة فى هذه السنة و قد عزم على طريق المشيان فاعمل على الصحبة.

قلت له: يا سيدى أنا لى عن أهلى مدة طويلة أكسبتنى قوة شوق و وجد، و إن سافرت معك فى طريق المشيان تعبت معك؛ لأنى أجد فى المشى و أنت لا تقدر على ذلك، فعذرنى و تأخر.

فلما جاء الموسم جاءنى و دخل منزلى فاستبشرت ببركة دخوله و حصل لى به أنس كثير، و وعدنى بخير كثير، ثم تكرر إلى مكة بعد ذلك سنين إلى عام ثلاثة و عشرين و سبعمائة.

ثم بلغنى أنه لما جاء مع الرجبية تزوج بنت القاضى نجم الدين الطبرى قاضى مكة المشرفة و إمام أئمتها و كبيرها أبو اليمن محمد بن محمد الطبرى الشافعى، و كان غرضهم من تزويجه أن تحل للشيخ خليل [٢١٤] المالكى إمام مقام

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٣٥

المالكى؛ لأنه كان حنث فيها، و لم يطلع على ذلك و لا ذكروا ذلك له لما كانوا عليه من الورع و الخير و الدين، فلما حصل معهم قاموا بحقه و خدموه و سعوا فى رضاه من غير أن يشعروه أن لهم غرضاً غير بركته و خدمته.

فلما رأى ذلك منهم اغتبط بهم و أنس بينهم و وجد منهم الشفقة العظيمة، فأقام بمكة و ترك الرجوع إلى بلده، فرزق منها أئمة مكة اليوم و قضاتها و خطبائها و علماءها الفقيه الإمام العالم القاضى:

[٢١٥] كمال الدين أبو الفضل الشافعى.]

[٢١٦] و القاضى نور الدين المالكى.]

فتقدما على أقرانها و رأسا.

فولى القاضى كمال الدين قضاء مكة و خطابة الحرم و نظره.

و لى القاضى نور الدين مقام الفقيه خليل بعد ابن أخيه عمر - رحمه الله - فى إمامة المقام و فى إمامة الحج، و كان من حال والدهما أنه سحب زوجته إلى أن توفى والدها القاضى نجم الدين فى سنة ثلاثين و سبعمائة عن اثنتين و سبعين سنة - رحمه الله - و هو معهم على ما يحب من العزة و الإكرام و ترك المساءلة عما يجب عليه من النفقة و الإدام و الكسوة و ما جرت به العادة من الأزواج، فبعد موت والدها لم ير منهم ذلك الوجه الذى كان يعهده، فجاء مع زوجته المدينة

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٣٦

زائرا و أراد أن يقيم بها؛ ليدلها و يهدبها بالغربة و البعد عن أهلها.

فقال له أهلها: لا- يمكن ذلك و شدّدوا فى رجوعها معهم. فقال على طريق التخليط عليهم و التشديد و إقامة العذر: أنا قد حلفت بالطلاق الثلاث أن لا يكون لها معكم سفر فى هذا الوقت. و لم تكن له نية و إنما أراد التهويل عليهم، فعزموا عليه و التزموا بالرجوع إلى ما كان عليه.

فسافروا معهم و قرروا عليه يمينه، و أخذوه بظاهر لفظه فطلقوها منه، فاشتد عليه الأمر و عظم عليه ما وقع منه و فيه، و لم يجد من يساعده على ما نواه إذ أسرته البيئة.

فلما رأى أنها بليّة لا- يمكن زوالها رجع إلى المدينة المشرفة، و أقام بها و كان يصلى إلى جنبى الصلوات، فأرى منه من التوجع و الالتهاب و الشوق ما لم أره من أحد فكنت أعذره فى الباطن و أهون عليه الأمر فى الظاهر، فيقول: و ويل للشجى من الخلى.

ثم إنه لم يجد ما يغیظهم به إلا أخذ أولاده منهم، فأخذهم منهم بالشرع فأقاما معه و هما صغيران فتعب و تعب، فيسير الله تعالى من أخذهم منه خلسة، و حملهم إلى مكة عند أمهم و خالهم القاضى شهاب الدين فربوهما أحسن تربية فجاء منهما ما تقدم ذكره، و لما علم الفقيه خليل - رحمه الله - أن فى فراقها له شبهة تورع عن زواجها و تركها فلم يزل كذلك حتى توفى شهاب الدين النويرى

بالمدينة حينئذ تزوجها و ماتت عنده رحم الله الجميع، و كان الشيخ شهاب الدين من بيت الكرامات و المكاشفات لهم حكايات و مقامات مشيدات.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٣٧

جلست إليه يوما بعد أن صليت ركعتين و كان قد أظننا مجيء الحاج فكانت صلاتي كلها وسوسه بما يجيء به الحاج و ما يكون من وظائفى و ما يجيء منها و غير ذلك.

فقال لى عقيب فراغى: يا فقيه ما أقل أدب العبد مع الله تعالى خلقه و أوجده و تكفل برزقه و جعل الرزق يجرى مع الحاجة لا يتعداها، و لم يرد منه إلا الإخلاص و التوكل و العبادة و قد جرب العبد وعده تعالى فوجده صحيحا لا يختل معه، و رزقه يأتيه كل حين و كل يوم و كل ساعة حسب ما يقدره الله تعالى، ثم إنه سبحانه أمر بصلاة و زكاة و صيام و وقت له من ذلك وقتا، و أمره بأن لا يتعداه بتقديم و لا تأخير ففعل العبد ذلك، و قدر له رزقا و وقته عنده بوقت معلوم، ثم إن العبد يسىء إلى ربه بأن يتهمه فيما وعده به، فيقول: يا ترى يجيئنى شىء من هذه السنه أم لا؟ و إن جاء فهل يجيء كاملا أو ينقطع بعضه؟

و من هذه الأشياء التى هى إلى الشرك أقرب، أليس هذا من قلة الأدب؟

فعلت أنه إنما أرادنى بهذا الكلام فاستغفرت الله العظيم، و رجعت فملت بذلك خيرا كثيرا، و له كرامات لا يسع ذكرها ههنا.

و لما كان فى سنه سبع و ثلاثين و سبعمائة قدمت قافلة مكة و معهم القاضى شهاب الدين و مطلقته و ولدها، فطلع بها شهاب الدين إلى الأمير ودى بن جماز صاحب المدينة و كلمه فى شأن زوجته و أولاده و أخذ خطه بأن يعقد لهم مجلس شرعى، و كان ذلك فى أول نهار الأربعاء خامس شهر محرم من السنه المذكوره، فمرض فى أواخر ذلك النهار، و لم يزل مريضا إلى أن توفى بعد العصر يوم الأحد سادس عشر المحرم، و دفن بعد المغرب بالبقيع قريبا من مالك بن أنس مما يلى الطريق - رحمه الله -.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٣٨

و لما ذكر.

[٢١٧] الفقيه خليل استطرادا فلا بد من ذكره استبدادا]

فقد كان من أئمة الدين و المتسمين باليقين، كانت مكة المشرفة بلده و دار إقامته، و لكن قل أن تجيء قافلة من مكة للزيارة و ما هو معها شوقا لهذا النبى الكريم صلى الله عليه و سلم، و كان قد أقام و جاور و قرأ على والدى العريية و كان ملازما لدرسه و انتفع و حصل، و كان يقول لى: ما عند الشيخ من كتب العريية؟ فأقول له: ما علمت عنده شيئا سوى شىء من "شرح الجمل" لابن عصفور، فيقول لى: ما هذا من جوانح ابن عصفور، هذا الذكر العظيم و الإلقاء و التفهم لا يكون إلا عن إلهام أو كثرة اشتغال، و كثرة كتب يلتقط محاسنها و يرتب قوانينها، فأقول له: ما عنده غير ما ذكرت لك.

كان حال الفقيه خليل معلوما مشهورا من البر و الصدقة و مواساة الفقراء و تحمل الدين العظيم لأجلهم، ينتهى دينه فى بعض السنين إلى قريب من مائة ألف درهم (نقرة [٢١٨])، يقرضهم ثم يقضى الله تعالى على أبر [٢١٩] ما يكون و كان [٢٢٠] له من الدين فوق ما يصفه الواصفون، و من العلم مثل ذلك، و من الورع و التمسك بالسنه فوق ذلك، قل عن البحر فالبحر يوقف دونه، كان لى منه النصيب الوافر فى دعائه و مكاتبتة و نشر ذكرى عند أهل الخير جزاه الله خيرا،

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٣٩

و كان عنده من الوسوسه فى طهارته ما اشتهر مثلا فى الأقطار، توفى الفقيه خليل - رحمه الله - فى سنه ستين و سبعمائة.

و فيها توفى القاضى شهاب الدين قاضى مكة و كانا سراجى مكة هذا فى فنه و هذا فى فنه، و قل أن يخلفهما مثلاهما فيما بقى من الدهر رحمهما الله تعالى.

و من إخواننا المكيين [٢٢١] المكثرين من الإقامة في المدينة المحيين في هذا المقام الشريف، إخوانا في الله.

[٢٢٢] محمد بن سالم الفقيه الشافعي.

كان أخا صادقاً ذا ورع و دين و علم و اجتهاد في الصلاة و الصيام و القيام، و كسب من الدنيا كثيراً لما كان يعاني من التسبب و الحركة و السفر، فلما انقطع من ذلك قلت عليه الدنيا فصبر و صابر على العبادة و التخلي عن أصحابه، و من كان يعرفه أيام يسره و شبابه، له أحوال المشايخ الكبار مع طهارة اللسان و العرض في كل إنسان و لو أودى حمل و صبر، رأيته كثيراً ما يجعل في فيه حصاة تمنعه من الكلام خوفاً من لسانه و صوتاً لفضول كلامه [٢٢٣].

صحبتة فوق ثلاثين سنة فلم أر كأنسه و كرمه و محبته، تراه يترك في أيام الموسم حوائجه و حوائج أهله، و يتطلب أصحابه فينزلهم في منزله و يضيفهم و يبذل لهم الخدمة و الطعام و الماء البارد الحلو، و يخلى لهم داره تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٤٠

التي هو فيها، هذا دأبه مع كل معارفه [٢٢٤]، حتى إنه ليذهب إليهم و هم في منازلهم فيرحلهم إلى بيته و يعزم عليهم في ذلك، و كان بشوشاً ضحوكاً مزاحاً في حق، و متى جرى منه جفوة [٢٢٥] أو غيبة ذهب إلى ذلك الشخص و تحلل منه و سأله المغفرة له [٢٢٦]. و خلف أولادا كان أنجبهم أوسطهم.

[٢٢٧] عبد الرحمن

كان فيه من الحياء و الأدب و قضاء الحوائج ما كان في والده و زيادة، توفي - رحمه الله - سنة ست و ستين و سبعمائة، و أما والده فتوفي سنة أربع و ستين فيما يغلب على ظني رحمهما الله تعالى. و كان ممن رفع مكانته و شهر بين الناس منزله محل الوالد الشيخ الفقيه الجليل العلامة السيد الشريف:

[٢٢٨] أبو الخير بن سيدنا و شيخنا أبي عبد الله الفاسي الحسني.

نزىل مكة المشرفة، نشأ في عبادة الله تعالى و تبتل للاشتغال بالمذهب المالكي حتى رآه الناس أهلاً للتدريس و الإلقاء و الإفادة، فدرّس و اشتغل و صحب رجلاً من مشايخ الوقت و ارتحل إلى الإسكندرية و أدرك بها من أهل تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٤١

العلم و الصلاح و الأئمة جماعة كثيرين فصحبهم، و أخذ عنهم و كسب من أخلاقهم و محاسن صفاتهم ما أظهر عليه نورا و بهاء و رئاسة لم تكن لأحد من نظرائه - رحمه الله -، توفي عام سبعة و أربعين و سبعمائة بالمدينة المشرفة، و دفن حيال قبر سيدنا إبراهيم عليه السلام.

و كان من أصحابنا الكبار الذين لهم ورع و دين و صلابة و يقين، الشيخ العارف و المتعبد الورع الزاهد:

[٩١- أبو عبد الله محمد بن عرفه التونسي.]

كان من أصحاب الوالد رحمهما الله، لم أر أحداً مثله في اجتهاده و تحريه في العبادة و مواظبته على الحج و الزيارة، كان من أعيان أهل تونس لم يزل يتكرر على المدينة من بلده لتكون وفاته بأحد الحرمين فكان كذلك، توفي - رحمه الله - بالمدينة في حدود سنة ثمان و أربعين و سبعمائة، و له ولد علامة ورع زاهد و عليه اليوم في تونس مدار الفتيا و الاشتغال في علوم الكتاب و السنة.

و كان من كبار الأولياء المتحلين بالعلم و العمل و الزهد و الورع قاضي طنجة الشيخ:

[[٢٢٩]] أبو الغمر [٢٣٠] الطنجي.]

انفرد في مدة إقامته بالمدينة المنورة النبوية عن أقرانه في العلم والعمل والانقطاع والتوجه العظيم والصوم والمجاهدة حتى لم يبق منه إلا الخيال، فإن مسكنه برباط دكالة بالحجرة التي هي مسكن الأولياء والأخيار، فكان يقرئ تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٤٢

العلم فيها، قرأت عليه الفرائض والحساب، وكان يؤثرني ويدعولي، ومالت نفسه إلى الزواج وأحب أن يكون على السنة في التزويج، فخطب له أصحابه امرأة حسنة و سيمه، فلما دخل عليها قبل اجتماعه بها نظر إليها فوجدها موشومة الشفة فأقام ليلته، ثم خرج ولم يمسهما ودفع لها صداقها كاملا و طلقها، ثم لم يتزوج حتى توفي.

أقام بالمدينة مدة طويلة، ثم انتقل إلى مكة فأقام بها مثلها على عبادة وكثرة طواف حتى إنه كاد لا يوجد إلا فيه. قال لي الشيخ العالم الحافظ المحدث أبو عبد الله الوادي آشي: إنه سأله، فقال له: يا سيدي هل وقفت في مدة إقامتك بمكة على مغربة أو كرامة أعدها عنك أو أرويه لمن بعدك؟ فقال لي: وما تحت ذلك من طائل؟ فألححت عليه، فقال لي: كنت ليلة أطوف بالبيت وحدي فيما ظهر لي، فرأيت عن يميني وعن شمالي رجالا يطوفون معي رءوسهم مشرفة على البيت.

واجتمعت به عام ثمانية عشر وسبعمائه بمكة، فوجدته قد ضعف واشتد عليه السعال، وانتفعت بمجالسته، وأفادني بوعظه وبحكمته و بعلم استبد به، ثم قال لي: ما أظنه إلا حضر أجلى وأحب أن تكون وفاتي بالمدينة في جوار سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت له: اعلم على ذلك، فأوصاني أن أشتري له من الدقيق وغيره ما يكفيه لسنته، وكان ذلك في شهر رمضان، وكان بيت عند بيت الفقيه خليل المالكي، فطاف يوما ثم خرج من المطاف ودخل دهليز الفقيه خليل عند باب إبراهيم، ثم دعا بفراش واستقبل القبلة ثم قضى أجلا، ومضى عجلا- رحمه الله-، وذلك في السنة المذكورة، فلم أر جنازة كثر تابعها رجالا ونساء، وكبارا وصغارا مثل جنازته- رحمه الله-.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٤٣

رأيت النعش محمولا على رءوس الأصابع، ورأيت الكفن قد اسودّ من أيدي الناس يلمسونه للبركة، وصلى عليه القاضي نجم الدين رحمهما الله تعالى.

ورأيت اليوم على طريقته وأزيد في الورع والزهد صاحبنا الشيخ:

[[٢٣١]] موسى بن علي المراكشي.]

نفع الله به وبدعائه، وإنما نبهت عليه لما خالطني من محبته واعتقاده، ولما احتوى عليه من العلم والعمل والورع الكثير الذي هو من صفات الأولياء الكبار المحققين من الأبدال، أعانه الله على ما هو ملتزمه من الخير الكثير والدين المتين، حتى إنه لا يتناول من الحلال إلا القوت الشظف اليسير، لا يأكل في أرض الحجاز لحما ولا تمرا ولا سمنا، وإنما يعمل له شيء يسير من الخبز بلا آدم في أكثر الأوقات، وإن كان إدام في بعض الأوقات فلفت مسلوق، وربما اكتفى المدة الطويلة بالحريرة من دقيق الشعير ليس لها إدام، مع الصيام الدائم والقيام المستمر في صحته ومرضه إلا أن يمرض مرضا طويلا فحينئذ يفطر، وأما في العلم بمذهب مالك وغيره والأصول والفرائض وغير ذلك من العلوم فهو رحله، صحبته حضرا وسفرا، فرأيته رجلا علم ما يطلب فهان عليه ما يجد، وذلك مع نضارة الشباب وأنوار من مواهب الملك الوهاب نفع الله به، وأكثر إقامته بالمدينة، وهو الآن بمكة شرفها الله تعالى.

وكان من شيوخنا وأصحابنا والدنا الشيخ:

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٤٤

[[٢٣٢]] أبو عبد الله القتورى [٢٣٣].

من العلماء المتقين من أهل الأندلس له علو سند فى "الموطأ" و "الشفاء" و انقطع فى المدينة مع أصحاب له، كان ملازما للمسجد لا يرى إلا وحده ذاكرا أو مصليا، كان الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الغرناطى يحكى عنه مغربات فى أفعاله و أقواله، اشترى هو و أخو الشيخ أبو العلاء و آخر معهما قطعة أرض فى طريق البقيع جعلوها تربة لهم فدفنوا فيها، و هى فى طرف البقيع على طريق المار إلى مسجد الإجابة بين نخل يحفها من جوانبها قد دثر رسمها، و ما أخوفنى أن تملكك و تغرس؛ لأن العارف بها اليوم قليل، و لو كانت على السبيل، و لكنه ببركة نياتهم يحفظون إن شاء الله تعالى ممن ينشر قبورهم أو يشوش عليهم فإنهم كانوا من عباد الله الصالحين رحمهم الله.

و كان من قدماء الشيوخ المباركين المشهورين الشيخ:

[[٩٥]- محمد البلاسى.]

كان شيخا صالحا، و كان يجلس فى وسط الحرم مع جماعة من الفقراء المجلوين، و كان ممن قطع البلاد شرقا و غربا لا- تفنى حكاياته و غرائبه.

و مما أخبر به من الغرائب أنه دخل قرية فى اليمن مع جماعة من الفقراء، فوقفوا على امرأة تباع اللبن، فكأن واحدا من الفقراء نظر اللبن فوجده مشوبا بالماء فصبه على رأسها.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٤٥

قال الشيخ محمد: فلمناه على ذلك، ثم رجعنا إلى منزلنا و قد أغظناها فلم ندر بصاحبنا إلا و قد رجع فى صورة حمار و له ذنب كذنب الحمار، فعلمنا أنها سحرته، فجننا إليها و استرضيناها فلم ترض، فدخلنا على مشايخ بلدها فغلبوا عليها ففكت سحرها عن صورتها، و بقى معه ذنب الحمار أبت أن تزيله، فسافرنا من تلك القرية و صاحبنا على حاله، و لم يزل كذلك حتى قدمنا المدينة و نحن فى شدة عظيمة من ذلك الأمر، و قد قلت الحيلة فيه؛ فسأل صاحبى قومه المسجد الشريف أن يبيت فى المسجد فأذنوا له، فبات بين تضرع و بكاء و دعاء و توسل بالنبي صلى الله عليه و سلم حتى غلب عليه النوم، فبات حول الضريح المكرم فأصبح و قد أزال الله عنه ببركة النبي صلى الله عليه و سلم.

و لله در القائل:

فلذ ببر رحيم بالبرية إن عاقتك شدة دهر عق و اعتصم

واف كريم رحيم قد وفا و وقى و عم نفعاً فكم ضر شفى و كم!!

و كم حبا و على المستضعفين حبا و كم صفا و ضفا جود الجبر هم!!

حان على كل جان واف إن قصدواواق شفى من شفا جهل و من عدم

كهف الأرامل و الأيتام كافلهم و افى التدا لموافى ذلك الحرم

و هذه الأبيات من قصيدة غراء اشتملت على فنون البديع أولها:

بطيبة انزل و يمم سيد الأمم و انشر له المدح و انثر أطيب الكلم

و هى من نظم صاحبنا و أختينا فى الله الشيخ الإمام العلامة، و جيد دهره، و فريد عصره، لسان الأدب، حجة العرب، مجمع أشتات

الفضائل:

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٤٦

[٢٣٤] شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الهواري نسبا الأندلسي مولدا و منشأ.

قرأها علينا بحضرته في الروضة النبوية في سنة ست و ستين و سبعمائة رفيقه و أخوه في الله تعالى الشيخ الإمام العالم العامل رحلة زمانه و نادرة إخوانه:

[٢٣٥] أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الغرناطي

، و كانا قد سألاني أن يسمعا عليّ (صحيح البخاري) فأجبتهما إلى ذلك اغتاما لمجالستهما و اقتباسا من فوائدهما، فكان الشيخ أبو جعفر هو القارئ فإذا فرغ من قراءة (الحديث [٢٣٦] أنشد شيئا من ديوان

[٩٨- الشيخ أبي عبد الله رفيقه]

، و ديوانه ديوان عظيم في مجلدين، و قد يسر الله عليه النظم مع البلاغة و الفصاحة و دقة المعنى [٢٣٧]. ذكر أنه قال: أقدر أن أنظم في اليوم الواحد- بلا- كلفة- ثلاثمائة بيت و كان ينظم الأبيات العديدة تقترح عليه و هو على السماط فيملي الكاتب بلا- تكلف، و غالب تصانيفه نظما، و لأبي جعفر نظم حسن بديع نفع الله [٢٣٨] بهما، و كانا قد سبقت لهما بالمدينة مجاورة في سنة ست و خمسين و سبعمائة فانتفع الطلبة بهما في هاتين المجاورتين، و قرئ عليهما كتب عديدة في العربية تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٤٧

و الأصلين و اللغة و العروض و البديع و غير ذلك، و سمع عليهما الحديث [٢٣٩].

و في المجاورة الأولى شرح الشيخ أبو عبد الله (ألفيه ابن مالك) شرحه المفيد الذي عمّ النفع به و اشتهر اشتهارا عظيما [٢٤٠].

وله و للشيخ أبي جعفر تصانيف كثيرة و أوضاع مفيدة، و لو رما ذكرها و وصف محاسنها لخرجنا عن المقصود [٢٤١].

و قرئ عليّ بحضرتهما تأليف المسمى ب (العدة في إعراب العمدة) قراءة بحث و تفهم و حصل بذلك خير كثير، فإنني وضعته على مثال لم أسبق إليه، و حررته على منوال لم ينسج عليه فصوبا و الحمد لله على ما وضعته و شكرا لي على ما صنعت، جزاهما الله خيرا [٢٤٢].

و كان القارئ للكتاب المذكور: الأخ الصادق، و الولد الشفيق، العالم، العامل المفنن

[٢٤٣] تاج الدين عبد الواحد بن عمر بن عباد الأنصاري

المتقدم ذكر والده، و أخوة هذين الشخصين العالمين العاملين و اتحادهما و اتفاهما في الأخلاق، و الأقوال، و الأفعال لم أر مثلهما و لم أسمع بذلك، لا يملك أحدهما دون الآخر شيئا و لا يتخصص عن صاحبه بشيء من أمور الدنيا قلّ أو جلّ،

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٤٨

و لا يلبس أحدهما غير ملابس الآخر، لكل واحد منهما مثلما لصاحبه إن فصلا ثيابا فمن نوع واحد و لون واحد، و كذلك في العمائم، و الفوط، و الدلوق، و ثياب الجمال، و ثياب المهنة، و كذلك لباس الشتاء و لباس الصيف، و كذلك الفرش، و الأوطنة، و الأنطاع، و الوسائد، و النعال و غير ذلك، و إذا لبسا لونا لبسا جميعا بياضا كان أو غيره لا يمكن أن يغير أحدهما لباسه دون الآخر، يأكلان و يرقدان جميعا في بيت واحد، و أعرض كلاهما عن الزواج، و التسرى؛ رغبة في دوام الصحة، و خوفا من الأسباب الموجبة

للفرقة [٢٤٤].

و كان معهما مملوك لهما يخدمهما، و كان الشيخ أبو عبد الله ضريرا بسبب جدري عرض له في صغره بعد أن دخل المكتب في أواخر السنة الخامسة من عمره، فكان يعتمد على الشيخ أبي جعفر في خروجهما إلى المسجد أو رجوعهما، و في بلادهما كانا كذلك لا يفترقان أصلا و لا يعتمد على الغلام إلا في النادر، و إذا حصل للشيخ أبي جعفر عذر عظيم، و إذا دخل الإنسان بينهما لم يفرق بين مجلسيهما إلا بالمكتب؛ لقربها من الشيخ أبي جعفر لتساوي الفرشين و جميع ما يتعلق بهما من الأغطية و الأوطئة [٢٤٥].

و من أعجب الأشياء أنهما يمرضان جميعا و يصحان جميعا، و هذا شاهدهما في المجاورة الثانية؛ مرض الشيخ أبو جعفر في يوم، و مرض الشيخ أبو عبد الله في اليوم الثاني، و تمادى بهما المرض مدة طويلة و كان مرضهما واحدا، و ولدا في سنة واحدة: أبو عبد الله في المرية، و أبو جعفر بغرناطة، و ذلك سنة ثمان و سبعمائة ثم اجتمعا في شبوبيتهما في مجالس العلم، فألف أحدهما الآخر

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٤٩

ثم اجتمعا فلم يفترقا، لا فرق الله بينهما بسوء [٢٤٦].

ثم ارتحلا من بلاد الأندلس و دخلا غالب بلاد المغرب و رويا الحديث، و أخذوا العلم عن الشيوخ، و لهما تأليف في ذكر من اجتمعا به من الأكابر في رحلتيهما، ثم قدما إلى المشرق بعلم كثير [٢٤٧].

و كانا في سنة إحدى و أربعين مقيمين بدمشق، و اجتمع بهما أخي عليّ - رحمه الله - في تلك السنة و كانوا جميعا في دار الحديث ثم ارتحلا إلى بلاد حلب فأوطناها إلى الآن، و رتب لهما السلطان في (ألبيرة) من أعمال حلب ما يكفيهما و اشتهر فضلهما و ذكرهما [٢٤٨].

و خدمهما رؤساء البلاد و سراء الناس، و مدحهما الأدباء و كتّاب الإنشاء، و تخرج بهما الطلبة [٢٤٩].

و هما اليوم في تلك البلاد ملاذا للغرباء، و ملجأ للمظلومين، و شفاعتهما مقبولة و كلمتهما عالية - أبقاهما الله تعالى بقاء جميلا [٢٥٠].
و اعلم أنه كان للشيخ محمد البلاسى عبد اسمه سعيد، أعتقه و جعله من جملة الفراشين بالحرم، و أعقب سعيد ولدا مباركا نجيبا فراشا في الحرم اشتهر باسم:

[١٠٠- الشيخ محمد البلاسى]

سنة ثمان و ثلاثين و سبعمائة، و كان برباط

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٥٠

مراغة- الموقوف على الفقراء الصوفية المجردين - جماعة صالحون أكثرهم مغاربة ممن جاهد و اجتهد، جمعوا بين العلم و العمل. منهم الشيخ الصالح:

[٢٥١] أبو عبد الله محمد العصياتي

، كانت إحدى رجليه قصيرة، مخلوغة، مذبذبة لا يتحمل على الأخرى إلا بعضاتين، و كانت له أحوال عجيبة و مكشافات صحيحة! ألفه الخدام و اعتقدوه و قاموا بحقه لما علموا مكانته، و كان أعظمهم له موالاة و خدمة

[٢٥٢] الطواشي شمس الدين شفيح - رحمهما الله تعالى.

قال لي يوما: رأيت الشيخ عز الدين الزرندي المتقدم ذكره في النوم، و كان قد توفى في طريق العراق بعد الإقامة الطويلة في الحرمين، فقال لي: سلم على أولادي و قل لهم: قد حملت إليكم و دفنت بالبقيع عند قبة سيدى العباس، فإذا أرادوا زيارتي، فليقفوا هنالك و

يسلموا على و يدعوا لى.

قلت: ما ذكره الشيخ الصالح [٢٥٣] من رؤياه حق، فقد شاهدت شخصا كان مسرفا على نفسه شديدا فى تشيعه، و كان يوما يهدم حائطا، فذكر عنه أنه صدر منه كلام فى حق الصحابة فسقط عليه الحائط؛ فهلك فدفن بالبقيع.

فلما كان اليوم الثانى من موته أصبح القبر خاليا منه ليس فى اللحد أحد

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٥١

ولا- حول القبر نبش ولا- أثر، و قد زال التراب الذى دفن به القبر حتى انكشف اللبن و ليس للتراب أثر، و لا عنه خبر و قد خلا من عند رأسه ثلاث لبنات لا غير، و وقفت على القبر مع القاضى جمال الدين المطرى لما شاع فى المدينة خبره و قيل: أصبح قبر ابن هيلان خاليا منه ليس فيه فأمر القاضى جمال الدين المطرى أبا قميص حفار القبور بأن ينزل و يجس اللحد؛ فهاب و الناس حول القبر يأتون من المدينة أرسالا أرسالا، ثم دخل أبو قميص بعد العزيمة عليه فنظر و فتش فلم يجد شيئا ألبته، و نزل غيره و فعل كفعله فلم يجد الآخر شيئا، و كان ذلك آية من آيات الله تعالى!! فلما كثر خروج الناس و اشتهر أمره أمر يوسف الرومى الوزير يومئذ بدفنه فدفن القبر نسأل الله حسن الخاتمة!

و قال لى الشيخ محمد بن إبراهيم المؤذن عن رجل صالح كان يدفن موتى المدينة و قد طال فى تلك الحرفة عمره قال: قلت له: هل رأيت يا سيدى من أعجوبة فى هذا البقيع؟!

فقال: لم أر إلا الخير إلا أنى حملت ميتا فى أيام الحج و لم أجد من يساعدنى عليه غير رجل واحد فحملته معه و وضعناه فى اللحد، ثم ذهب صاحبهى و تركنى فذهبت أحمل اللبن لأجل لحده، فلما جئت به لم أجد الميت فى لحده؛ فذهبت و تركت القبر على حاله. و كان فى الرباط المذكور من الرجال المنقطعين عن هذه الدار الشيخ:

[٢٥٤] قاسم التكرورى:

كان ملازما للسياحة فى الجبال و البرية لا يأتى إلا من جمعه إلى جمعه يقات بالبول، و يتبع مجتمعات الماء التى يربى فيها

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٥٢

الحوت كنفج و السدّ و غيرهما، فيصيد منه شيئا و يقات منه و شيئا يهديه لأصحابه و أحبابه، بلغ من قوة عزيمته فى دينه أن جعل فى عنقه غلا ثقيلًا يتذكر به حال الآخرة، فنهى عن ذلك فأبى حتى قيل له: خالفت السنة، و ارتكبت البدعة؛ فترك ذلك بعد شدة و كان يسرد الصوم أبدا حتى العيدين، فقيل له فى ذلك فقال: إن أكلت شيئا مرضت، فقيل له: كل و لو مثل حبة من الطعام و إلا فتأثم بالإجماع، فكأنه فعل و الله أعلم، توفى رحمه الله فى (خليص) متوجها إلى مكة سنة تسع و أربعين و سبعمائة [٢٥٥].

و أيضا كان فى الرباط المذكور الشيخ:

[٢٥٦] عثمان المجكسى.

١٠٥- و الشيخ موسى الغزاوى من الشيوخ الصالحين

، كثيرة مناقبهم، عديده محاسنهم، كان الشيخ عثمان قد اشتغل بطرف من العلم و الحديث، و لازم مجالس الشيوخ العالمين العاملين، انتفع بهم، و تجرد عن الدنيا، و كان على طريقة السلف الصالح [٢٥٧].

و كان ذا عبادة وجد و اجتهاد لم يبق منه إلا العظم و الجلد، يحسبه الذى يراه أنه لكما قام من المرض من صفره لونه و شدة ضعفه، و كان لا يزال مكشوف الرأس ذا شعرة مسدولة إلى شحمة أذنه لا يحلق رأسه إلا فى الحج

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٥٣

اتباعا للسلف. و كانت له احوال و مكاشفات صحيحة ظاهرة [٢٥٨].

و كان ابن أخى محمد بن محمد، قد صحبه و لازمه فكان يحكى عنه احوالا جلييلة و أصله من الأندلس جاء منها ماشيا إلى مكة المشرفة، فأقام بها سنين و كان يسكن فى رباط ربيع [٢٥٩]، و ذكر أنه كان يوما ينزف [٢٦٠] الماء من بئر الرباط فتقلت به الدلو فوقع فى البئر و هى من أطول آبار مكة و طول آبارها لا يخفى على من حج البيت الحرام، فزلوا إليه فوجوده سالما صحيحا [٢٦١].

ثم ارتحل إلى المدينة و سكن الرباط المذكور و كان بينه و بين الشيخ موسى شأن و فتن سببها أن الشيخ عثمان اشتغل بالعلم و صحب شيوخ المغرب أهل التريية و الدراية، فكان ينكر على الشيخ موسى بعض احواله التى تخرج عن ميزان الشرع فيقع بينهما عن ذلك التهاجر و الشر [٢٦٢].

حكى لى الشيخ عثمان أن الأسد عرض له فى طريقه ليلة و كان وحده، قال: فجلست بين يديه فصار ساعة يصيح و يضرب بذنبه و ساعة يعلو على بيديه، ثم يرجع عنى و يكف يديه كأن من غلها [٢٦٣]، و لم يزل هذا دأبه معى إلى أن تبلج الصبح فانصرف عنى و تركنى [٢٦٤].

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٥٤

و كانت له كرامات و عجائب و مغربات يكاد يحكى بعضها إذا طابت نفسه و انشرح لجليسه قلبه، و قد جرى لى معه ما أكد عندى ولايته، و ذلك أن المدينة نهب غالب بيوتها عند خروج آل منصور منها و كان الأمير يومئذ طفيل [٢٦٥] بن منصور - رحمه الله - و كان ذلك فى شهر ذى الحجة فى سنة خمسين و سبعمئة، و كنت قد تأخرت عن الحج فى تلك السنة، و لم يكن التأخير عن الحج من عادتى بل لى الآن و الحمد لله نحو خمس و خمسين حجة و لكن كانت الخيرة فيما قدر الله تعالى، و أسفرت العاقبة عن لطف عظيم شملنى و شمل أقاربى و جيرانى بل و أهل زقاقى.

و كان مما جرى أن نهب جميع ما للحجاج من ودائع فى المدينة، و حصل لأهلها من العرب إزعاج و إرعاب عظيم و تبعهم الصعاليك من أهل المدينة و الخيابة و غيرهم، فلم يتركوا أثاثا و لا متاعا، و كان أمرا عظيما لم يجر مثله فى زمن من الأزمان التى أدر كناها و سمعنا بها، و مع ذلك فلم يصل أحد إلينا و لا إلى جيراننا و لا لأقاربنا على بعد منازلهم عنا و ذلك ببركة النبى صلى الله عليه و سلم و بركة حضورى لأنى اجتمعت بالأمير طفيل و كلمته فى ذلك فقال: قد أجرنا حارتك و جميع أقاربك فطب نفسا فما لأحد إلى ذلك و صول. جزاه الله خيرا.

و كنت أخرج إلى المسجد فى ذلك اليوم للصلاة فأجد المسجد مغلقا؛ فأدور إلى باب النساء فأستفتح فيفتح لى فأجد المسجد خاليا لا أرى فيه إلا - خادما مجردا أو فقيرا أو تريايا، و أمر فى طريقى فأبصرهم ينهبون الناس و يكسرون الأبواب و يحملون من البيوت الأحمال فلا أقدر على الكلام، و جل ما أخذوا أمتعة الحاج و بيوت الخدام، و كانت قضية قبيحة و فعلة شنيعة لم

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٥٥

يظهر لها بركة على من تعاطى منها شيئا عربا أو حضرا، و لم تبق فى أيديهم شهرا حتى محقت، و لم يسلم من الدخول فيها أحد من الأمراء الذين كانوا فى المدينة إلا الأمير الكبير الورع الزاهد زين الدين عطية [٢٦٦] بن منصور أميرنا اليوم، متع الله المسلمين ببقاء دولته و أصلح له الرعية، و أصلح لهم منه الطوية!!

و خرجت مرة من البيت للصلاة فإذا أنا بأمير كبير قد دخل حارتنا و معه ما ينيف على عشرين رجلا من الأعوان، و معه نجار بيده قدوم فما شككت أنه ظن أنى فى الصلاة فأراد أن يخلفنى على بيتى أو بيت من يعز على، و كان قبل ذلك فى نفسه شىء منى فوقفت فى وجهه. و قلت: خيرا، ما هذه الهمة و إلى أين هذه العزمة؟ فقال: لى غرض قلت: له: اجلس هاهنا لأتحدث معك، و الشر يبدو لى من وجهه فجلس. فقلت: ما تريد: فقال: عزمت الزواج و ما وجدت مفرشة أدفعها فى الجهاز، و نحن عازمين على الخروج من المدينة.

فقلت له: عندي ما تريد وهذه ساعة مباركة إذ بدا لك عندي حاجة، ولم يكن ذلك من خلقي ولكن شرح الله صدرى لذلك، فدخلت البيت وأخرجت له فراش بيتي وكانت مفرشة حسنة جدًا فأخذها.

وقال: إن قلت لك التي أطلب أحسن من هذه فما صدقت ثم انصرفت إلى المسجد فرأيت الشيخ عثمان جالساً في الروضة ليس في الحرم غيره فلما أقبلت عليه بدرني بالكلام. وقال لي: الله ألهمك، الله ألهمك!!

قال الله تعالى لموسى عليه السلام: (يا موسى خف من لا يخافني)،

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٥٦

فعلت أنه كاشفني و صوب رأبي - رحمه الله عليه - توفي سنه أربع و خمسين و سبعمائة.

و أما الشيخ موسى فكانت له إقامة طويلة بغزة قرية من قرى الشام فنسب إليها وإنما هو مغربي، و كان له بغزة سمعة و صولة و فتك بالخاطر.

قال لي: كنت إذا نهيت ظالماً عن ظلمه فلم يمثل أمرى قتلته بخاطري، و اشتهر ذلك عنه.

وقال لي: فلما قدمت المدينة المشرفة أردت تلك السيرة فمنعت منها، و كنت رأيت في منامي قبل دخولي المدينة أن رجلاً غلب عليّ و أخذ مني سكينى فدفنها في كومة تراب في ناحية مسجد مصلى العيد؛ فعلت أنى قد سلبت حالى في التصرف في أهل المدينة، و ذلك لبركة النبى صلى الله عليه و سلم إذ لا يقدر أحد بحضرته يتصرف بغير أمره.

وقال لي: عزمت عليك مراراً إذ أغظتني في قضية كذا و كذا. و عدد عليّ قضايا أنكرتها. قال فمنعت منك حتى رأيتك في النوم متعلقاً بأعلى شباك الحجره و أنا واقف تحتك و معى سكين أشير بها إليك و أنت تهزأ بي؛ فعلت أنى لم أسلط عليك، فكففت و تركت الخاطر عني، و كان يصحب الناس بالمرائى التي له، و يرى أنها كالوحي لا تكاد تخطئ، فتراه يهجرك ثم يصلحك من غير موجب لذلك بينكما.

أخبرنى أخى على - رحمه الله - أنه قال لي يوماً: أنت تدعى أنك تكشف البواطن فزوجتى هذا شهرها فأخبرنى بحملها.

فقال له: كأنك تمتحنى و ما أنت بمصدق بحالى! سأتيك إن شاء الله

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٥٧

بالخبر؛ قال: فغاب عني أياماً ثم جاءني إلى البيت فقال لي: زوجتك تلد ولدا يشبه هذه و أشار إلى إحدى بنتي، فكان كذلك فناديته عند الولادة و جتته بالمولود فحنكه، و دعا له و سماه حسنا، و حسن ظنى فيه و تأدبت معه بعد ذلك، توفي - رحمه الله - فى سنة خمس و خمسين و سبعمائة.

و كان برباط الفاضل [٢٦٧]: الشيخ الصالح الولي الربانى:

[٢٦٨] عبد الرحمن الجبرتي.

كان من أرباب القلوب و الكرامات و كان طول إقامته بالمدينة إذا صلى الصبح خرج إلى البرية فما يأتى منها إلى غروب الشمس و لا يعلم أحد مكانه، ينتقل كل يوم فى موضع، و قل أن يرى فى المدينة نهاراً؛ هروبا من الاختلاط بالناس، و يخبر أحيانا بالمغيبات [٢٦٩]. و كان يقول لبعض من يأنس به و يحبه: يا فلان ألا تعطينى كذا. فيفرح الرجل بقوله فإذا أعطاه شيئاً امتنع، و قال: إلى وقت آخر إن شاء الله، و يؤانس أصحابه بأنواع مثل ذلك، و كان يقول - رحمه الله - إنه من ذرية النجاشى صاحب المواصله مع النبى صلى الله عليه و سلم و إنه من بيت الملك ببلاده فخرج عن ذلك و صحب الصالحين [٢٧٠].

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٥٨

و كانت له مع الشيخ العالم العامل قطب زمانه:

[٢٧١] أبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي.

نفع الله به سياحات في ظهر المدينة، و كان الشيخ عبد الرحمن يحكى لبعض أصحابه أنه اتفق له مع الشيخ عبد الله كرامات في أيام السياحة، و كان الشيخ عبد الله قبل توطنه مكة و زواجه بها أقام بالمدينة على قدم التجرد و الوحدة و السياحات، ثم تزوج بالمدينة في سنة تسع و ثلاثين و سبعمائة الحرة الصالحة العابدة ستيت أم محمد بن علي اليماني، ثم فارقتها و ارتحل إلى مكة و لم يزل يتردد إلى المدينة و يجاور بها [٢٧٢].

و مناقب الشيخ عبد الله، و كراماته، و أحواله، و علومه، و مصنفاته، و مجاهداته لا يحصرها حد و لا تنتهي بالعد كما قيل:
يفنى الكلام و لا يحيط بوصفه حسب المبالغ أن يكون مقصرا [٢٧٣]

نفع الله به، و كثير من الصالحين يشير إلى أنه قطب مكة و هو خليق بذلك.

و اتفق في سنة ست و ستين و سبعمائة أن جاء مع القافلة من مكة المشرفة لزيارة النبي صلى الله عليه و سلم فجاى بزوجه بنت القاضي نجم الدين و أم أولاده بنت شهاب الدين الإمام، فتوفيت زوجته بنت القاضي نجم الدين في أواخر شعبان ثم توفيت بنت الإمام أول ليلة من شهر رمضان و دفنتا في قبلة قبى سيدنا إبراهيم

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٥٩

ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم، فلما كان بعد العيد خطب منى ابنتى ملوك التي كانت زوجة الشيخ عيسى الهسكورى فزوجتها منه رجاء بركته نفع الله به [٢٧٤].

و كان هذا الشيخ:

[١٠٨- عيسى الهسكورى من الأولياء الكبار]

له مناقب جليله، و أحوال جميلة، و طريقة عليه و كان أحد شيوخ الهاكرة هو و أبوه و عمه و بنو عمه لهم الدنيا العريضة و الأتباع الذين لا يحصون كثرة، و الخيول المسومة و الكلمة العالية، فخرج عن ذلك كله في نضارة شبابه و علو قدره بين أقرانه و عشيرته و تجرد و صحب الشيوخ على طريقة عظيمة، و لزم الشيخ عمر المغربى صاحب الشيخ عبد المؤمن شيخ المغرب فى وقته، و قدم الشيخ عيسى مع الشيخ عمر إلى مصر و كانا من أكبر أصحابه و كان هو إمام الفقراء فى الصلوات، و أقام مع الفقراء فى زاوية الشيخ عمر السبتى بمصر فى الحجارين، و صحبه إلى القدس فمات الشيخ عمر بالقدس بعد أن عمر فيه زاوية للفقراء.

ثم ارتحل الشيخ عيسى إلى المدينة و تردد بين الحرمين الشريفين زمانا طويلا ثم أوطن المدينة الشريفة و تزوج البنت المذكورة و صحبها صحبة جميلة و تأدبت بآدابه، و اكتسبت من أخلاقه، ثم سافر الشيخ إلى مصر بعد أن أولدها ثلاث بنات، فقتل - رحمه الله - بعد خروجه من القدس و هو متوجه إلى دمشق قتله قطاع الطريق، فمات شهيدا - رحمه الله - و ذلك فى سنة ثلاث و ستين و سبعمائة.

و كان من الشيوخ المفيدىن المقربين إلى الله و رسوله المنقطعىن بالمجاورة بين الحرمين الشريفين الشيخ الصالح الورع المربى:

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٦٠

[٢٧٥] عبد الحميد بن على الموغانى.

كان من أهل الخير و الصلاح و إيصال النفع للناس فى التربية العليا. قد تخلى عن الدنيا و أقبل على الآخرة، و لزم تلقين القرآن طول النهار فى المسجد، لا تراه إلا فى حلقة بين كبار و صغار و كهول مشايخ [٢٧٦]. و انتفع عليه من أولاد المدينة خلق كثير، و لكن مع

تجويد [٢٧٧] و تحرير و تربية لهم و ضبط و شد حتى إنه ليضرب ذا الشيبه بيده و يأخذ بلحيته و أذنه، أقام بمكة هو و أخوه في الله الشيخ الصالح المهذب الشيخ يحيى التونسي، و كانا قد اصطحبا قديما و تأخيا في الله و صحبا الشيوخ و جالا البلاد على قدم التجرد و زيارة الصالحين و لقاء المشايخ [٢٧٨].

و اتفق لهما في أيام سياحتهما و مدة تنقلهما في البلاد عجائب و غرائب، و لقا من الشيوخ السادة الأعلام جماعة كثيرة منهم الشيخ أبو العباس المرسي فمن بعده من المشايخ الشاذلية و غيرهم، و في أيام إقامتهما بمصر ورد عليهما من العجم الشيخ العلامة نادرة زمانه الشيخ نجم الدين الأصبهاني شيخ مكة المشرفة في وقته فصحبا و خدماه و اجتمعا به أيضا عند الشيخ أبي العباس المرسي بثمر الإسكندرية و صحبا معهما إلى مكة المشرفة، و كان مسيرهم على طريق الصعيد [٢٧٩].

و حكى لنا صاحبنا الشيخ يحيى بن موسى القسنطيني عن الشيخ يحيى التونسي قال: لما خرجنا مع الشيخ نجم الدين في صحبة القافلة في طريق

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٦١

عذاب نفذ زادنا، و قسى الله تعالى قلوب أهل القافلة علينا فكنا نحن و الشيخ ليس لنا قوت إلى نبات الأرض، فلما أشرفنا على القرب من قبر الشيخ أبي الحسن الشاذلي - رحمه الله عليه - قال لنا الشيخ نجم الدين: إذا كان غدا إن شاء الله ستردون قبر الشيخ أبي الحسن و ضيافتكم عنده زيب و لوز، قال الشيخ: فكان كذلك [٢٨٠].

قال: ثم سافرنا فلما وصلنا إلى بلد عذاب، تلقانا الناس و أضافونا ضيافات كثيرة، فكان الشيخ يبعث الطعام إلى أهل القافلة التي صحبناها فندموا على تفریطهم في خدمة الشيخ.

ثم قال لنا الشيخ: يا يحيى و عبد الحميد، لن تجوعا بعد هذه الجوعه التي حصلت لكما إلى أن تلقيا الله تعالى، فكان كذلك.

و حكى الشيخ يحيى المتقدم ذكره عن الشيخ يحيى التونسي قال: حكى لنا الشيخ نجم الدين أنه كان في ابتداء أمره مشتغلا بالعلم، و كان له بساتين و أملاك و دائرة كبيرة، فانتقل عن أهله و ترك جميع أملاكه و صحب بعض الشيوخ المشار إليهم في زمانه ببلاد العجم فأقام عنده مدة.

ثم قال له: يا سيدى أريد أن تدلنى على طريق السلوك.

فقال له: نعم، امض إلى منزلك و اكشف لى عن مسألة كذا و كذا، و أخبرنى بما قيل فيها، فذهب ثم رجع و أخبره بما سأل عنه. فقال له: يا ولدى أقبل على الاشتغال بالعلم، فأقبل عليه، و هو في أثناء ذلك يسأله أن يسلكه في علم الطريقة، فلما ألح عليه في بعض الأيام قال له: امض فانظر ما قال العلماء

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٦٢

في مسألة كذا و كذا. فذهب ففتح الكتاب الذى فيه المسألة فوجد جميع أوراقه بياضا ليس فيها كتب، ثم فتح آخر فوجده كذلك، حتى نظر في كتبه كلها فوجدها صحائف بياضا؛ فرجع إلى الشيخ و هو مهتال لما رأى! فأخبره خبره.

فقال: الآن صفا قلبك، و صح توجحك و صدقت في طلبك، ادخل الخلوة، فدخل الخلوة فأقام أربعين يوما، ثم خرج و هو جوهره مضيئه، فسأل الشيخ أن يلبسه الخرقة لينتمى إليه، فقال له الشيخ: لست لى تلميذا، شيخك أمامك، قال له: يا سيدى فأين أطلبه؟ قال: هو في ناحية المغرب فقال له: يا سيدى لست أعرفه، فقال: هو يعرفك فاعزم على السفر.

قال الشيخ نجم الدين: فودعت الشيخ و قصدت البلاد أطوفها و كل شيخ أسمع به أقصده و أزوره، و كل زاوية أسمع بها أقصدها، فلم أظفر بقصدي، فبينما أنا متوجه إلى مصر في موضع يقال له: الرمل، و قد أضرب بي العطش و آيست من نفسى، فملت من الطريق إلى شجرة و حضرت لنفسي حفرة لأرقد فيها فإذا أنا بشيخ قد ظهر لى من عرض البرية و بيده ركوة فيها ماء فوقف على و قال: يا عبد الله أنت عطشان؟! فقلت: نعم يا سيدى!! فقال:

اشرب، فشربت حتى رويت و حمدت الله تعالى.

فقال لى: الحق بى إلى مصر، و غاب عنى، فسرت إلى مصر، فلما دخلت القاهرة قصدنى أهل خانقاه سعيد السعداء فسألونى النزول عندهم فوافقهم على ذلك، ثم إنى لم أقم عندهم إلا قليلا حتى قيل: ورد شيخ من الإسكندرية يقال له: الشيخ أبو العباس المرسى تلميذ الشيخ أبى الحسن الشاذلى، و هو شيخ تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله.

و خرج أهل الخانقاه لتلقيه، فلم يتفق لى الخروج معهم، فلما وصل

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٦٣

الخانقاه قصدته لأسلم عليه، فلما وقع بصرى عليه، تحققت أنه الشيخ الذى سقانى فى البرية، فاستحييت من عدم خروجى مع الجماعة للقاءه، فلما سلمت عليه أنصفنى فى السلام ثم خلا بى.

و قال لى: أنت قادم و لك علينا حق و إنما جئت لزيارتك، فإذا سافرت فالحق بى إلى الإسكندرية.

قال: فأقام الشيخ أبو العباس فى الخانقاه ثلاثة أيام ثم سافر، فأقمت بعده يوما أو يومين، ثم لحقت به، فألبسنى الخرقة و تتلمذت له، ثم استأذنته فى الإقامة عنده، فقال لى: دار إقامتك مكة المشرفة.

قال الشيخ يحيى التونسى، و ذلك كله وقع بحضورنا، فإننا كنا مع من تلقى الشيخ نجم الدين ثم تلقيت الشيخ أبا العباس، ثم اجتمعنا مع الشيخ نجم الدين عند أبى العباس بالإسكندرية، و صحبناه من هناك إلى مكة المشرفة، فأقام بها، و أقمت أنا و عبد الحميد عنده مدة طويلة، و تزوجت الزوجة التى حثت فيها بمكة، و هى أم أولاد عبد الحميد، قال: ثم ارتحلنا إلى المدينة فأقمنا بها.

قلت: و كانت وفاة الشيخ نجم الدين بمكة سنة إحدى و عشرين و سبعمائة، و لما حث الشيخ يحيى فى زوجته التى تزوجها بمكة قدم و أراد من يحللها له، فلم يجد من يفعل ذلك ممن يثق به إلا صاحبه الشيخ عبد الحميد، فسعى فى زواجه بها، فلما حصلت عند عبد الحميد تشوف الشيخ يحيى إلى أن يطلقها لتحل له، فلم يفعل و اغتبط بها.

و قال له: لا أكون محللا لك، و لم آخذها بهذه النية، بل لصحبة الأدب

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٦٤

فاقطع رجاك منها، و لا تكن ممن يفسد ما هو لله بما هو للدنيا.

فكف عنها الشيخ يحيى، و أقامت مع الشيخ عبد الحميد فولدت له إبراهيم و إسماعيل و بنتا، فقرأ أولاده القرآن فى حياته و رأس إبراهيم، و اشتغل بالعلم و خالط الرؤساء و ولى نظر الأوقاف، و أصاب إسماعيل فالج أضرب به فى قوته و كلامه فلا يكاد يفهم إلا بكلفه.

و سافر الشيخ عبد الحميد بأولاده يريد التعريف بهم و الإعانة عليهم، و كان يقول قبل سفره: ما أظن أجلى إلا قد قرب، فإنى مسافر من غير ضرورة، و ما أظن ذلك إلا للنقلة إلى التربة، فكان كذلك.

توفى رحمه الله بقطية فى طريق مصر، و ذلك فى سنة سبع و عشرين و سبعمائة، و عاش بعده الشيخ يحيى التونسى مدة طويلة، و كان حسن المحاضرة يقطع مجلسه بإنشاد الشعر الرقيق، و الحكايات الغريبة، و الأمثال المستظرفة غير أنه لم تكن له عربية، بل كان فصيحاً بالسجية و السليقة.

و قد سأل معاوية فقال: كيف ابن زياد؟ قالوا: ظريف على أنه يلحن.

فقال: أو ليس ذلك أظرف له؟ قالوا: أو إنما استظرفه لأن السليقة و تجنب الإعراب مما يستملح فى البذلة من الكلام، و من ذلك قول الشاعر:

منطق صائب و يلحن حيناً و أحلى الحديث ما كان لحنا

و السليقة يراد بها طبع الإنسان، يقال: فلان يتكلم بالسليقة، أى: بطبعه لا عن تعلم.

و كان من أكرم الناس، فقير الذات، ينفق ما بيده، فإذا فنى اقترض الألف والألفين، ثم يقضى قضاء جميلا، و كان له معتقدون، و رزق حظوة عند القضاء

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٦٥

و أكابر الناس لظرفه و حسن أخلاقه و محاضرتة، تولى نائبا فى الإمامة و الخطابة عن القاضى شرف الدين بن الأميوطى، و كانت خطبته كلاما ملفقا غير مرتب و لا مفقّر فيحمل فى ذلك على السداجة، و قلّة الاحتفال بالتصنع فى الأمور، و عاش حتى صار لا يقدر على حبس الإراقة و لو كان فى المسجد.

و قال له بعض الخدام: أتعبتنا بغسل موضعك من المسجد. فقال له: و على أى شىء تأخذون الجامكية إلا على مثل هذا. و قال لبعض الشيعة و قد رآه يتوضأ و يمسح على رجليه، لم لا تغسلهما؟ فقال: لأنهما طاهرتان. فقال له: فإذا ما غسلت وجهك إلا لكونه نجسا.

و امتحن بالخدام فأذوه و ضربوه ضربا شديدا، و اتهموه بأنه تكلم فيهم عند الأمير منصور، ثم إنه صبر و لم يظهر من الجزع ما يوجب التعصب له، بل صبر و احتمل حتى بلغه الأجل.

و كان- رحمه الله- كلما سمع بحكاية من الصالحين أو غيرهم مما دون فى الكتب يقول: هذه بعينها أو قريبا منها اتفق لى، و إن سمع بمغربة قال: أنا رأيت هذه، بكثرة تغربه فى البلاد و سياحته، و من اجتمع بهم من سائر الطوائف. و كان الشيخ:

[٢٨١] يحيى القسطنطينى

من أخص الناس به و أكثرهم ملازمة له على طريق الخدمة أولا، ثم على طريق الصحبة آخرا، و تخلق الشيخ يحيى

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٦٦

القسطنطينى بأخلاقه و اكتسب من آدابه، و كان ملازما له فى شبوبيته حضرا و سفرا، فتعرف بأصحاب الشيخ و معارفه و صاروا له إخوانا من بعده، و كانت وفاة الشيخ يحيى التونسى- رحمه الله- سنة ثلاث و أربعين و سبعمائة، و مولده سنة إحدى و أربعين و ستمائة. و أما الشيخ يحيى القسطنطينى فإنه اليوم من رجال زمانه و رؤساء إخوانه، و قرأ القرآن فى شبوبيته فحفظه و جوده، ثم حفظ (الرسالة) فى مذهب مالِك، و اشتغل بالعلم و سمع الحديث، و أقرأ القرآن و انتفع عليه جماعته، و رزق حسن السميت و وفرة العقل و صدق اللهجة، و الصدق بالحق مع الدين المتين، و حسن اليقين، و رزق أولادا نجباء، توفى أكبرهم الفقيه شهاب الدين:

[٢٨٢] أحمد سنة تسع و خمسين و سبعمائة

، و كان اشتغل اشتغالا كثيرا و له محفوظات عديدة، و حصّل علماء. و كان فيه أهلية الترقى إلى الفتيا، و خلف ولدين حفظا القرآن و كفلهما جدهما و فقهما الله تعالى.

و كان من شيوخ المتصدرين للإقراء و الإفادة الشيخ:

[١١٢- محمد الخزار]

، كان من المجاورين القدماء الأخيار المتبتلين لإقراء القرآن المفيد بحسن الصبر و طول البال على الطلبة من غير معلوم له على ذلك بل لله تعالى، انتفع به جماهير أولاد المجاورين و جواهرهم، مثل: الشيخ محمد الحلبي، و شمس الدين الششتري و نظرائهم، و

ممن انتفع عليه الشيخ يحيى القسنطينى.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٦٧

و أخبرنى أنه أقرأ القرآن فى بلاده بغداد فوق خمسمائة نفس كلهم حفظ القرآن عليه و جوده بين يديه، و كانت صنعته حز الخشب بالمخراط الشريف يعمل السبح و يبيعها و يتقوت بثمانها، أقام على ذلك مدة، و تزوج بنت على الفراه، فرأت معه سعادة لحسن خلقه و طيب عشرته، ثم توفى عن بنت صالحة لحقتها بركة أبيها، و توفى فى طريق الشام متوجها إلى المدينة فى الموضع المعروف بالأخضر، و مات و هو ساجد فى الصلاة و ذلك سنة ثمان و ثلاثين و سبعمائة.

و كان من الشيوخ المتصدرين للإقراء الشيخ الصالح المقرئ المجود:

[٢٨٣] برهان الدين إبراهيم بن مسعود بن سعد القاهرى المعروف بابن الجابى المسورى الإربلى الأصل.

كان من الشيوخ القدماء المقرئين السبع، أقام بالمدينة بعد إقامة طويلة بمكة، و انتفع الناس به و جودوا عليه، و كان شيخا مهيبا، حسن الصمت مليح الشببة متقدما على أبناء جنسه، استنابه القاضى شرف الدين فى الإمامة و الخطابة مدة غيبته فى القاهرة سنة اثنتين و أربعين و كان قد استنابه جمال الدين المطرى فى الخطابة و الإمامة أيضا فى سنة ثمان و ثلاثين و كان القاضى شرف الدين غائبا فى القاهرة، و كان مجيدا فى أدائهما و القيام بهما، و كان قد كف بصره فى آخر عمره فصبر و احتسب. توفى - رحمه الله - سنة خمس و أربعين و سبعمائة، و مولده بالقاهرة فى سنة اثنتين و ستين و سبعمائة [٢٨٤].

و كان مثله فى التصدر و الإفادة و الجودة و التحصيل:

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٦٨

[٢٨٥] الشيخ محمد العقبى المقرئ

؛ كان إماما فى القراءات و موادها ملازما للمشتغلين، انتفع الناس عليه بدمشق و رأس فيها و انفراد، ثم بمكة ثم بالمدينة، و كان من الأولياء و أهل الفراسة و كان فيه حدة عظيمة على الطلبة و هيبه عليهم، توفى - رحمه الله - فى سنة أربع و ستين و سبعمائة. و كان فى الحرم الشريف جماعة من المؤذنين الأخيار، منهم الشيخ الإمام العلامة أفضى القضاء:

[٢٨٦] جمال الدين محمد المطرى الأنصارى الخزرى العبادى

كان إماما من أئمة الحديث و التاريخ و الفقه، و المشاركة فى العلوم، و لى نيابة الحكم و الخطابة و الإمامة عن القاضى شرف الدين الأميوطى، و كان متخلقا بأخلاق كل من ذكرته من الصالحين، ليس منهم شيخ و لا كبير قدر إلا و هو معه فى حوائجه يساعده فى قليله و كثيره، لم نجد بعد والدنا مثله فى الإحسان إلينا و الشفقة علينا فى تربيتنا، و تعليمنا و السعى فى مصالحنا، إن قلت قام مقام والدنا فما تعديت خط الاستواء [٢٨٧].

كان لكل قادم إلى المدينة كالأهل لهم فى إسكانهم و كسوتهم، و التعريف بهم و تربيتهم عند الشيخ و الخدام، و كان حسن المحاضرة، إذا جلست إليه لم تحب أن تفارقه، لم يأت بعده مثله و لا علمت فيمن كان فى عصرنا من له فضله، كان جامعا للمحاسن و الفضائل، صدرا من صدور الأفاضل، و قد

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٦٩

تخلل ذكره مع من ذكرنا من الشيوخ العاملين و الأولياء الصالحين لم يسمع أحسن من صوته فى المؤذنة، كان يفضل على صاحبه محمد بن إبراهيم، إلا أنه كان لا يبذل علمه كما كان محمد بن إبراهيم، كان فى عزة نفسه و المحافظة على مروءته فى أعلى

المقامات و أسنى التزهات [٢٨٨].

وقد عرضت لى حكاية عنه فيها تسليك لمن ذاته عليّة، و تعزيه لمن نفسه خسيسه رديه، و ذلك أنه كان فى بداية شأنه و عنفوان شبابه محببا إلى أقرانه و إخوانه، لا يخرجون إلى زيارة و لا يجتمعون فى متزّه إلا أخذوه معهم، و كان قد شركه فى المئذنة و الرئاسة بها الشيخ عز الدين المؤذن، لأن المدينة لم يكن فيها من يوثق به فى معرفة الأوقات و تحريرها، بعثوا لها من مصر ثلاثة رؤساء، أحدهم والد الشيخ جمال الدين أحمد بن خلف، و الثانى الشيخ إبراهيم والد محمد بن إبراهيم، و الثالث عز الدين المؤذن المتقدم ذكره، فتوفى والد جمال الدين و والد محمد بن إبراهيم - رحمهما الله تعالى - و كان النهاية فى معرفة الوقت و حسن الصوت، و بقى عز الدين فطالت مدته حتى أسن و عجز [٢٨٩].

و كان حسن الهيئة ذا لحيه طويله و رئاسة مليحه، و اتفق أنه خرج جمال الدين المطرى يوما مع أصحابه فباتوا فى مسجد قباء و قال لعز الدين: قم عنى فى نوبتى، فأخلفه عز الدين فلم يقم، و بقيت المئذنة شاغرة من الرئيس، فلما جاء جمال الدين تكلم عليه الشيخ عزيز الدولة و أغلظ عليه فقال له: ما غبت حتى استنبت و لكنى غرنى عز الدين المؤذن، فلم يقبل عذره و كثر عليه الكلام، فقال له جمال الدين المطرى: لك عندى غير هذه المئذنة، الطلاق

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٧٠

الثلاث يلزمه إن أذنت فى هذه المئذنة حتى يموت عز الدين المؤذن و يموت الشيخ عزيز الدولة فتركه الشيخ و ترك الكلام معه، و صار إذا كان الوقت يؤذن على باب جبريل فى الأوقات كلها و أصحابه يقتسمون عليه الجامكية، و كانت الجامكية يومئذ قليلة، فلما طال عمر عز الدين قيل له: اعمل ما عمله غيرك من ترك الزوجه بطلقة مخالعة، ثم ارجع إلى مئذنتك، ثم راجع فقال: لا أفعل هذا، و لا يسمع عنى ذلك، و لو كان لى فى المئذنة ما عسى أن يكون ثم إنه مات عزيز الدولة. فقيل له: إنما كان غضبك من كلام الشيخ و قد مات فافعل ما يفعله الناس، فامتنع و صبر [٢٩٠].

فلما بنيت المئذنة الجديدة، قيل له: هذه المئذنة لم تكن حين يمينك موجودة فاستقل بها، فلم يفعل، و استمر كذلك حتى أراد الله تعالى، فجاء عز الدين المؤذن ليلة و قد مضى من الليل نصفه، فمدق باب الحرم و دخل و قد لحقه اختلال، فطلع المئذنة الجديدة و تكلم على عادته فأنكر الناس قيامه، ثم سكت و لم ينزل، فطلعوا إليه فوجدوه ميتا - رحمه الله - و ذلك فى سنة عشر و سبعمائة [٢٩١]. و فيها توفى عزيز الدولة أيضا فانحلت اليمين، و طلع المئذنة فى أيام الحريرى و كان من أكبر أحبابه، فانظر إلى هذه النفس الأبية و الهمة العلية، توفى - رحمه الله - سنة إحدى و أربعين و سبعمائة، و كان مولده فى سنة إحدى و سبعين و ستمائة [٢٩٢].

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٧١

ثم خلفه فى أخلاقه و سيادته ولده الشيخ الإمام العلامة:

[٢٩٣] عفيف الدين عبد الله

و زاد عليه بالمشيخة فى الحديث و لقاء الشيوخ، فإنه رحل إلى العراق و سمع بها الحديث، ثم رحل إلى مصر و دمشق و حلب و كثير من الأقاليم، و لقى من شيوخ هذا الفن ما لا يحصى كثرة، و اشتهر ذكره شرقا و غربا بسبب هذا العلم و بما كان فيه من مكارم الأخلاق و الإحسان إلى الغرباء الواردين عليه (من العلماء) [٢٩٤].

و كان منجمعا منقبضا عن الناس ما عدا الغرباء الواردين عليه، فإنه كان لهم كالأب الشفيق، و انتهت إليه مشيخة الصوفية بمكة و المدينة، فإنه كان فى زيهم و لباسهم و أخلاقهم فى أعلى المراتب [٢٩٥].

و كان إماما فى علمى [٢٩٦] الرجال و الحديث مع مروءة و سكينه و حشمه، مع ما رزق من الشكالة الحسنه و الخصال المستحسنة [٢٩٧].

و لم يتزوج قط، بل كان عنده جوار يقومون بخدمته و خدمته أصحابه [٢٩٨].

و لما توفي والده جمال الدين - رحمه الله - قام بخدمته أخيه:

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٧٢

[٢٩٩] تقي الدين أبي الحرم عبد الرحمن.

و كفل أيضا ابن أخيه:

[٣٠٠] عبد العزيز بن يحيى بن العفيف

فربماهما جميعا و اشتغلا بالعلم على الشيوخ، و كان كل شيخ ذى علم يرد المدينة يحسن إليه و يلزمهما العكوف عليه [٣٠١].
و كان عبد العزيز حنبلي المذهب فبرع فى عدة علوم و أتقنها و كان يحفظ أصولا متعددة و فنونا كثيرة على أقرانه و أبناء جنسه، ثم اشتغل بمذهب الشافعى و أقبل على حفظ (المنهاج) للنووى من غير إعراض عن مذهبه، بل ليجمع بين المذهبين [٣٠٢].
ثم ارتحل إلى دمشق رغبة فى لقاء الشيوخ و الأخذ عنهم فتوفى بها، و ذلك فى سنة اثنتين و خمسين و سبعمائة، و كان مولده فى رجب فى سنة اثنتين و ثلاثين و سبعمائة [٣٠٣].

و أما أخوه فإنه لم يفارقه حتى مات، و حصل علما و أفاد و درّس و تعلق بأهداب طريقة والده و رئاسته، و رزق أولادا نجباء أكبرهم الولد النجيب أبو حامد رباه عمه و انفرد بتربيته و تعليمه، فلو عاش لحصل ببركته خيرا كثيرا،

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٧٣

و كان مولده فى الحرم بمكة المشرفة سادس و عشرين ذى القعدة سنة تسع و عشرين و سبعمائة [٣٠٤].

و كانت محنة الشيخ عفيف الدين التى أصيب بها فى دنياه من جهة الأمير ثابت بن جماز فى سنة اثنتين و أربعين و سبعمائة.
و ذلك أن الطواشى مختارا البغدادى كان وصيا على أولاد العفيف بن مزروع، و كان صديقا للشيخ عفيف الدين ملازما له معتقدا فيه، فلما توفى الطواشى كان الوالى فى المدينة يومئذ ثابت بن جماز نيابة عن أخيه ودى فطلب العفيف و اتهمه أن للطواشى عنده مالا، فحلف له أن ليس عنده شىء، فلم يصدق و أنزله إلى الجبّ مع شمس الدين بن عبد العزيز؛ لكونه كان من أخصاء العفيف و أحبائه [٣٠٥].

و طلبوا حاشية العفيف، فمسكوا ريحان عتيق جمال الدين المطرى فذكروا أنهم قرروه فلم يقر، فضربه الأمير ثابت بيده ضربا و جيعا بالدبوس، فأظهر لهم شيئا مما هو للعفيف كان قد أخفاه، فأخذوا جميع ما فيه من الكتب و المتاع و الأثاث حتى الحصر التى على الأرض، فأما ابن عبد العزيز فأخرج من ليلته.

و أما الشيخ عفيف الدين فبقى فيه نحو يومين و ليلتين، ثم خرج على أن يدفع لهم سبعة أحمال رز، فحسب ثمنها ألف درهم و خمسمائة و خمسة و سبعون درهما، و ضمنه ابن عبد العزيز و عبد الله بن محمد بن إبراهيم المؤذن، فدفع لهم

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٧٤

ذلك بعد أن اقترضه، و لم نعلم أنه قبل من أحد من أصحابه شيئا لا- فيما غرم و لا- فيما جدّد فى بيته من أثاث و غيره و صبر و احتسب. و كانت عنده ودائع للناس غرمها لأصحابه و أخلف الله عليه و جمل حاله و أعقبت هذه القصة صاحبها خيرا، و كان الأمير المذكور قد أمر بإخراج جميع المجاورين غنيهم و فقيرهم فى يوم وفاة الخادم المذكور، و أنظرهم ثلاثة أيام ليتجهزوا فيها و صمم على ذلك، ثم تركهم فى يوم خروج العفيف بعد شفاعات، ثم شوش عليهم و طلب عشرة آلاف درهم من أحد عشر نفرا و ألزمهم بالخروج من المدينة إن لم يدفعوها، فخرجوا الجماعة إلى قباء و جرى فى ذلك كلام كثير، ثم طلع القاضى شرف الدين إلى الأمير و

تكلم معه كلاما غليظا.

وقال: أنا أول من يسافر معهم، فرجع الأمير عن رأيه وبعث إليهم فدخلوا المدينة آمينين.

وأخبر محمد بن يعقوب وزير الأمير أن الحاصل الذي جمعه من بيت العفيف مع حاصل آخر كان له وحاصل آخر كان لزوجته ولده سعد، خرج به الأمير المذكور في الليل من باب السر الذي في القلعة ودفنه خارج المدينة تحت حوش ودي، وكان معه عبد واحد لم يطلع على ذلك أحد غيره، ثم افتقده بعد أيام فلم يجده، فقرر العبد فلم يقر بشيء، فقتله معاقبا مخنوقا وجملة ما ضاع له تسعة آلاف درهم ومائة درهم، وذلك بعد قضية العفيف بخمسين يوما.

ثم خرج الأمير من المدينة إلى العرب، فلم يحل عليه الحول حتى قتل في شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين، وذكر من حضر الواقعة أن أصحابه انهزموا

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٧٥

وتركوه في المعركة غير مدفون، وذكر لى السيد سلطان بن محارذ [٣٠٦]، أن امرأة كان قتل ثابت ولدها فنذرت أنها متى ظفرت بجيفته، لتأخذن عظما من عظامه فتجعله خلالا لمنسجها تضرب به عند النسج مفتول الصوف، فلما توفى لم تزل تطلب جيفته حتى وقعت بها، فأخذت من عظامه عظاما، فأوفت بنذرهما وجعلته بيدها تتشقى به، حتى دخل عليها وسئلت تركه فتركته بعد حين. ثم إن الشيخ عفيف الدين اشترى كتبه من الوزير المذكور وعوضه خيرا مما ذهب له، ومات - رحمه الله - عن غير عقب في سنة خمس وستين وسبعمئة، وكان مولده سنة ثمان وتسعين وستمائة. وكان منهم الفقيه:

[٣٠٧] محمد بن إبراهيم المؤذن.

وقد تقدم ذكره في مواضع متعددة، كان - رحمه الله - من أدين الناس وألينهم عريكة وأحسنهم مخالطة، لو دعاه أصغر الناس إلى بيته أو نخله ذهب معه، وكان إذا جلس مجلسا عمّره بالذكر والمدح، وكان إذا طلع المئذنة وتكلم فيها يوجد على كلامه روح [٣٠٨].

وكان - رحمه الله - لا يزال متبسما وهو مبهدل في لباسه وحركاته، يحب الفقراء ويخدمهم ويقضى حوائجهم، وكان أمين الحكم في أيام القاضي سراج الدين توفى - رحمه الله - سنة تسع وعشرين وسبعمئة.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٧٦

و أعقب ولده:

[٣٠٩] أبا محمد عبد الله

كان من أحبنا وأصحابنا بل من أولادنا، وجدنا منه براء عظيما وأدبا كثيرا، وكان له وجاهة عند أمراء المدينة آل جماز فنفع كثيرا من الناس بشفاعته، وكان محببا إلى الناس لما احتوى عليه من حسن السيرة و صفاء السيرة، وكان بينه وبين أخوي خصوصا أخي محمدا ملاءمة عظيمة، ومحبة أكيدة لا يكاد ينشرح إلا معهما، ولا يطيب له أنس إلا بهما، وكان - رحمه الله - يحب التنزه والمشى إلى متفرجات المدينة ومنتزهاتها، إذا خرج يخرج معه الأطعممة الفاخرة والأشياء المعدومة التي لا تكاد توجد عند غيره، فيتحف بها الجماعة، وكان فيه كرم وطيب نفس [٣١٠].

و ولى الرئاسة بعد والده و عقب أولادا فقهاء نجباء، أفضلهم:

[٣١١] شهاب الدين أحمد.

تفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة وجد في الطلب واجتهد، وشارك في فنون متعددة و هو اليوم من أعيان جماعتهم [٣١٢]. ولكن توفي عبد الله والدهم في سنة إحدى وخمسين و سبعمائة، و مولده سنة أربع و سبعمائة. و كان منهم:

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٧٧

[٣١٣] محمد بن عبد الرحمن المؤذن

هو و أبوه وجده، كان فقيها متفنا اشتغل بالعلم حتى ألف و صنف، و كان في النحو و اللغة إماما، و في علم الأدب و الشعر هماما، و كاتبني بقصيدة له أبانت عن فصاحته و بلاغته و قوة عربيته مطلعها:

حنانيك عبد الله زين المواكب فما أنت إلا البدر بين الكواكب

و أبيات كثيرة كان من إخواننا في الاشتغال بالعربية، كنا نحضر جميعا عند والدي- رحمه الله- و عند الشيخ أبي عبد الله النحوي- رحمه الله- ولى معه مباحثات في مسائل كثيرة، و كان ذا حرده و أنفة لا- يجلس إلا- مع الكبار و لا يتكلم إلا بكلمات كبار من غير تكبر، و كان ورعا دينا حسن الصورة؛ توفي- رحمه الله- في سنة عشرين و سبعمائة. و كان منهم بل من خيارهم القاضي:

[١٢٣]- فخر الدين السنجاري أبو بكر بن (عمر) [٣١٤]

. عمل مؤذنا رجاء بركة النسبة إلى النبي صلى الله عليه و سلم، و كان جهورى الصوت، على كلامه روح عظيم يدل على خشوعه و حضور قلبه، و كان معظما عند الناس يقضى حوائجهم و يلبي دعوتهم، و كان له بالقاهرة و جاهه، ينتمى إلى السبكيين؛ فكانوا يرعونه في نفسه ثم في ذريته من بعده، و كان يقال له: سمسار الخير؛ لكثرة سعيه في مصالح شتى و في وظائف كثيرة تأسست ببركته و إشارته.

منها: درس المالكية، و درس الشافعية اللذان رتبهما الأمير سلا، و كذا

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٧٨

درس الحنفية الذى بالمدرسة الأركوجية، و سقايات للماء و غير ذلك.

توفي- رحمه الله- سنة تسع و ثلاثين و سبعمائة، و مولده سنة ست و ستين و ستمائة.

و عقب ولده:

[١٢٤]- شمس الدين محمدا.

كان فقيها حنفيا اشتغل بمذهب أبي حنيفة بالقاهرة على مشايخ المذهب، و جاء إلى المدينة مع والده فولى تدريس الحنفية في الشهابية، و الأركوجية، و كان من الأخيار دينا عاقلا- حسن الأخلاق مبادرا لقضاء حوائج الإخوان كهفا للفقراء و المساكين و كان مؤذنا حسن الصوت، فتزوج بنت القاضي شرف الدين الأميوطي، فرزق منها ذرية مباركة و سعيدة- أصلحهم الله تعالى.

توفي- رحمه الله- بعد أن نهب بيته في نهبة المدينة المتقدم ذكرها، و كانت وفاته في أوائل سنة إحدى و خمسين و سبعمائة.

و كان منهم الشيخ الفقيه الصالح الأديب:

[١٢٥- أبو عبد محمد بن محمد بن محمد الغرناطي.]

و نعم الرجل، كان- رحمه الله- في بدء أمره مشتغلا بالعلم قد جود القراءات السبعة، و أحكم الفرائض و الحساب حتى لم يكن في المدينة مثل بديته في ذلك، و كان قد جبّ نفسه لعارض عرض له خاف على نفسه من السلطان، غلب على ظنه أنه لا ينفك عنه إلا بما فعل، و زين له أن الذي يفعله

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٧٩

أسلم في دينه من حالته التي هو عليها و العياذ بالله، فندم حيث لا ينفعه الندم. و في مثل ذلك قيل:

كلّ يحاول حيلة يرجو بهادف المضرة و اجتلاب المنفعة
و المرء يغلط في تصرف حاله فلربما اختار الغنى على الدعة

ثم إنه حسن حال و عبادته و تبتله، و رغب فيه جماعة من الخدام و أدخلوه في خدمة الحرم الشريف، و قدموه عليهم في حفظ حواصلهم و أوقافهم، و رأس بينهم رئاسة جليله و دخل في جملة المؤذنين أصحاب المعلوم.

فلما كبر و أسن نزل عنه، و لم يزل بين الخدام معظما محترما مشهورا بعبق اليد و اللسان في إقامة طويلة بينهم و كان قد تأثرت دنيا، فكان يرسل ما فضل عنه إلى إخوته في بلادهم غرناطة حتى إنه لما توفى لم يوجد له ما كان يتهم به من المال، و أوقف كتبه و جعل مقرها في المدرسة الشهابية، و أعتق عبيدا و إماء و قدم لنفسه ذخيرة صالحة بعثته خادمه نجيبا أحد خدام الحرم الشريف اليوم و من أميزهم عقلا و معرفة و ديانة، و حصل له به ذكر جميل و خير كثير غير قليل.

و كان أبو عبد الله مجيدا في صنعة الدهان و التزييق، فعمل في الحرم الشريف مع الدهانين و أثر تأثيرا حسنا، كان لى منه- رحمه الله- نصيب وافر و ودّ عظيم و مبادرة لقضاء حوائجي، و كان يحضر معنا الدرس و يرعانا لما كان بينه و بين والدى- جزاه الله خيرا- و لكن توفى- رحمه الله- في سنة أربع و خمسين و سبعمائة و له إحدى و ثمانون سنة و لم يخلف عقباً.

و كان منهم الأخ في الله الشيخ:

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٨٠

[٣١٥] علي بن معبد المصري الأصل الشهير بالقدسي المؤذن.]

كان- رحمه الله- ملازما لوظيفة الأذان و الإقامة يغيب الناس و لا يغيب، قلّ أن تشغروا وظيفته الإقامة على الدكة مدة حياته إن حضر أصحاب النبوة و إقام عنهم، و كانت نوبته في المثذنة لا تختل أبدا في صيف و لا موسم و لا غير ذلك، و كان ليلة نوبته لا يرقد إلا في المدرسة الشهابية، و إذا كان أيام الصيف خرج عياله إلى نخلهم و أقام هو في المدينة، رغبة في الصلاة في الجماعة، و كان من حسن الخلق مع الديانة و الصيانة، و قلّمه الكلام في أعراض الناس، في الذروة العليا و المقام الأسنى، و رزق أولادا مباركين مؤذنين و بناتا مباركات، و كان له عائلة كبيرة لا يهتبل بحالهم و لا يههم أمرهم، بل هو مشغول بنفسه و بالقيام بوظائفه، مع البهدة في ملبسه و حاله كله مبهدل [٣١٦].

و كان قدومه إلى المدينة في سنة إحدى و عشرين و سبعمائة، و رغب ابن أخته:

[١٢٧- محمد بن يوسف]

في الإقامة بالمدينة المنورة و زين له ذلك، فأقام عنده و سعى في أن يكون مؤذنا، فأذن له فكان يؤذن احتساباً، ثم شغرت وظيفه ابن الحسيني المؤذن فتولى مكانه، و كان الحسيني من المؤذنين القدماء الأخيار و تزوج محمد ابنة خاله فرزق منها أولادا مباركين، و كان محمد لا يعرف إلا بخاله فيقال له: محمد ابن أخت القدسي، و كلاهما مصري ليسان من القدس الشريف.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٨١

و كان الشيخ عليّ قديم الهجرة بالمدينة من المجاورين القدماء صحب جماعة من الصالحين الأخيار و خدمهم و نال منهم، و كان يحكى من أخبارهم و أحوالهم ما يتأسى به و ينتفع به من اختل عليه حاله و صدئ من الغفلة قلبه.

توفى- رحمه الله- في سنة اثنتين و ستين و سبعمائة و قد قارب الثمانين[٣١٧].

و كان منهم الفقيه الزكي النبيل:

[٣١٨] سراج الدين عمر بن الأعمى]

، كان من المؤذنين الذين ساروا بين إخوانهم و شرفوا بعقولهم و آدابهم كان خلطاً فكها حسن القراءة حسن الصوت أديبا مؤذنا مجيدا، و كان مليح الخط جود عليه أكثر أولاد المجاورين، و كان كثير المساعدة للإخوان عند الشرفاء و الأمراء، و كان محبباً إليهم مكرماً لديهم يجسر على الأمراء بالكلام و يقول الجد في صورة المزمح[٣١٩] و يقضى حوائجه منهم لنفسه و لمن استغاث به، و ترك أولادا قراء مؤذنين، مات أكبرهم محمد في الغرب بعد غيبة طويلة، و خلف ولدا صالحا نجيبا مؤذنا صيتا ذا صوت حسن، توفى عمر- رحمه الله- في سنة أربع و ثلاثين و سبعمائة.

و كان منهم:

[٣٢٠] حسن القطان.]**[٣٢١] و أحمد القطان]**

، فأما حسن فخلف ولدين من جارتين تسرا بهما

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٨٢

قرب وفاته فمات و هما حاملتان فولدتا جميعا ذكرين، كان خيارهما:

[٣٢٢] حسين.]

نشأ في خير و اشتغل بالعلم و ولى وظيفه والده في الأذان، و كان صيتا حسن الأذان حسن العشرة و المداراة فعاش في الناس بعقله، ثم توفى و خلف أولادا صغاراً- لطف الله بهم[٣٢٣].

و أما الولد الآخر فتغرب و امتحن في الشام بمحنة قطعت فيها يده و كان بريئا، و كان من أعقل الناس و أشغلهم بنفسه و تدبير بيته، و كان صيتا مؤذنا مجتهدا، خلف ولدين صالحين مباركين صيبتين، توفى بالشام زمن الطاعون- رحمه الله.

و منهم الفقيه:

[٣٢٤] عبد الرحمن بن ياقوت. و قد تقدم ذكره في ترجمة الشيخ شرف الدين الخزندارى- عفا الله عنه.]

و كان من أبناء المجاورين و رؤساء الناس و صدور الفقهاء، الإمام العلامة.

[١٣٣- يوسف بن جمال القرشي الهاشمي]

، كان فقيها رئيسا محصلا لعلوم
تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٨٣
شتي، رحل إلى العراق فتفقه بها على مذهب الإمام الشافعي رضى الله عنه و أدرك بها شيوخا أئمة في العمل فأخذ عنهم و انتفع بهم،
و كتب كتبا جليله في كل علم، و كسب مالا و نخيلا و دورا، و كان ذا عيال كثيرة و نفقه غير مقدره فأفنى جلّ ماله في حياته، و باع
أكثر كتبه في المدينة، و بعث منها كثيرا إلى الشام فيبيع بها.
و كان أخوه الشيخ العلامة:

[٣٢٥] علم الدين يعقوب]

فيه رئاسة و حفظ للمنصب و النسب، فولى القضاء بالمدينة كما سيأتى ذكره، و جرى بينهما من التحاسد و التباغض ما لم يجر بين
أحد من الإخوان، و سرى ذلك في عقبهم حتى تلف حالهم، و افتقرت كلمتهم، و طمع فيهم عدوهم؛ فصدق رسول الله صلى الله
عليه و سلم حيث قال: «ياكم و البغضة فإنها الحالقة».
و توفى الفقيه يوسف في حياة أخيه يعقوب، فجفا أيتام أخيه، ثم إن الشرفاء غرموا الفقيه يعقوب شيئا بعد التضييق عليه، فرأيت الفقيه
يوسف في المنام و هو على حاله حسنه و هو يشير إلى أخيه يعقوب كالمتمشمت به، و يقول لى: ما عرف قدرى حتى فقدنى.
و خلف الفقيه يوسف أولادا و بناتا، كان أدينهم، و أصلحهم، و أكثرهم اشتغالا بالعلم، و أوصلهم للرحم الفقيه:

[٣٢٦] جمال الدين اخترته المنية شابا]

، و خلف أولادا مباركين، و فقههم [٣٢٧]
تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٨٤
الله.
توفى الفقيه يوسف- رحمه الله- في سنة إحدى و أربعين و سبعمائة، و مولده سنة إحدى و ستين و ستمائة، و توفى ولده جمال الدين
في سنة تسع و خمسين و سبعمائة- رحمه الله عليهم.
و كان ممن صحبته في الله الفقيه الفاضل المتفنن المتعبد:

[٣٢٨] شهاب الدين الصنعاني.]

كان جلّ عمره في دمشق، ثم قدم المدينة فانقطع بها، و تأهل، و ولد له بنت في آخر عمره، كان- رحمه الله- كثير الصيام لا تكاد
تراه مفطرا، و كان ملازما للمسجد.
و له من التصانيف عدد كثير في فنون منها: في مذهب الشافعي، و في اللغة، و العروض، و غير ذلك، و تولى نيابة الحاكم عن القاضى
سراج الدين، و تولى التدريس في درس الحديث للقلائسي قبل جمال الدين المطرى.
صحبه طويلا فلم أسمعه يحلف بالله تعالى، و أخبرنى أنه على ذلك منذ عقل عقله، و لا رأيته يخرج مثل غيره لا عند حكومه، و لا
عند كلام يسمعه في عرضه، و لا يكاد يعاتب أحدا؛ لئنه، و حسن خلقه، و كثرة خيره، و كان قد سلط عليه بعض الناس، و اشتغل به،

و هو لا ينزعج لشيء من ذلك، قد أمن الناس شره، و بأسه- رحمه الله. توفي سنة خمس و ثلاثين و سبعمائة [٣٢٩].

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٨٥

و كان من الشيوخ المعدودين في زمانهم من العلماء الحكماء المجيدين، و المطلعين على علوم الأولين من حكمه، و منطق، و هندسة، و فلسفة:

[٣٣٠] أبو محمد عبد الله بن حجاج المغربي الشهير بمكشوف الرأس؛

لأنه كان لا يزال كذلك، كان حبراً، منقطعاً للمجاورة، مشغولاً بنفسه، و جمع من الكتب الجليلة ما لم يجمعه أحد من جنسه، أتى بها من بلاده، كانت مشتملة على أصول و أمهات، و دواوين من تفسير القرآن، و كتب الفقه، و الحديث، و التاريخ، و الطب، و المنطق، و الحكمة، و علوم شتى، و كان عنده من كل فن تصانيف عديدة [٣٣١].

و كان له عيال و أولاد، و كان إذا أراد الحج إلى بيت الله الحرام أدخل عند عياله جميع ما يحتاجون إليه من طعام و ماء، و سدّ عليهم الباب بالبناء؛ حتى لا يصل أحد إلى بيته، و لا يطلع على حاله، و لا يزال البيت كذلك حتى يأتي من مكة و يفتح عنهم [٣٣٢]. توفي- رحمه الله- و ترك أولاده صغاراً فوصّى عليهم، و على ماله، و كتبه نور الدين بن الصفي فقيه الإمامية في وقتهم و رئيسهم؛ لأنه كان جاره، و كان بينهما مؤانسة، و لم تزل الكتب عند ابن الصفي حتى تلفت و أكلتها الأرضة، و ذهب خيارها، و وقع عليها المطر.

ثم كبر الأولاد، و سافروا إلى مصر، و بعثوا مع القاضي فخر الدين

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٨٦

السنجاري بوكالة على تسلّم الكتب و بيعها فبيعت، و ملأت المدينة حتى صار في كل بيت منها جانب من علوم لا يعرفها أحد من أهل هذا الزمان، و لا يفهمها إلا من عالج أصولها، و أدرك شيوخها، و لقد باع بعض الناس منها نحو أربعة عشر مجلداً كل كتاب بدرهم نسخاً مليحةً صحيحةً في فنون قل من يفهمها في المدينة، توفي- رحمه الله- في سنة إحدى و سبعمائة.

و كان من الأشياخ المباركين، و أحبابنا السالكين:

[٣٣٣] الشيخ أبو البركات أيمن بن محمد السعدي

و كتب بخطه في آخر كتاب: أيمن بن محمد بن محمد، و عدّد من أجداده أحد عشر نفراً كلهم اسمه محمد، كان له كل يوم و ليلة ثلاث ختمات، و ترك أهله و إخوانه في تونس، و هاجر إلى الله و رسوله صلى الله عليه و سلم و كان له ديوان كبير في مدح سيدنا و ذخرننا رسول الله صلى الله عليه و سلم [٣٣٤].

قال لي: رأيت النبي صلى الله عليه و سلم في النوم فأنشدته بعض قصائدي فيه، فبصق في فيّ و قال لي: «لا فضّ فوك» فلم تسقط له سنّ، و كان قد جاوز السبعين حين أخبرني بذلك، و لقد أعطيته يوماً خشكناة [٣٣٥] يابسة قديمة لا تكاد تنكسر إلا بالحجر، فأخذها و قرضها كأنها قطعة سكر، و كان يأخذ الدرهم النحاس فيقطعه بأسنانه نصفين [٣٣٦]، و كان أعجوبة الزمان، و طرفه الإخوان من أدب، و شعر، و حكايات، من جلس إليه لا يكاد يحب فراقه، و كان حسن البديهة

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٨٧

سريع الجواب [٣٣٧].

حكى لنا أنه كان ساكناً في مدرسة في مدينة تونس، قال: فنزلت يوماً في درج المدرسة و كنت [٣٣٨] على عجل، و اتفق أن كان قاضي القضاة ابن عبد الرفيح طالعا في الدرجة، و لم أشعر به، فما سمع حسي قال- قبل أن يراني: من النازل؟ فقلت: الطالع؛ فغضب

علّي، و أمر بإخراجي من المدرسة، و له مثل هذا كثير، و سأذكر منه شيئا في ترجمة السراج [٣٣٩].
و من شعره [٣٤٠]:

بلغت بشعري في الصبا، و عقيبه جميع الأمانى من جميع المطالب
فلما رأت عيناى سبعين حجة قريبا هجرت الشعر هجر الأجنب
أيجمل بالشيخ الذى ناهز الفناء على ذكر الصبا، و الكواعب
حشت السرى ليل الشباب فكيف لأنىخ لدى صبح المشيب نجائى؟!
لعمرك إن العمر يوم و ليلة يكران و الدنيا مناخ لراكب

و قال فى معنى قول الحكماء: (من طال عمره كانت مصيبته فى أحبابه، و من قصر عمره كانت مصيبته فى نفسه) [٣٤١].
تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٨٨

إذا طال عمر المرء سرّ، و ساءه على أى حال كان فقد الحباب
و فى نفسه إن مات قبل انتهائه مصيبته فالمرء رأس المصائب [٣٤٢]

و أنشد [٣٤٣] لنفسه فى يوم العيد:
إن عيدا بطيبة، و صلاة بمصلّى الرسول فى يوم عيد [٣٤٤]
نعم ضاق واسع الشكر عنها فهى بشرى لكلّ عبد سعيد
كم تمنيتها فقلت التمنى آخر العمر من مكان بعيد!!
و إذا كان فى البقيع ضريحى و توسدت طيب ذاك الصعيد
فاشهدوا لى بكلّ خير، و يسر عند ربى، و مبدئى، و معيدى

و له فى الغزل [٣٤٥]:
و كم رمت كتم الحبّ عمّن أحبه! و كيف بكتم الحبّ عن ساكن القلب؟
إذا اختلج السرّ المصون بخاطرى تقلّب منى القلب جنبا إلى جنب
فيبدو و لا تبدو سرائر لوعتى و تخفى و لا تخفى و فى الحال ما ينبى

و له فى النخل و قد رآه مجدودا [٣٤٦]:
انظر إلى النخل و أعناقها قد جرّت من تمرها الزاهى
مثل عروس تمّ أسبوعها فجرّدت من حليها الباهى
ما زيّنها إلا عراجينها و كلّها من حكمه الله!

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٨٩
و له أيضا [٣٤٧]:

ما لي أجيء إلى الزيارة دائماً فيقال لي: سر، إنه مشغول حتى لقد حدثت نفسي أنني فيما يقول القائلون الغول

رأيته بعد وفاته في النوم، و تحققت وفاته؛ فقلت: يا أبا البركات، أخبرني ما صنع لله بك؟ فرأيته كأنه كره العلم مني بموته، فتغير عند ذلك، فقلت:

بالله عليك أخبرني، فقال لي: والله ما لقيت من الله إلا خيراً، فقلت: والله لا بدّ، و كان في ذهني ما كان يحكيه في شيبوته، و أيام ما كان فيه من التخليط الذي نحن فيه من قراءة الأسباع، و الربعات و الدروس، و تناول الصرر [٣٤٨].

و قلت: (إن [٣٤٩] من حاله كذلك لا يسلم من تباعة [٣٥٠] و لو بالسؤال عن ذلك. فقال لي: والله و لا شيء، فأعدت عليه ثلاث مرات، فقبض على شيء يسير من جلد ظاهر كفه بأسنانه و قال: والله و لا مثل هذه فأوقع الله في ذهني أنه في دار الحق، و أنه لم يقل إلا- حقاً؛ فبكيت، و أردت أن أسأله عن حاله ثم أنسيت و قلت له: أنت صاحبى فلا تسانى و اشفع لي [٣٥١] توفى- رحمه الله- في سنة أربع و ثلاثين و سبعمائة، و مولده سنة تسع و خمسين و ستمائة.

و كان من المشايخ الأجلاء مشايخ الغرب المجولين المسافرين:

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٩٠

[٣٥٢] الشيخ على بن فرغوص النلمساني - رحمه الله

، كان له حال عجيب جليل، و مقام عظيم، له رحلة طاف فيها كثيرا من بلاد المشرق و المغرب، و استفاد علوما جليئة من علم الحرف، و أسرار الطلاسم و التريعات، و علم السيمياء و الكيمياء، و الروحانيات، و جميع ما تأخذ معه فيه تجد عنده منه طرفا جيدا، و كان يحكى في مجالسه غرائب و نوادر [٣٥٣].

انعطف عليه المجاورون و جميع أهل المدينة، و كبار الدولة، و وزراؤها و كذلك أهل مكة بأجمعها؛ فكان [٣٥٤] يمشى طريق المشيان مع جماعته فلا يقطعها إلا في شهر؛ لأن العرب كلّها صارت تعرفه، و تحبه، و تعزم عليه؛ فكان يجعل سفره سياحة، و له مناقب جليئة، و محاسن جميلة لا يسوغ ذكرها هنا- رحمه الله عليه [٣٥٥].

و كان من إخواننا الأصفياء الأتقياء المتعبدين و المتفقيين.

[٣٥٦] الشيخ محمد الهزميري.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره؛ ص ١٩٠

ل المدينة و أقام بها مدة طويلة لا يعيش إلا من الحطب، يأتي بالحزمة فيبيعها، و يتقوت بثمرها، ثم انتقل إلى قدم التوكل فصحب الشيخ أبا بكر الشيرازي فكان يأخذ نفسه بالمجاهدة، و العبادة و قيام الليل، و كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان في المسجد الشريف فلا يخرج من معتكفه حتى

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٩١

تتورم قدماه و ساقاه، و كان هو و الشيخ أبو بكر يتقوتون في كلّ ليلة بعشر زبيبات كلّ واحد خمس زبيبات، و أوقات يطويان، حتى إنهما إذا خرجا من معتكفهما لا يعرفان من النحول و الذبول، ثم إن الشيخ أحمد التستري زوجه ابنته؛ فلم يقم معها فطلقها، و تزوج أخت الفقيه محمد بن صالح نائب الخطابة و الإمامة؛ فرزق منها ولدا صالحا قارئا متفقيها، و مات- رحمه الله- في طريق مكة بوادي

الصفراء محرما بالحج في سنة ثمان و ثلاثين و سبعمائة.
و كان من إخواننا المتّقين، الصلحاء، المتعبدين، الموسوسين في العبادة:

[٣٥٧] الشيخ أسعد الرومي.

كان من كبار الأخيار، ذا عزلة و اجتهاد و قرأ معنا في سبع ابن سلعوس، فكان يتبع [٣٥٨] الحروف، و يرجع من حيث أوقفه النفس حتى لا يخلّ بشيء من القراءة، و كان متعوبا في غسله و وضوئه؛ فلما توفّي غسله الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد الغرناطي، و طيبه بأطيب الطيب، و جهّزه أحسن جهاز، و توفّي بالمدرسة الشهابية - رحمه الله عليه [٣٥٩].
و كان من المشايخ الكبار المشتغلين بالعلم و العمل:

[٣٦٠] أبو عبد الله محمد التكروري الخطيب.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٩٢
كان خطيب بلد سلطان التكرور، و هي بلد مالي، و كان خطيب التكرور هذا على طريقة عظيمة من الدين، و العلم، و البر، و الصدقة، و تفقد الإخوان، و صحبة العلماء و تفقدهم، و تعظيمهم، و محبة أولادهم، و كان - رحمه الله - فوق ما أصف [٣٦١]، و لما توفّي جاء الحفّارون إلى جهة قبر سيدي عثمان بن عفان - رضى الله عنه - فحفروا له في موضع معمور بالأموات منذ كانت المقبرة؛ فأنكشف لهم قبر تحت الأرض معقود فيه دكة، و هو نظيف كأنه مكنوس كنسا، فوضع فيه كأنه بيت نزله [٣٦٢] و توفّي - رحمه الله - سنة اثنتين و أربعين و سبعمائة [٣٦٣].
و كان من المشايخ الصلحاء القدماء في المجاورة بالحرمين الشريفين:

[٣٦٤] أبو فارس عبد العزيز بن زكون التونسي - رحمه الله.

كان - رحمه الله - فاضلا في علم القراءات، متقنا في التاريخ، مجتهدا في العبادة، ساكنا محبّا في السلامة من الناس، و لا يكاد يسلم [٣٦٥].

قرأ عليه من أولاد المجاورين جماعة كشمس الدين الحليمي، و شمس

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٩٣

الدين الششتري، و طبقتهما [٣٦٦]، و يقال عنه: إنه صحب ابن سبعين، و كان من أحبابنا، و لم أر عليه ما يشينه في دينه [٣٦٧]، اشترى نخيلا و أوقفها، و آل أمرها إلى الخراب حتى إنه لا يكاد اليوم أحد يعرفها، توفّي - رحمه الله - في سنة ستّ و أربعين و سبعمائة [٣٦٨].

و كان من أكابر المجاورين المتأخرين أصحاب المجاهدة، و الصبر العظيم على مشقة العبادة، و العزلة عن الناس.

[٣٦٩] الشيخ [٣٧٠] شمس الدين الخجندی - رحمه الله.

- كان يسكن بالكرّا خوفا من مساكنة أهل الرباط، و كان يعمل أربعينيات يعتزل فيها عن الناس، و كلامهم، و يأكل فيها اليسير من الطعام، و لا يقطع الصلاة في المسجد الشريف، بل يجعل على رأسه ما يغطى به وجهه، و يمنعه من الاشتغال بالنظر إلى ما يشغله، و يأتي إلى الروضة في الصف الأول فيصلّي، ثم يرجع في الحين إلى بيته، فلا يزال في صلاة، و ذكر و دعاء [٣٧١].

أخبرني الفقيه سراج الدين عبد اللطيف ابن العلامة شمس الدين محمد الزرندي - و كان جاره، و داره تطلّ على دار الشيخ - قال: لا

أقوم في ساعة من

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٩٤

الليل إلا و أسمع بين ذكر و قراءة، و دعاء، و استغفار مع بكاء و عويل، و كان قد بورك له في الطعام [٣٧٢].

أخبرني الشيخ شمس الدين الحلبي - رحمه الله - قال: أعطاني الشيخ صاعا من الدقيق و قال: اعمل منه رشيدة، و أرسل لي كل ليلة منها بحفنة مطبوخة؛ قال: ففعلت، و استمر على ذلك مدة، ثم قال: اعمل لي منه كل ليلة قرصا، ففعلت مدة، ثم قال: اعمل منه في كل ليلة جمعة قصعة طعام للفقراء، ففعلت، و كان كل ليلة جمعة يجتمع عنده الفقراء فيذكرون إلى أن يذهب جزء كبير من الليل، و يقدم لهم ذلك الطعام الذي لا يظن أنه يكفي ثلاثة فيأكل منه فوق العشرين، قال محمد المذكور: و لا تزال ننفق مما يعطينا حتى نمل، ثم نأخذ الفضلة بعد ذلك [٣٧٣].

و أخبرني بذلك جماعة من أهل الخير ممن يعرف حاله قالوا كلهم: لم نر قط مثل بركة طعامه، و كان يتواجد في الذكر و يقوم و يدور في الحلقة فيجد الجماعة منه قوة، و صلابة يعجز عنها أقباء الشباب، بحيث إن الجماعة يملون، و لا يمل، و متى مسك على أحد منهم أتعبه، و كان قد أسن، و كبر، و كنت أحضر عنده أحيانا، و كان له وجه و ضيء، عليه نور العباد و الخير، و له لحيه طويلة مليحة تبلغ إلى سرتة، و مات - رحمه الله - عن وصيه، و تثبت، و صدقه بجميع ما يملكه حتى بفراشه من تحته، و توفي - رحمه الله - سنة أربع و ستين و سبعمائة [٣٧٤].

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٩٥

و كان ممن أدركناه من الأكابر، الصلحاء المتقدمين في عمارة الحرم بالنجارة:

[٣٧٥] الشيخ أبو بكر بن يوسف المعروف بالمحجوب النجاري

، قدم المدينة بعد حريق الحرم بالمنبر الشريف الموجود اليوم فوضعه فأحسن (في [٣٧٦] وضعه، و في نجارته، و كتب اسمه عليه و ذلك في سنة ست و ستين و ستمائة، ثم انقطع بالمدينة إلى أن توفي بها - رحمه الله - و كان مختلطا بالصالحين، متقنا بكسب يده، متعفا عن الأطماع المدنسة للأعراض، مكبا على الخير.

كنت أجلس إليه فيحكي عن أهل زمانه غرائب و عجائب، و كنت لا أزال أرى حوله عددا من الحيوان بين هرر و دواب قد ألفوه بالإحسان إليهم، و كان يقول: هذا الهرّ جدّ هذا الهر، و هذا خال هذا، و هذا ابن عمّ هذا، قد ربّي منهم كثيرا، و عرف أنسابهم، و كان يحسن إلى الدواب المضيعه في الأسواق، و يرى ذلك كله من جملة الصدقات، و ربما يتمثل في ذلك بقوله عليه الصلاة و السلام: «في كل ذات كبد حرّاء أجر».

أخبرني الشيخ عبد الله بن عمر الخزاز - و كان حفيد الشيخ أبي بكر بن بنته عائشة - قال: قال لي الشيخ أبو بكر: لما قدمت المدينة لم يكن بها من يتسمى بهذا الاسم؛ فظهر لي كراهة أهل المدينة مع ما انضاف إلى ذلك من تسمية بنتي عائشة، فهممت بتغيير اسمي، قال: فرأيت سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال لي: «لم تغير اسمك؟» فقلت له: يا رسول الله إجلالا لصاحبك - رضي الله عنه - فقال: «لا تفعل انظر إلى هؤلاء الذين تخشى منهم» و أشار إلى آخر الحرم. قال:

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٩٦

فنظرت فإذا بسبعين شخصا أعرفهم من أهل المدينة، و جوههم و جوه بني آدم، و باقى أجسامهم على صفه الخنازير، ثم قال لي صلى الله عليه و سلم: خذ هذه العصا، و أخرجهم من المدينة. قال: فقلت يا رسول الله أحبّ أن أعمّر حتى أدفنهم فقال: «ستعيش بعدهم» قال: فانتهت و أنا مسرور، و انصرف عني ذلك الخاطر، و صاروا ينقرضون طبقه بعد طبقه، قال: و كنت إذا جئت إلى جماعة الخزازين يقولون: كم بقي من غرمائك؟ فأقول: عشرين، عشرة، خمسة. حتى انقرضوا عن آخرهم في حياتي، و عاش مائة سنة و يتفا-

تغمده الله برحمته.

و كان من المشايخ العلماء الورعين المتنسكين المبرزين في الخير:

[٣٧٧] الشيخ إبراهيم التلمساني الشافعي

أقام في المدينة على أحسن طريقة، لا يشبهه أحد في العزلة، و الانقطاع عن الناس، عارفا بزمانه، حافظا للسانه، مقبلا على شأنه، متحرزا من إخوانه، ملازما لأواخر المسجد، يشتغل في مذهبه طول نهاره، و لا يدخل بيته إلا وقت الوضوء، و لا يأتيه أحد إلا من يتبرك به، و يرتجيه، و انتفع به الطلبة، و تخرج عليه جماعة فظهروا نجاها علماء اخترمتهم المنية شبانا، منهم ولدا الشيخ أحمد الشويكي، و كانت أمهما زوجة الشيخ، و كانت زوجة صالحه، و منهم صفى الدين بن الشيخ محمد الكازروني، و انتفع به أيضا الفقيه عبد السلام أخو صفى الدين، و عبد القادر الحجار و غيرهم، و كانت له نية صالحه ينتفع بها من يشتغل عليه، و يحسن ظنه فيه، و كان مع هذه العزلة العظيمة و الانفراد عن الخليفة يؤذي بأنواع من الكلام.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٩٧

و لكن صدق القائل [٣٧٨]:

و من الذي ينجو من الناس سالماو للناس قيل بالظنون و قال

فكانوا يرون أنه يقول بالجهه، و يشيعون عنه ذلك، و لم أسمع منه ما يدل على ذلك، و كان صفى الدين الكازروني ممن لا يخفى عنى حاله، و كان يثنى عليه ثناء كثيرا، و ينكر أن يكون له اعتقاد يخالف اعتقاد إمامه الشافعي - رضى الله عنه - و كان إذا بلغه ما يقال عنه لا يعاتب قائله، بل و لا يتكلم في عرضه بشيء، و كان لسان حاله ينشد [٣٧٩]:

دع الناس ما شاءوا يقولون إننى لأكثر ما يحكى على حمول

فما كل من أغضبتة أنا معتب و لا كل ما يروى على أقول

و كان له كتب جليله في الفقه، و الأصول، و الحديث، و اللغة، و غير ذلك، أوقف أكثرها بمكة المشرفة، و وقف بعضها بالمدرسة الشهابية، و أعتق عبدا، و رباه، و أحسن إليه، توفي - رحمه الله - في سنة خمس و خمسين و سبعمائة. و كان من أصحابه و أحبابه

[١٤٧- الشيخ على السخاوي]

من الفقراء الجياد الملازمين للروضه المشرفة، و كان فيه تأنيس كثير لأصحابه، و دعاء عظيم لإخوانه، و كنت إذا جئت الصف الأول، و لم أجد لى فيه مدخلا يفسح لى، و يعزم على و يقول: سم الخياط مع الأحباب [٣٨٠] ميدان.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ١٩٨

و كان لى من الإخوان الفقيه الفاضل العابد الورع الزاهد:

[٣٨١] شمس الدين محمد بن يوسف الحلبي - رحمه الله -

كان فيه من الخير و الصلاح و العزلة عن الناس ما لا مزيد عليه، و كان من الأولياء الأكياس، و من الناس الذين هم الناس، و كان فاضلا في مذهب أبى حنيفه مشاركا في عدة علوم.

رحل إلى دمشق في سنة اثنتين و ثلاثين و سبعمائة، و اشتغل على الشيخ علاء الدين القونوي فأثره الشيخ على غيره، و اعتنى به، و تفرس فيه الخير، فرجع و قد حصل و استفاد، و كان إذا جلس في مجلس تكلم و أفاد، فقدت من دعاويه، و أنسه، و ولايته، و نصيحته ما لم أفقده من أحد من الأصحاب، و كان ساكنا جوارى حتى مات- رحمه الله- فلم أر منه غير الخير، و المودة، و المحبة في الغيبة و الحضر.

كان يقول لي: و الله ما وقفت تجاه الحجرة المشرفة و دعوت لنفسي إلا- دعوت لك، و لا ختمت ختمه إلا دعوت لك بدءها و آخرها، و كان يقول:

من شدة المودة: أسأل الله تعالى أن لا يريني لك يوما أكرهه، و أن يجعل يومي قبل يومك، و على الجملة فكان من إخوان الصفاء، و أهل الوفاء، ليس من الإخوان الذين قال فيهم:

و إن من الإخوان إخوان نعمه و إخوان حياك الإله و مرحبا
و إخوان كيف الحال و الأهل كلهم؟ و ذلك لا يسوى نقيرا متربا

و ما أشبه الناس اليوم في تواددهم، و تصافيهم بقول القائل:

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ١٩٩

دهرنا دهر افتراق ليس ذا دهر التلاقي

قل ما يلقاك إلا بسلام و اعتناق

فإذا وليت عنه ثبت منه بالطلاق

نسأل الله تعالى العافية، و أن يذهب عنا التدابر، و التحاسد، و التباغض بمنه، و كرمه.

و من أعظم حسناته- رحمه الله عليه- تربيته لأولاد الشيخ الصالح محمود العجمي الذي تقدم ذكره في ترجمة الشيخ أبي محمد البسكري، و كان قد تزوج أختهم لأبيهم في حياة الشيخ محمود، و كانت وفاته- رحمه الله عليه- سنة إحدى و خمسين و سبعمائة؛ فلما توفيت والدتهم لم يبق لهم أحد يكفلهم، و كانوا صغارا فكفلهم و ضمهم إلى عياله، و هم: عبد الرحمن، و عبد الرحيم، و عبد اللطيف فأقرأهم القرآن حتى حفظوا، ثم شغلهم بمذهب أبي حنيفة، و كان أبوهم شافعي المذهب، و تولى شمس الدين- رحمه الله- تقرئتهم، و تعليمهم العلم بنفسه.

و أخبرنا- رحمه الله- أنه جمع ما ورثوه من والدهم و والدتهم من الأثاث فباعه، فكان مبلغه ثمانمائة درهم، فكان ينفقهم من بعضها، و يتجر لهم ببعضها، و لم يزل ينميها لهم، و يوفرها عليهم، و يتورع في مالهم حتى بلغ ما لهم عشرة آلاف درهم، و كان إذا فضل شيء من غداثهم و عشائهم يأمر بجمعه و حفظه حتى يجتمع منه كسرا يابسه، فيجعله لهم غدا مثل البقسماط المترود، و يجمع فضي تمرهم الذي يأكلونه، فإذا اجتمع باعه، و صرف ثمنه في مصالحهم.

و بلغنا أنه كان إذا هلّ الهلال يكتال نفقتهم، و يعزلها، و كان يبدأ بكيال نفقته

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٠٠

قبل نفقتهم، فقيل له في ذلك فقال: أخاف أن يتعلق شيء في الصاع من حبهم فيختلط بحبنا.

فانظر إلى هذا الورع ما أحسنه!! و إلى ديانتته، و صبره، و مروءته ما أحسنها!! و كان- رحمه الله- عفيف النفس عن التشوف للصدقات الواردة للمجاورين، قليل السعي في الوظائف، مقتنعا باليسير من الدنيا، مظهرا للتجمل في ملبسه، و حال أولاده و عياله، و من أعقل

الناس و أكثرهم نصحا، و أحزمهم رأيا، مخالطا للناس، مباينا لهم، لا يخوض معهم فى شىء مما تخشى عاقبته من أمور الدارين، و لا يذكر أحدا بغيبة، فإن ذكرت بحضرته أنكر أشد الإنكار، و إن سمعها من ذى حرمة التمس للمقول فيه عذرا و مخلصا، و كان من أحسن الناس خلقا و أكثرهم فكاهاة فى حق، و أحسنهم هديا، و بالجملة فكان حسنة زمانه، و نادرة إخوانه، توفى - رحمه الله - فى سنة ست و ستين و سبعمائة.

و هو خال صاحبنا فى الله تعالى الفقيه العالم العامل الورع الزاهد:

[٣٨٢] شمس الدين محمد بن محمد بن يحيى الخشبى.

ذو النفس الزكية، و الأخلاق الرضية، و الطريقة المرضية، اشتغل بالفقه على مذهب أبى حنيفة، و شارك فى علوم عديده و أتقنها، ثم أكب على الإفادة، و الاشتغال، و نشر العلم طول نهاره، و صحب الشيخ العالم الربانى شيخ وقته، و بركه عصره الشيخ عبد الله بن أسعد الياغى - نفع الله به.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٠١

و صحب الشيخ موسى الغزوى، و الشيخ سليمان الونشريسى، و خلأق لا يحصون كثرة فاكسب من أخلاقهم، و تأذب بأدابهم، و سار على هديهم، و هو اليوم أحد المؤذنين بالحرم الشريف النبوى و ليس فيهم - بل و لا فى المدينة اليوم - من يعلم علم الميقات مثله، و كان قد رباه والده محمد بن يحيى، و أنشأه الشيخ محمد بن إبراهيم المتقدم ذكره، و أصله من العبايه فرقه كبيرة من أولاد المدينة منهم يوسف الشر بشير شيخ الشيعة و فقيههم، و كان جدهم مغربيا سيبيا، تزوج من بنات المدينة، و مات عن أولاد صغار، فنشأوا فى مذهب أمهم ثم كثروا، و انتشروا، و تمذهبوا بمذهب الشيعة و غلوفيه.

و كذلك الفرقة المعروفون بالمزاتيين: أبوه أيضا من الغرب، و هم طائفة كبيرة، و كان الشيخ محمد بن يحيى رجلا صالحا متصوفا متعبدا مشتغلا بالعلم، و مؤذنا بالحرم الشريف، استنقذه الله من تلك الطائفة، و كان شافعيًا أشعريًا متيقظا فى دينه، و إنما اشتغل ولده بمذهب أبى حنيفة لأن والده - رحمه الله - توفى فى سنة خمسة عشرة و سبعمائة، و خلفه صغيرا، و كان مولده فى آخر سنة ثلاثة عشرة، فقدّر أن الشيخ محمد بن داود تزوج والدته و كان شافعي المذهب، فلما قدم الشيخ شمس الدين ابن العجمى المدينة و أسس قواعد المذهب فيها، أمر ابن داود، و شمس الدين الخشبى، و شمس الدين الحلیمی بالاشتغال عليه ففعلا، و كثرت الحنفية بالمدينة ببركتهما، و رزق شمس الدين الخشبى أولادا نجباء قره أعين نشأوا على طريقة والدهم و فقههم الله تعالى.

و خلف الشيخ محمد بن داود ولده [٣٨٣] ولّى الدين، و ارتحل إلى دمشق صغيرا فلزم خدمة العلم العالم، الشيخ الإمام، العلامة قاضى القضاة؛ تقى

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٠٢

الدين السبكي، ثم صحب ولده الإمام العلامة قاضى القضاة تاج الدين فسعد بصحبتهما، و رأس فى دمشق ببركتهما.

و كان من إخواننا الفقيه الأجل العالم العامل المتفنن:

[٣٨٤] بهاء الدين عمر بن محمد الهندي الحنفى.

كان من إخواننا الكبار، و أصحابنا الأخيار، كان منقطعاً فى الحرم الشريف غالب نهاره للتدريس و الإفادة، محباً فى الطلبة حريصا عليهم حتى إنه يبعث للطلاب إلى بيته إذا تأخر عن الإتيان [٣٨٥]، و قرأ عليه بعض الطلبة (الكافية) لابن الحاجب فى بيته بالليل حتى أنهاها بحثا و فحصا، و كان فى علمى [٣٨٦] الأصول، و الفقه، و العربية إمام زمانه مع حلم، و أدب، و عقل راجح، و حسن خلق، و كان - رحمه الله - تلحقه حدة فى البحث ثم يرجع و يستغفر و ينصف فى المجلس، و كان كثيرا ما يقول: بالله لا - تأخذ عليّ فى

البحث، فما أراجعك إلا طلبا للاستفادة، و كان عفيفا عن كل ما يدنس العرض، لم أر أوفى منه في حفظ أصحابه في الغيبة [٣٨٧]، و الحضرة [٣٨٨].

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٠٣

خرج إلى مكة حاجا في سنة ثمان و خمسين و سبعمائة، فرماه بعيره في المحاطب قريبا من مضيق المنحنى فيست أعضاؤه، و بطلت أكثر حركاته، فحمل إلى مكة، و تأخر عن الحج، و ودعناه عند توجهنا إلى المدينة فوصانا بولديه صدر الدين، و أبي عبد الله، ثم لم يقم بعد ذلك إلا قليلا، و انتقل إلى رحمة الله و رضوانه [٣٨٩].

و كان من أصحابنا جماعة مباركون، كانوا إخوة في الله متلائمين، و على فعل الخير، و الاشتغال بالعلم متظاهرين. منهم الأخوان في الله العاملان العالمان السيدان:

[٣٩٠] الشيخ أبو علي الحسن بن عيسى الحاحائي.

[٣٩١] و الشيخ عبد السلام بن سعيد بن عبد الغالب القروي [٣٩٢]

، كان الشيخ حسن - رحمه الله - من العلماء الأتقياء الأقوياء في دينهم مع التفنن في علوم عديدة، إماما في مذهب مالك و في العربية و أصول الفقه، رحله في علم الحساب و الفرائض، و مشاركا في اللغة، و غيرها، متصديا للإشغال [٣٩٣]، انتفع به الطلبة من جميع المذاهب الأربعة، و كان

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٠٤

ساكنا برباط دكالة في حجرة الصالحين، و كان أفضل جماعتنا في الدرس بعد وفاة أخي - رحمه الله - و كان حسن الأخلاق مرغبا للطلبة في الاشتغال مع الهيبة، العظيمة عليهم، توفي - رحمه الله - في سنة تسع و أربعين أو في سنة خمسين و سبعمائة [٣٩٤].

و أما الشيخ عبد السلام فعاش بعده مدة طويلة، و انتفع به الطلبة المالكية في المذهب، و كان قد جمع إلى العلم الغزير الدين المتين، و العقل الراجح، كان في عقله و سكونه، و حسن خلقه، و جميل معاشرته، و سلامة الناس من يده، و لسانه بالصبر على الأذى، و مقابلة السيئة بالحسنة، كقول ابن دريد:

و الناس ألف منهم كواحد و واحد كألف إن أمرنا [٣٩٥]

و كان قد رأس و اشتهر ذكره، فلم يزد ذلك إلا - خمولا - و انقباضا، لم أر و لم أسمع منه ما يسوءني قط، مع الصحبة الطويلة، و الملازمة العظيمة في الدرس و غيرها، و كان يتأدب معي في الدرس كأصغر الطلبة، يقع بيني و بينه في الدرس خروجا من حسن خلقه، و كان شيخا مليح الشكالة، حسن السميت حيا، و قورا شفوفا.

و كان قد صحب:

[١٥٣] - الشيخ أبا [٣٩٦] هادي شيخ وقته و فريد دهره]

، مناقبه أشهر من أن

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٠٥

تذكر، و محاسنه لا تعد، و لا تحصر - رحمه الله عليه.

و كان الشيخ عبد السلام عنده مقدما على أصحابه القراء، و المشتغلين بالعلم، و كان الشيخ أبو الطيب يقول في حقه: من أراد أن ينظر

إلى من يقدر على مساكنة الحية في جحرها و يسلم منها، و تسلم منه، فليُنظر إلى الشيخ عبد السلام بن غلاب- رحمه الله عليهما. و كان الشيخ أبو هادي قد جاور عندنا في حدود خمس و عشرين و سبعمائة، فأنزلته عندي، و كنت أواليه، و أخدمه، و كان منفردا عن التلامذة و الأتباع، و كان أكثر عبادته التفكير، و كان مسكني يشرف على مسكنه، فكان يعبد الله بالفكرة فغالبا ما كنت أراه رافعا بصره إلى السماء مستغرقا بجميع حواسه في الفكرة، و حصل لي بصحبته خير كثير.

و لما قدم الشيخ عبد السلام إلى المدينة أقام بالمدرسة الشهابية على قدم التجريد مدة سنين، ثم سعى الله له في الزواج على يد الشيخ الصالح خادم الفقراء الشريف أبي القاسم المهدي فزوجه بابنة الشيخ يحيى التونسي المتقدم ذكره، و كانت أختها تحت الشريف، و كان الشريف خادم الفقراء عند الشيخ أبي هادي، و من هناك تأكدت الأخوة بينهما، و كان الشريف ذا هممة و مروءة، و خدمه للفقراء، و محبة في الصالحين، توفي في ذى الحجة من سنة تسع و خمسين و سبعمائة، و وصى على أولاده الشيخ عبد السلام فخلفه فيهم بأحسن الخلافة، و كانت وفاة الشيخ عبد السلام في أوائل سنة ست و ستين و سبعمائة.

و كان من قدماء الطلبة الشيخ:

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٠٦

[٣٩٧] قاسم السلاوي

، كان من إخواننا الفضلاء العلماء الأكياس، و كان يحضر الدرس عند والدي- رحمه الله- و كان من النجباء المتفنين ماهرا في علم الفرائض، نقالا- للفروع، و كان من الزعماء الذين تركوا شهاتهم، و قوة بطشهم في بلادهم، و هاجر إلى الله و رسوله، و كان فقيرا ضيق الحال [٣٩٨].

و كان مقدما في العلم و التعليم معلما للشيخ:

[٣٩٩] محمد السبتي.

كان بلا شك من المحدثين، و كان من قدماء المجاورين، و له على أولاد المجاورين- بل و أهل المدينة- يد طولى، و منه عظمة في تعليمهم القرآن، إن قلت: إنه لم ينجب أحد من الأولاد في زمانه على يد غيره من المعلمين فليست من الكذابين، و كان في كتابه فوق مائة متعلم بين صبي يفاع، و صغير، و يراع، و قد رتب كتابه فجعل العرفاء فوق من دونهم، و قدّم على كل طائفة واحدا منهم، و انتظم له سلك التعليم أكثره بالتخويف و التهديد، و كانت له فرائض عظيمة في الولدان حتى إنه ليقول للواحد منهم: أنت كنت في مكان كذا و فعلت كذا و كذا، فيكون ذلك حقا، و كان يهاب في غيبته أكثر من حضوره.

و مما جرى لنا يوما معه أن الطواشي شفيح الكرموني جاء إليه يوما فقال له: إن عمّار الحرم قد فقدوا مربعة خشب مدهونة يكون قدرها ذراع في ذراع، و ما نظن أخذها إلا بعض الأولاد، فقال: اذهب فستأتيك- إن شاء الله- ثم

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٠٧

قال لنا: اقرءوا، و ارفعوا أصواتكم؛ ففعلنا، ثم قال لنا: اسكتوا؛ فسكتنا، فقال: قم يا حسين فأتم بالمربعة، فقال: ما أخذتها و جعل يبكي، فقال له: اقرأ على حالك، ثم دعا بعض الأولاد، و قال له: امض إلى بيته، و قل لأهله:

حسين يقول لكم: ابعثوا في المربعة التي أتيتكم بها البارحة، فما كان إلا قليلا إذ جاء بها، و هو ينظر فبهت! فضربه، ثم أمر بجميع الصبيان فضربوه، و كانت فراسته قل أن تخطئ [٤٠٠].

و كان يقول للصبيان: أنت تكون ظالما، و أنت تكون فقيها، فما يتعدى أحد منهم- فيما علمت- ما توسم فيه، و كان يعزم على الجان و يستحضرهم، و كان حجابهم مشهورا بالنع، يأخذ ورقة على طول المصروع فيكتبها له، و يعلقها عليه فيبرأ من حينه، و لم يزل كذلك

حتى أفلجوا بنته، و كانت تزحف، ثم انطلق نصفها الأيمن، و بقيت كذلك حتى توفيت، و لم يرجع عن حاله معهم حتى أفلجوه هو أيضا [٤٠١].

أصبح ذات يوم قد صرع في وسط داره، و قد بطل كله، فرأيته بعد العزة و القوة يمشى في الأسواق يزحف، و قد نفر عنه من كان يعرفه، و صار من الحاجة، و القلة بحيث إنه يسأل و يطلب فلا ينظر إليه ابتلاء من الله تعالى، نسأل الله العافية، و بقي على ذلك سنين متعلا حتى توفي - رحمه الله - و ولد ولده مهدي اليوم مقيم بالسوارقية توفي في حدود عشرين و سبعمائة [٤٠٢].

و كان ممن صحبته في الله تعالى:

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٠٨

[٤٠٣] الشيخ عثمان التكروري

[٤٠٤] و الشيخ إلياس

[٤٠٥] و الشيخ صالح بن عمر الحاجاني [٤٠٦].

[٤٠٧] و الشيخ محمد التلمساني.

[١٦٠- و الشيخ إبراهيم المكناسي.]

[٤٠٨] و الشيخ أبو محمد البكري.]

و الأخوان الصالحان.

[٤٠٩] علي.]

[١٦٣- و محمد السلاويان.]

فأما الشيخ عثمان فكان من الأخيار الصالحين المشتغلين بالعلم، خرج من المدينة في أثناء السنة يريد القدس الشريف هو و جماعة معه؛ فهلكوا بالعطش في الطريق، و مات من غير عقب - رحمه الله [٤١٠].

و أما الشيخ إلياس فكان من الأخيار المعدودين، كان في سلامة القلب،

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٠٩

و حسن السيرة، و التفرد عن الخلق على قدر عظيم، قرأ على الشيخ أبي عبد الله القصري، و كان من أكابر أصحابه، و ممن انتفع به، و كان موته فجأة؛ و ذلك أنه خرج يوما إلى البقيع فزار أهله، و سلم عليهم، ثم رجع فما بات إلا معهم - رحمه الله تعالى [٤١١].

و أما الشيخ صالح فكان من إخواننا و أصحابنا القدماء، و كان ممن توسط حاله بين التصرف في أمور الدنيا و الآخرة، و كان سعيه في معيشته بتعفف و ديانة، و كان من أحسن الناس خلقا، و أراهم صحبة، كثير التلاوة لكتاب الله تعالى [٤١٢]. توفي عن عقب صالحين [٤١٣] مباركين مشتغلين بالعلم، فأما أكبرهم فحبيب إليه التغرب فاستقر بالقاهرة، و مات:

[٤١٤] عبد الرحمن. غريبا شهيدا.]

و كان قد حصل، و اشتغل، و سمع كثيرا - تغمده الله برحمته [٤١٥].

[٤١٦] و أقام بالمدينة سراج الدين عمر]

، فاشتغل بالفقه، و الحديث، و قرأ القراءات السبع على الشيخ محمد بن صالح المتقدم ذكره، و انتفع به، و لزم الخير و أهله [٤١٧]، و كانت وفاة، والدهم في طريق مكة المشرفة محرما بالحج،

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢١٠

بالمفازة التي بين بدر و رابع، و ذلك في سنة أربع و أربعين و سبعمائة.

و أما الشيخ محمد التلمساني، فكان من أهل الخير، و الصلاح، مكبا على الاشتغال بالفقه، و كان خصيصا بالشيخ العلامة أبي العباس الشاذلي - رحمه الله - و كان محبا للعلماء و خدمتهم، طالبا للسلامة و العزلة، قليل السعي في طلب الدنيا، و كان يشتغل بتجليد الكتب، و انتفع الناس به في ذلك، و خلف ولدا مباركا نجيا مشتغلا بالعلم حصل، و انتفع، و قام ببر والده بعد وفاته؛ فخلص ذمته من أشياء كانت عليه، و لم يوص بها، فأداها مع عجزه و ضعفه - نفعه الله بنيته، و أعانه على فعل الخير، و توفي - رحمه الله - في سنة أربع و خمسين و سبعمائة.

و أما الشيخ إبراهيم المكناسي فكان والده من أصحاب الشيخ أبي محمد البسكري - رحمه الله - و قد تقدم ذكر ذلك، و كان إبراهيم على طريقة حسنة، و ديانته، و عزلة، و كان حافظا لكتاب الله صيتا، حسن الصوت و الأداء، و كان من القراء في سبع ابن السلعوس، و من أحسنهم مراسلة و موافقة للجماعة [٤١٨].

و خلف أولادا قراء نجباء مشتغلين بالعلم، عاشوا بين الناس بعفتهم، و عقلهم، و صيانتهم، و أعلاهم في ذلك منزلة.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢١١

[٤١٩] الفقيه: عبد الله:]

له ورع، و ديانته، و اشتغال بالعلم [٤٢٠] توفي والدهم - رحمه الله - في سنة سبع و أربعين و سبعمائة.

و أما الشيخ أبو محمد عبد الله البسكري فكان من المشايخ الصلحاء الأخيار. مكبا على الاشتغال بالعلم و العمل، كثير العبادة، و العزلة، و كان من أعيان جماعتنا في الدرس، و كان هو قارئ الدولة في التهذيب، و اشتغل و حصل، و كتب بخطه كثيرا، و خلف ولدا مباركا.

و أما الشيخ الصالح أبو الحسن علي، و أخوه أبو عبد الله محمد السلوايان فكانا على قدم عظيم في العفة و الديانة و الانقطاع عن الناس، و كان الشيخ علي مشتغلا بالعلم، و له محفوظات في فنون من العلم [٤٢١]، و كان أخوه محمد كثير الديانة و الصلاح، و كان يشتغل بالخياطة، و يتقن بما يفتح الله تعالى عليه فيها، و كانا على قدم الشيوخ الذي ذكرناهم أولا، و لهما عقب صالح نشأوا في عبادة الله تعالى، و الاشتغال بالعلم، و التبهدل في الطريقة، و العفة، و حسن السريرة، و الانقطاع عن الناس وفقهم الله تعالى و أعانهم. و كان من إخواننا و أصهارنا:

[٤٢٢] الشيخ شهاب الدين أحمد بن بالغ المصري.]

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢١٢

كان من أكرم الناس، و أحسنهم خلقا، و أبدلهم لما في يده، و أحبهم في الاجتماع بالأصحاب و لو غرم عليهم المئين من المال، و كان يسعى في دنياه بتعفف [٤٢٣] و دين و رضى بما قدر و قسم، و كان يخدم الشريفة زينب زوجة الأمير منصور، فيذهب في وسط السنة إلى العراق؛ ليقبض حواله كانت لها، و يتسبب لنفسه، و ينتفع بما يفتح الله تعالى عليه، و يجلس مجاورا في سكون لا يتكلم إلا

بخير، ولا يسعى إلا في خير، حتى يقل ما في يده فيسافر و يسلمه الله تعالى [٤٢٤].

ولقد مررت عليه يوماً في الموسم وهو جالس في وسط الحرم، وهو ينظر في الناس؛ فقلت له: مثلك يجلس في هذا الوقت ولا يسعى في مصالحه، والموسم تغتم أيامه، فقال: والله ما لي فيه حاجة، ولا معي ما أتعب نفسي فيه، اجلس حتى تنتفج على سعي الناس فيما لا يفيدهم!

قلت له: وما ذاك؟ قال: انظر إلى بعض الناس يدخل من هذا الباب بجهد واجتهاد حتى أقول: هو في جهد عظيم، فإذا وصل إلى الباب الآخر رجع على عقبيه، ثم يذهب إلى الباب الآخر ثم يرجع، قال: فقلت له: ما خبرك؟ فقال: ما لي هناك شيء أطلبه، غير أن نفسي لا تدعني أستقر [٤٢٥].

وقلت له يوماً: يا شهاب الدين، لم لا تشتري لأولادك داراً ونخلاً، يكون لهم ستر من بعدك؟ وكانت تحتها خالتي الشريفة مباركة بنت الشيخ عبد الواحد الشريف الحسيني، فقال لي: تكون تعلم أني أتحقق أن زوجتي تتزوج تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢١٣

من بعدى، وأن ابنتي تتزوج، وأما ولدي فله الله تعالى إن كان شقيماً فلا ينفعه ما أتركه، وإن كان سعيداً فلا يضره أن لا أترك له شيئاً [٤٢٦].

ثم اشتري لهم داراً ونخلاً، فكان الأمر من بعده كما قال سواء، تزوجت المرأة، ثم تزوجت البنت بأخي علي فسعدت معه وولدت منه أولاده النجباء.
و أما، ولده:

[٤٢٧] شمس الدين محمد.

فلم ينتفع بما تركه له، بل اتفق جميعهم على بيعه، و سافر ولده إلى البلاد، و فتح الله عليه و تزوج و ولد (له الأولاد، و عاش بغير ما تركه له والده، و كان من أعقل الناس، و أحسنهم خلقاً و خلقاً، و أجملهم صحبة، و كان قارئاً حسن الصوت [٤٢٨].
و كان الشيخ شهاب الدين من الشيوخ العارفين الذين في كلامهم عظة المتعظين، و توفي شهاب الدين في سنة تسعة عشر و سبعمائة، و توفي ولده محمد في سنة إحدى و خمسين و سبعمائة - رحمهما الله تعالى.
و كان من إخواننا:

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢١٤

[٤٢٩] شمس الدين محمد بن عبد العزيز الجبرتي.

تقدم ذكر والده في صدر الكتاب، و كان شمس الدين على بر، و صدقته، و إحسان إلى الناس، و إيثار للفقراء، و كان من رؤساء المدينة و أجاويدها، ذا هممة عالية، و مروءة سنية، و كان ممن يرجع إليه في الرأي [٤٣٠].
صحب بعد والده أمراء مصر و أخصهم به نائب السلطنة؛ فأحسنوا إليه و والوه لما وجدوا فيه من الديانة، و الخدمة، و حفظ المودة، و كان يقضى حوائج الناس بما في يده و بما هو عند غيره، و يسعى في تحصيله و لو يرهن من حلي عياله؛ كراهة أن يرجع سائله خائباً [٤٣١].

و كان مشهوراً بالذكور الجميل، و ولي شهادة الحرم الشريف، و النظر على جميع ما يأتيه من الحواصل، و ما ينشأ فيه من العمارات، و النظر على الميضات [٤٣٢] التي على باب السلام التي أنشأها السلطان الملك المنصور قلاوون الصالح في سنة ست و ثمانين و ستمائة [٤٣٣].

و كان إليه المرجع فى جميع الآراء الصادرة عن شيوخ الحرم الشريف، و ملك الأملاك الحفيلة من النخيل و الدور، قل من نال من أولاد المجاورين

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢١٥
مثله [٤٣٤]، و خلف أولادا نجباء، أعقلهم و رأسهم ولده الكبير سَمى باسم جده:

[٤٣٥] عبد العزيز.

و باشر وظائف والده، و قام مقامه فى الحفاظة، و النباهة، و الكياسة، و المروءة، و سياسة الناس، و لين الجانب [٤٣٦].
توفى شمس الدين - رحمه الله - فى سنة خمس و ستين و سبعمئة.
و كان من قدماء المجاورين، و ذوى العقل، و الرأى منهم:

[٤٣٧] الشيخ أحمد السقا

. كان أول دخوله المدينة يتسبب بسقى الماء من العين، ثم أغناه الله عن ذلك فعاش بعقله بين الناس، و رأس حتى كان وزيراً للأشرف [٤٣٨] و كان أميناً حافظاً، و كان متواضعاً لا يستنكف عن عمل يعود نفعه على نفسه و عياله، و ربما خرج إلى البر فيأتى على دابة بما يحتاج إليه من حشيش و حطب و غير ذلك [٤٣٩].

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢١٦

خلف ذرية صالحة: ذكورا [٤٤٠] و إناثا.

فمن أولاده:

[٤٤١] علم الدين سليمان رأس بين إخوانه

، قارئاً خدوماً للإخوان، تولى نظارة الربط و الأوقاف من النخيل و غيرها، فلم ير أحسن منه قياماً بها من العفة و النصح، و عمّر ربطاً كثيرة كانت قد أشرفت على الخراب، و قل أن يشبهه أحد من أبناء جنسه فى حسن طريقته، أعانه الله تعالى [٤٤٢].
و كان من أولاد المدينة من نسل المجاورين المشاكير جماعةً كثرة فضلاء، أصلهم من مكة ينتسبون إلى قريش، و كان جدهم اسمه مشكور، أدركت ولده عبيداً [٤٤٣] مؤذنا بالحرم الشريف، و كان اسمه:

[٤٤٤] عبد الرحمن.

و كان له إخوة أحدهم:

[٤٤٥] حسن بن مشكور.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢١٧

و الآخر:

[٤٤٦] أحمد بن مشكور.

[٤٤٧] و على بن مشكور.

فأما عبد الرحمن فخلف:

[٤٤٨] محمدًا.

[٤٤٩] وعلينا.

و مشكورا.

و أما نور الدين علي فحاز من المناصب أجلها، و كان من فضلاء الشافعية، و ولي شهادة الحرم الشريف، و وزارة أمير المدينة، و كان كاتباً نحيراً فقيهاً فطناً فهماً، تبّيل آخر عمره، و أقبل على العبادة، و الورع حتى لقي الله تعالى، و خلف أولاداً مباركين مشغولين بالعلم، أو سطهم المسمى باسم جده عبد الرحمن - وفقهم الله تعالى [٤٥٠].

و أما محمد فقراً، و جوداً، و رأساً، و أعقب ولداً نجيباً مشغولاً بالعلم،

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢١٨

مخالطاً للرؤساء، ذا عقل، و ديانته، و حسن مدارة للخلق، و كان غالب المشاكير يتسبون بالعطارة.

توفّي عبيد بن مشكور في سنة سبعمائة، و ولده محمد في حدود تسع و عشرين و سبعمائة، و ولده علي في سنة أربع و أربعين و سبعمائة، و أخوه مشكور في سنة ثلاث و خمسين، و عمهم حسن في سنة ثلاث و أربعين، و خلف ولداً ارتحل إلى بعض قرى الشام و رأس فيها.

و أما علي بن مشكور فخلف ولده يوسف، و انتقلت ذريته إلى وادي الصفراء، و هم اليوم بها.

و كان من أولاد المدينة، و مشاهير بيوتهم الشكيليون، أصلهم أيضاً من مكة جدّهم:

[١٧٩- مسعود النجار]

أسنّ حتى اختلط، و كان قد تأثّل [٤٥١] مالا- من نخيل و دور، و كان زراعاً مبختاً في التجارة و له ذرية صالحه من الأولاد، و أولاد الأولاد و كلّهم قراء، أنجب أولاده الفقيه:

[٤٥٢] حسن.

خلف أولاداً، و أولاد أولاده كلّهم قراء، و كان قد اشتغل بالفقه و النحو، و شارك في غير ذلك.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢١٩

و كان ولده:

[٤٥٣] محمد بن حسن.

مشغولاً بالعلم مؤذناً بالحرم الشريف توفّي سنة خمسين و سبعمائة.

[٤٥٤] و بقي اليوم ولده أحمد و هو من جملة المؤذنين أيضاً

، و يتلو حسناً في الفضيلة، و يزيد عليه في أشياء أخوه.

[٤٥٥] عبد الله، رأس في زمانه، و كان صهر القاضي سراج الدين.

و كان أسن أولاده محمد بن مسعود.
ولد له:

[٤٥٦] حميدان.**[٤٥٧] و حسين.**

فأما حميدان فكان قارئاً رئيساً، و ولي الحسبة في أيام ودى في سنة سبع و ثلاثين و سبعمائة، و كان له هيبه، و همه، و حسن سياسته، و كثر ماله، و عمر المغسله من ماله، و لم يطل عمره، توفي سنة خمس و أربعين و سبعمائة [٤٥٨].
تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٢٠
و أما حسين فكان قارئاً مجوداً حسن الصوت، لم يسمع أصوت منه، و لا- أحسن قراءة، و غالب الشكيليين كانوا قراء في سبع ابن السلعوس، و كانوا يتسبون بالطارة [٤٥٩].
و كان من أولاد مسعود:

[٤٦٠] الفقيه عليان.

مشتغلاً بمذهب أبي حنيفة، و كان رجلاً ديناً، منغزلاً عن الناس، متسبباً في الطارة و غيرها، على طريقه حسنة [٤٦١].
و من إخوته:

[١٨٧- مبارك بن مسعود]

، كان زراعاً على طريقه جده، و لكل منهم عقب صالح مشغولون بأنفسهم، و سد خلتهم، متقنعون في دنياهم- رحم الله من خلفهم.
و كان بالمدينة من أهل الخير و الصلاح جماعة من البكرين ينسبون إلى سيدنا أبي بكر الصديق- رضي الله عنه [٤٦٢]. كانوا أمنة للخدام و المجاورين، لهم حكايات حسنة، و مناقب كثيرة، و كانوا يسمون بالخلفان، أبادهم الدهر و لم
تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٢١
يبق منهم اليوم في المدينة بشر، و ارتحل بعضهم إلى مصر فأقاموا بها و تناسلوا فيها، و كان بالمدينة منهم شخص يقال له:

[٤٦٣] جمال.

كانت له صورة جميلة، و أفعال جليئة، و كان الشيخ أبو عبد الله القصري إذا رآه يقول: ينبغي أن يتزوج هذا زوجتين، و ثلاث، و يعان على ذلك حتى يكون له بالمدينة ذرية بكرية، توفي- رحمه الله- و خلف بنتاً فتزوجت ثم توفيت- رحمهم الله أجمعين [٤٦٤].
و كان بالمدينة جماعة من العمرين: ينتسبون إلى سيدنا عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- كانوا جماعة كثيرة لهم شوكة، و حرمة، و كلمة نافذة، و كانوا أهل حشمة، و خيل، و عبيد، و أتباع، و لهم بالمدينة أملاك عظيمة، و كانوا أهل نصره لأهل السنة مختلفين بالمجاورين و الخدام، و كانوا حسنة زمانهم، و زينة وقتهم، و كان جمال الدين المطري بهم خصيصاً [٤٦٥] و كان شيخهم:

[٤٦٦] علي بن مطرف.

قتل شهيدا مخنوقا في المدينة المشرفة، و له قصة يطول شرحها، و ذلك في

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٢٢

سنة ثمان و عشرين و سبعمائة [٤٦٧].

و كان لنا منهم الأخ الصالح المقرئ الفقيه الحنفى:

[٤٦٨] عز الدين حسن بن يعلى العمرى رحمه الله.

كان فى الحقيقة حسنة زمانه منهم، منعطفًا على قراءة القرآن، و على صحبة الإخوان، و النصيحة لهم، و القيام بواجب الشرع، و البغض على أهل الشر و البدع- رحمه الله تعالى و غفر له- خلف ذريته صالحه كلهم قرأ القرآن، و جوده، و اشتغل بالعلم، و تبثل له، توفى- رحمه الله- فى سنة ست و سبعمائة [٤٦٩].

و كان فى المدينة جماعة من ذرية الأنصار لهم حارة يسكنونها و حدهم منهم [٤٧٠]:

[٤٧١] عبد الله الحادى

، كانت جدتى لأمى منهم، و كان الحذاء اسم علم عليهم، و إذا قيل: فلان من الحذاء علم أنه من ذرية الأنصار، و كانت تحكى عن أيامها و أهلها غرائب من سلامة الباطن و السداجة، و التعفف الذى لم يسمع مثله عن أجدادهم- رضى الله عنهم- و كانت قد أسنت، و عمّرت ممتعة

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٢٣

بسمعها، و بصرها حتى جاوزت المائة- أو قريبا منها- و الله أعلم.

أخبرتني عن أخ لها أنه دخل بيته بالمدينة فوجد حية منطوية على بيت الطهارة، فضربها و قتلها فلم يخرج من موضعه حتى سقط سقف البيت عليه فمات، و هذه القضية تشبه قضية الأنصارى التى جرت يوم الخندق فى زمن النبى صلى الله عليه و سلم. و كانت قد أدركت النار التى خرجت شرقى المدينة، و كانت تحكى لنا عنها عجائب، و كانت تحدثنا أيضا عن حريق الحرم الشريف، توفيت- رحمها الله- فى سنة تسع و ثلاثين و سبعمائة.

فأما ظهور النار فكان آية عظيمة، فيها تصديق لما فى (الصحيحين) من حديث أبى هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضىء لها أعناق الإبل ببصرى».

و قد شرح كثير من الناس أمرها، و أرخوا خبرها، و بعضهم يزيد على بعض فى وصفها، و سأذكر خلاصة ما قيل فى ذلك معتمدا على ما نقله الشيخ الإمام العلامة الحافظ المؤرخ ذو التصانيف المفيدة شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن إسماعيل- الشهير بأبى شامة- الدمشقى الشافعى- رحمه الله عليه- فى كتابه (مذيل الروضتين فى أخبار الدولتين) نقله من رسائل وصلت إلى دمشق من المدينة.

فمن ذلك كتاب القاضى:

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٢٤

[٤٧٢] شمس الدين سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الحسينى قاضى المدينة يومئذ، كتبه إلى بعض أصحابه.

قال: لما كان ليلة الأربعاء ثالث شهر جمادى الآخرة أحد شهور سنة أربع و خمسين و ستمائة حدث فى المدينة فى الثلث الأخير من الليل زلزلة عظيمة أشفقنا منها، و باتت باقى تلك الليلة تزلزل، ثم استمرت تزلزل كل يوم و ليلة مقدار عشر مرات، و ذكر بعضهم فى

كتابه أربع عشرة مرة، قال: و الله لقد زلزلت مرة، و نحن حول الحجرة الشريفة، اضطرب لها المنبر حتى إنا سمعنا منه صوتا للحديد الذى فيه [٤٧٣].

قلت: و كان المنبر على غير هذا الصفة اليوم، و اضطربت قناديل الحرم الشريف.

و زاد القاشانى: ثم فى اليوم الثالث- و هو يوم الجمعة- زلزلت الأرض زلزلة عظيمة إلى أن اضطرب منار المسجد بعضه ببعض، و سمع لسقف المسجد صرير عظيم، ثم بعد ذلك انقطعت الزلازل، و انبجست من الأرض نار عظيمة، كان ابتداءها مثل مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم تزايدت حتى صارت مثل المدينة العظيمة، و ما ظهرت لأهل المدينة إلا ليلة السبت فأشفقوا منها إشفاقا عظيما [٤٧٤].

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٢٥

قال القاضى سنان: و طلعت إلى الأمير، و كان عزّ الدين منيف بن شبيحة، و قلت له: قد أحاط بنا العذاب، ارجع إلى الله تعالى، فأعقبت كل مماليكه، وردّ على الناس مظالمهم [٤٧٥].

زاد القاشانى: و أبطل المكس.

قال سنان: ثم قلت للأمير: انزل إلى النبى صلى الله عليه و سلم؛ فهبط، و بتنا فى المسجد ليلة الجمعة و ليلة السبت، و معنا جميع أهل المدينة، حتى النساء، و الصغار، و لم يبق أحد فى النخيل، حتى جاء إلى الحرم الشريف، و بات الناس يتضرعون، و يكون، و يصلون، و أحاطوا بالحجرة الشريفة، كاشفين رءوسهم، و أقروا بذنوبهم، و ابتهلوا إلى الله- عزّ و جل- و استجاروا بنبيه صلى الله عليه و سلم، و أخلصوا إلى الله تعالى، و تاب كل من فى المدينة [٤٧٦].

ثم ظهرت النار لها ألسن تصعد فى السماء أكثر من علو ثلاث منائر، ثم ظهر لها دخان عظيم فى السماء ينعد حتى يصير كالسحاب الأبيض، و بقيت السماء كالعقّة، و الناس فى مثل ضوء القمر و ألسنة النار حمر طالعة تظهر فى الليل مثل المشاعل، و أيقن الناس بالهلاك، و بقيت على حالها تلتهب التهابا عظيما، و هى كالجبل العظيم، و كالمدينة عرضا، يخرج من وسطها مهود و جبال نيران تصعد فى السماء ثم تهوى فيها، ثم تخرج كذلك ثم تعود، و حسه كالرعد، و بقيت كذلك أياما ثم سالت سيلا نارا فى وادى أحيلين- موضع شرقى المدينة بالحرة وراء قريظة على طريق السوارقية

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٢٦

مسيرة من الصبح إلى الظهر- و تزايد ذلك السيل من النار، و سد الطريق ثم طلع إلى الحرة، و هو بحر نار يجرى، و فوقه حرة تسير إلى أن قطعت وادى الشظاءة، و سدت طريق الماء، و الحجارة مع النار تتحرك و تسير، و هى تأكل الحجارة و تذيبها، ثم صار يخرج من النار حجارة ترمى بها خلفها و أمامها حتى بنت لها جبلين خلفها و أمامها، و لذلك انسدّ طريق الماء، و لها صوت عظيم من آخر الليل إلى ضحوه النهار، ثم انحدر ذلك السيل مع وادى الشظاءة حتى حاذى جبل أحد، و كادت تقارب حرة العريض، و خاف الناس منها خوفا عظيما، و جلّت القلوب، ثم سكن قتيها الذى يلى المدينة، و طفيت مما يلى العريض بقدره الله تعالى [٤٧٧] و رجعت تسير فى الشرق، و استمر عظمها و زيادتها فى تلك الحرة، و هى ترمى بشرر كالقصر، و تأكل الأرض و الحجارة.

و ذكر جمال الدين المطرى أن عزّ الدين سنجر أخبره أن الأمير منيف بن شبيحة بعثه يكشف خبرها، فقرب منها فلم يجد لها حرّا و لا ألما، و رآها تأكل الحجر دون الشجر.

و ذكر أنه وضع فيها سهما فوقع فيها النصل، و لم يتغير العود، و أنه أدار السهم فاحترق الريش فقط، و قدّر طول ذلك الوادى من النار بأربعة فراسخ، و عرضه أربعة أميال، و عمقه قامه و نصف قامه، و هو يجرى على وجه الأرض، و تخرج منها مهاد و جبال صغار فتسير على الأرض، و هو صخر يذوب حتى يبقى مثل الآنك، فإذا جمد صار أسود، و قبل الجمود لونه أحمر،

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٢٧

و أما أمّ النَّار الكبيرة؛ فهي جبال نيران حمر، و الأمّ الكبيرة التي سالت النيران منها من عند قريظة، و كان ضوءها يرى بمكة المشرفة، و الشمس و القمر من يوم طلعت ما يطلعان إلا كاسفين.

قال العلامة أبو شامة: و ظهر عندنا بدمشق أثر ذلك الكسوف من ضعف نورها على الحيطان، و كنا حيارى من سبب ذلك!! إلى أن بلغنا الخبر عن هذه النار، و كل من ذكر هذه النار يقول في آخر كلامه: و لا أقدر أشرح وصفها على الكمال [٤٧٨]!!

و قال سنان في آخر كتابه: و ما أقدر أصف عظمها و ما فيها من الأهوال!!

قال القاشاني: و كتبت هذا الكتاب و لها شهر في مكانها لا تتقدم و لا تتأخر، و ذكر جمال الدين المطرى أنها بقيت ثلاثة أشهر. و مما قيل في هذه النار [٤٧٩].

يا كاشف الضر صفحا عن جرائمنا لقد أحاطت بنا يا رب بأساء
نشكو إليك خطوبا لا نطيق لها حملا و نحن بها حقا أحقاء
زلزل تخشع الصم الصلاب لها و كيف يقوى على الزلزال شماء؟
أقام سبعا يرج الأرض فانصدعت عن منظر منه عين الشمس عشواء
بحر من النار تجرى فوقه سفن من الهضاب لها في الأرض إرساء
كأنما فوقه الأجدال طافية موج علاه لفرط الهيج غناء
ترمي لها شررا كالقصر طائشة كأنها ديمة تنصب هطلاء

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٢٨

منها تكاثف في الجوّ الدخان إلى أن عادت الشمس منه و هي دهماء
قد أثرت سفة في البدر لفتحها فالتّم من بعد ذاك النور ليلاء
فيا لها آية من معجزات رسول الله يعقلها القوم الألباء!!

و في هذه السنة أصاب بغداد غرق عظيم، حتى دخل الماء من أسوار بغداد إلى البلد، و غرق كثير من البلد، و دخل الماء دار الخلافة، و انهدمت دار الوزير و ثلاثمائة و ثمانون دارا، و تلف من خزائن السلاح شيء كثير، و أشرف الناس على الهلاك، و عادت السفن تدخل إلى وسط البلد، و تخرق أزقة بغداد.

و في السنة الثانية أخذت التتار بغداد، و انقطعت الخلافة عن بغداد، و في ذلك يقول العلامة أبو شامة [٤٨٠].

بعد ست من المئين و خمسين لدى أربع جرى في العام
نار أرض الحجاز مع حرق المسجد مع تغريق دار السلام
ثم أخذ التتار بغداد في أول عام من بعد ذاك بعام
لم يعن أهلها، و للكفر أعوان عليهم يا ضيعه الإسلام
و انقضت دولة الخلافة منها صار مستعصم بغير اعتصام

و أما حريق المسجد الشريف فكان من أول ليلة من شهر رمضان من هذه السنة المذكورة، و كانت ليلة الجمعة، و كان ابتداء حريقه من الزاوية الغربية من الشمال، و ذلك أن بعض الفراشين دخل إلى خزانه ثم معه نار فعلقت في آلات ثم و أعجزه طفيها [٤٨١].

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٢٩

و نقل جمال الدين المطرى أنه احترق فيها [٤٨٢]، ثم اتصلت النار فى السقف بسرعة و دبت فى السقوف آخذة قبله، فأعجلت الناس على قطعها بعد أن نزل الأمير، و اجتمع معه غالب أهل المدينة، فلم يقدرؤا على قطعها، و ما كان إلا ساعة حتى احترقت سقوف المسجد جميعها، و وقع بعض أساطينه، و ذاب رصاصها، و احترق سقف الحجره الشريفه - صلى الله على ساكنها و سلم - و وقع ما وقع منه فى الحجره، و على القبور الشريفه، و كان ذلك قبل أن ينام الناس، و أصبح الناس يوم الجمعة فعزلوا موضعا للصلاه.

و كتب بذلك إلى الخليفه المستعصم بالله أبى أحمد عبد الله بن المستنصر بالله أبى جعفر المنصور، فبعث الصناع و الآلات على الموسم، و ابتدئ فى عمارته فى أول سنه خمس و خمسين و ستمائه.

فلما شرعوا فى العماره لم يجترؤا على النزول إلى القبور الشريفه المقدسه ليكنسوا ما عليها، فكاتبوا الخليفه فى ذلك فلم يرد فى ذلك جوابا؛ لاشتغاله بالتتار، و استيلائهم على أعمال بغداد فى تلك السنه، فأبقوا ذلك على حاله، و عمروا سقف الحجره و ما حولها إلى باب جبريل، و إلى القبلة و سقف الروضه الشريفه إلى المنبر.

ثم كانت وقعته التتار و دخولهم بغداد فى شهر المحرم أول سنه ست و خمسين؛ فقتل الخليفه المذكور.

ثم وصلت الآلات من مصر فعمروا بها، و كان المتولى عليها الملك

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٣٠

المنصور نور الدين على بن المعز أيبك الصالحى، و وصل أيضا من صاحب اليمن آلات و أخشاب، و هو الملك المظفر، و عمل منبرا و أرسله فى سنه ست و خمسين، و لم يزل يخطب عليه إلى سنه ست و ستين و ستمائه، فأمر الملك الظاهر بإزالته فأرسل هذا المنبر الموجود الآن، و قد تقدم ذكره مع الشيخ أبى بكر النجار الذى وضع هذا المنبر الشريف مع صناع معه.

و فى سنه ثمان و خمسين و ستمائه تولى ملك مصر و الشام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى، فكمل فى أيامه المسجد الشريف على ما كان عليه قبل الحريق - رحمه الله عليه - و كان ابتداء العماره فى سنه ثلاث و ستين، ففرغ فى أربع و ستين.

و أنشد الإمام العلامة أبو شامه [٤٨٣] لبعضهم.

لم يحترق حرم النبى لحادث يخشى عليه و لا دهاه العار
لكنما أيدى الروافض لامست ذاك الجنب فطهرته النار

و سأذكر طرفا من وقعته التتار إذ تكرر ذكرها استطرادا، و تلخيص ما وقع أن وزير المستعصم مؤيد الدين محمد بن محمد بن العلقمى الرافضى كان بينه و بين أبى بكر بن المستعصم، و الدوادار [٤٨٤] عداوه عظيمه؛ لأذيتهما لإخوانه الرافضه، و نهب محلتهما المسماة بالكرخ؛ فكاتب التتار، و حرّضهم على قصد

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٣١

بغداد؛ لأجل ما جرى على الرافضه من النهب، و الخزى، فظن المخذول أن الأمر يتم له، و أنه يقيم خليفه علويا.

فأرسل أخوه إلى هولاء، و سهّل عليه أخذ بغداد، و طلب أن يكون نائبا لهم عليها، فوعده بذلك، ثم ساروا و نزلوا على بغداد فأشار ابن العلقمى على المستعصم بالله أنى أخرج إليهم فى تقرير الصلح؛ فخرج الخبيث و توثق لنفسه و رجع.

فقال للمستعصم: إن الملك هولاء -كو قد رغب أن يزوج بنته بابنك الأمير أبى بكر، و أن تكون الطاعه له كما كان أجدادك مع الملوك السلجوقيه ثم يرتحل عنك.

فأجاب الخليفه إلى ذلك، و خرج إليه الخليفه فى أعيان الدوله، ثم استدعى الوزير العلماء و الوزراء و الرؤساء؛ ليحضرؤا العقد بزعمه؛ فخرجوا إليهم فضربت رقابهم، و صار يبعث إلى طائفه بعد طائفه، فتضرب أعناقهم حتى بقيت الرعيه بلا -راع، ثم أمر هولاء -كو

بالمستعصم، وولده أبي بكر فرفسا حتى ماتا، ثم حينئذ دخل التتار بغداد، و بذلوا السيف، و استمر القتل و السبي نيفا و ثلاثين يوما فقلّ من نجا.

و يقال: إن هولاء أمر بعد القتلى فبلغوا ألف ألف و ثمانية آلاف، و كسور، فعند ذلك نودي بالأمان.

ثم هلك ابن العلقمي في السنة المذكورة قبل شهر رجب، و خيب أمهه، و انعكست عليه آراؤه، و أكل يده ندما، فإنه بعد تلك الرتبة الرفيعة، و وزارة العراق منفردا أربع عشرة سنة، ولى وزارة التتار مشاركا لغيره، و انحطت

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٣٢

رتبته حتى كان يركب إكديشا، و كان ذا حقد و غلّ على أهل السينة، و كان المستعصم آخر الخلفاء العراقيين، و كانت دولتهم خمسمائة سنة و أربعا و عشرين سنة، و كان هذا الخليفة حلما كريما سليم الباطن قليل الرأي حسن الديانة، لكنه كان لا يخرج عن رأى ابن العلقمي [٤٨٥]، و بقي الوقت بلا خليفة ثلاث سنين.

هذه نبذة من وقعة التتار لا يسع هذا المختصر ذكر تفاصيلها، و قد خرجنا بذكر هذه الأشياء عن المقصود؛ لكن لفوائد تشوق النفوس إليها، و تتم الفائدة بالوقوف عليها، لنرجع إلى ما نحن بصدد.

فأقول: و كان للحرم الشريف أبهة عظيمة و منظر بهي كنت إذا دخلت المسجد الشريف وجدت الروضة المشرفة قد غصت بالمشايخ المعترين مثلي و مثل الشيخ أبي محمد السكري، و الشيخ عبد الواحد الجزولي، و الشيخ عز الدين الزرندي، و الشيخ أبي بكر الشيرازي، و الشيخ أبي العباس بن الشريف أحمد الخراز، و الشيخ على الواسطي، و الشيخ أبي الربيع سليمان الغماري، و الشيخ أبي عبد الله [٤٨٦] بن حريث، و الشيخ أبي عبد الله القصري، و جمال الدين المطري، و عبد الله الحمداني، و جماعة الخدام الذين تقدم ذكرهم لك، و مثل هؤلاء السادة كثير.

و كان في صحن المسجد الشريف صفوف عليها جلاله، و مهابة، و خفارة، يستحي الإنسان يمر بين أيديهم، كان في وسط الحرم صفّ للقرشيين

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٣٣

الجمالين، و الصيحانيين شيوخا حسانا بشيبات حسنة، و مبيضين ثيابهم يحيكون عمائمهم، عليهم هيبة، و سكون، و وقار. منهم جمال القرشي جدهم الكبير، و حسين القرشي، و أحمد القرشي، و أولادهم، و أولاد أولادهم مثل يعقوب بن جمال، و يوسف بن جمال، و كان يجلس إليهم جماعة حالهم مثل حالهم.

و صف آخر دونهم للبصريين، و الجزريين و صف آخر للعمرين كان شيخهم نور الدين على بن مطرف يجلس عن يمينه، و شماله أكابر العمرين، و مشايخهم ذو أبهة، و هيبة و صور جميلة.

ثم صف آخر للمشايخ من الفقراء المتسكين المجاورين في رباطاتهم، كشيوخ العجم على حدة، و شيوخ المغاربة على حدة.

ثم صف آخر للخدام المخبزين [٤٨٧] على نسق من تقدم من هيئاتهم، و صفاتهم، كأن تلك الصفوف سرج من نورهم، و جلالتهم. و كان في الرواق الشرقي جماعة من أعيان الفراشين، من أهل الخير، و الصلاح، و عظم المنزلة.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٣٤

منهم:

[٤٨٨] الشيخ على (الحجار) [٤٨٩] الفراهي.

كان من الفقراء الجياد المجردين له رواية، و سماع قديم، و سمع الناس عليه كثيرا، و له خدمة للمشايخ الكبار، و حضر وقعة عكا فأبلى فيها بلاء حسنا، و كان يحكى عنها عجا، كان فيه من الأنس، و الحكايات المعجبات، و أخبار الصالحين ما لا مزيد عليه، و كان

يحاول النجارة، و البناء، و الحجارة، و كل ما دخل فيه من الأعمال أتقنه، و أحكمه، لم أدرك في الفراشين مثله، و رزق ذريةً صالحهً محفوظين مباركين قرامهم، و أولادهم من بعدهم، و فيهم من هو مشتغل بالعلم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل مع الديانة العظيمة، و الورع، و التصوف، و كل نسايتهم، و من توالد منهم على خير، و صلاح، و سداجة نفع الله بهم، و توفي الشيخ على الحجار في سنة أربعين و سبعمائة [٤٩٠].

و منهم: الشيخ عبد الله الخصري تقدم ذكره.

[٤٩١] و منهم: أحمد الأيني كان من عقلائهم، و رؤسائهم، و جامع شملهم [٤٩٢].

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٣٥

[٤٩٣] و منهم علي بن ميمون. والد يوسف العجلي، و ولده على طريقته، و سلامة باطنه و قلّه شره [٤٩٤].

و منهم:

[٤٩٥] سعيد الهندي، كان شيخا حسنا على طريقة عظيمة في الديانة، و ملازمة الروضة [٤٩٦].

و منهم:

[٤٩٧] عمير السوارقي [٤٩٨].

، من قدماء الفراشين رغبة في التقرب بالخدمة لا أن يحصل منها دنيا له حسنات كثيرة، و أوقاف عديدة، و عتقاء، و صحبته إلى مكة في طريق المشيان، فكان محافظا على دينه، و له أولاد مباركون توفي سنه ست و ستين و سبعمائة [٤٩٩].

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٣٦

و منهم الحاج:

[٥٠٠] بردة عتيق الحريري، كان رجلا صالحا مباركا مشغولا بنفسه، لا يعرف الفضول، و لا أهله، انقرضت ذريته.

و منهم:

[٥٠١] سعيد الباجي، و ليس له ذرية.

و منهم:

[٥٠٢] عنبر الصرخدي

، كان من أتباع الشيخ عز الدين شيخ الحرم، و كان يظن أنه من عتقائه لمخالطته عياله، و ترك أولادا صغارا كفلهم الشيخ عز الدين، و أقرأهم القرآن، و كفل أولادهم من بعدهم حتى انقرضوا.

و من قدمائهم اليوم:

[٥٠٣] إقبال الحريري

، أسن و كبر و هو على طريقة حسنة من السكون، و الاشتغال بنفسه، و كان من الذين أدركتهم من أعيانهم اثنا عشر فراشا كان منهم الشيخ:

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٣٧

[٥٠٤] عمر الفراش

، و كان يقرأ القرآن، و كان من ألطف الناس بنية و حديثا، و خدمة. و ممن دخل معهم فى أواخر الوقت رغبة فى التماس بركة الخدمة.

[٢٠٣] الشيخ يوسف الصعيدى الشهير بصبي الخطيب

، كان من قدماء المجاورين، على طريقة حسنة قرأ القرآن على الشيخ عبد الحميد و غيره، و كان ملازما للسراج قاضى المدينة فعرف به، و كان نقيبا على الفقهاء، و كان يلبس القضاء جميعهم ثياب الخطباء، و صحب خلقا من الصالحين، و خدم كثيرا من الشيوخ المتقدم ذكرهم، له على خدمة، و موالة عظيمة، و فقدت دعاه و محبته، توفي سنة ست و ستين و سبعمائة، و قد ناف على الثمانين- رحمة الله عليه.

و كان ممن أدركته من السقائين بالحرم الشريف الشيخ:

[٢٠٤] محمد السقا المعروف بأبى حسين

هو جد أولاد الشيخ محمد الكازرونى لأهمهم، كان حسن الوجه طويل السبله، تصل لحيته إلى سرتة، و ربما عثر بها، حسن الصوت، و كانت له بالمدينة إقامة طويلة، و مجاورة جميلة، كان- رحمه الله- يملأ المسجد الشريف بالدوارق يصفها من باب الرحمة إلى باب النساء، و يجعل فى أعناق الدوارق مقطعا يقيدها به حتى لا تسرق، و لا تغير من مكانها، و ما علمت يأخذ على ذلك أجره حكى لى- رحمه الله- أنه ربي من شاربه سبلتين حتى طالتا، و جعلهما منعطفتين على فمه كالقرنين.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٣٨

قال: و كان مشايخ المجاورين، و العلماء منهم يقولون لى: السنة قص الشارب، فأنقص ما طال من هذين القرنين الذى شوها وجهك و غيرا جمالك، فأقول لهم: هذه سنة شيخى لا أتركها لقولكم، قال: فبينما أنا ذات ليلة نائم، إذ رأيت النبى صلى الله عليه و سلم فى المسجد الشريف، و الناس حوله، و أنا من وراء الشباك الحديد الذى فى القبلة فى دار آل عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- قال: فكلما هممت بالدخول من الشباك يدخل رأسى، فإذا بلغ إلى حد [٥٠٥] القرنين منعانى من الدخول و رأيتهما قد صارا من حديد فعجزت عن إدخالهما، فاحترق قلبى من شدة الألم على عدم وصولى إليه صلى الله عليه و سلم، ثم انتبهت، و تناولت المقص، و قصصتهما من ساعتى قبل قص الرؤيا، فلما أصبحت شكرنى الجماعة على ذلك، فقلت:

و الله ما فعلته إلا لأجل كذا، و علمت أن الخير كله فى اتباع السنة.

ثم خلفه فى سقى الماء بالحرم الشريف، و فى السقاية التى كانت فى المسجد المتقدم ذكرها، الشيخ:

[٥٠٦] حسين بن على بن رستم الشيرازى

. كان من الشيوخ القدماء على طريقة حسنة، و تسبب فى الحلال بتعفف، و صيانة [٥٠٧]، و خلف ولدين.

أحدهما: الفقيه الفاضل:

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٣٩

[٥٠٨] شمس الدين محمد بن حسين اشتغل بالطب

، و رحل إلى الشام، و خالط الصوفية و رأس فيهم، و تخلق بأخلاق أهل زمانه، و تأدب بآدابهم [٥٠٩].
و الآخر:

[٥١٠] حسن، فيه مكارم الأخلاق، و خدمه للفقراء، و موالاة حسنة أعانه الله تعالى و سده و أصلحه [٥١١].

و اعلم أنا لم نقصد إلا ذكر من اشتهر بالعلم، و العمل، أو بالمناقب الحسنة، و الطريق المستحسنة، فإن تخلل أولئك ذكر من هو أنزل منهم [٥١٢] درجة، فما [٥١٣] ذكرته إلا- استطرادا أو لمقصد ينبى على ذكره و لو تتبعت ذكر من أدركته فى المدينة من الأخيار، و ذكر مناقبهم لملئت الأوراق بما يحتمل النجيبات العتاق؛ لكن اقتصر على من حضر فى فكرى، و فى ذلك ذكرى لمن كان له قلب و الله موفق.

و كان رؤساء المدينة يألون [٥١٤] المجاورين، و يخدمونهم، و يتقربون إلى خواطهم بقضاء الحوائج، و الهدايا، و الطرف مع حسن الاعتقاد فيهم، و التماس بركتهم، و أدعيتهم منهم:

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٤٠

[٥١٥] نور الدين على بن الصفي [٥١٦]

. كان من رؤساء (أهل [٥١٧] المدينة، و خيارهم، و كان يوالى المجاورين، و يخدمهم فى قضاء حوائجهم، مع جلاله قدره، و علو كلمته، و محبة الأمراء له [٥١٨]، و قد تقدم أن الشيخ العالم العلامة أبا محمد عبد الله بن حجاج الشهير بمكشوف الرأس لما توفى أسند وصيته إليه لما كان بينهما من المودة، و فى هذا دليل على ما ذكرناه و له فى هذا الباب مناقب كثيرة [٥١٩].
و منهم:

[٥٢٠] نور الدين على بن يحيى.

صاحب الرباط المشهور، و السقاية (التي على باب السلام، و له أوقاف من النخيل على الرباط، و السقاية [٥٢١]، و كان يتجيب إلى المجاورين [٥٢٢]،

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٤١

و الخدام، و يخدمهم، و يقضى حوائجهم.

حكى لى الشيخ جمال الدين المطرى رحمه الله، أن الشرفاء فى سنة فتنة اقتسموا المدينة فى زعمهم لينهبوها، و كانت المدينة محشوة بالأشراف منهم الملاعبة [٥٢٣] فى حارة الخدام ساكنين معهم مخالطين لهم، و كذلك الندور [٥٢٤] فى حوش الحسن، و ما حوله، و الواحدة فى السويقة، و ما حولها، و المنايفة عند المدرسة الشهابية، و آل منصور فى البلاط، فأرجفوا بالناس، و أشاعوا أنهم يغلقون أبواب الحرم بعد صلاة الصبح على الناس، و يعقبونهم على بيوتهم فينهبوها، و أنهم يقتلون من فى الحرم من الناس، و كان لذلك أسباب، و ترتيبات من أهل الشر، فاستعد المجاورون، و الخدام لذلك، و استصحبوا أسلحتهم عند خروجهم، و عند دخولهم [٥٢٥].

فقام نور الدين على بن يحيى فى بعض الأيام بعد صلاة الصبح، و صاح بأعلى صوته، أيها الناس، الفتنة خادمة، لعن الله مشيرها، و كرر

ذلك مرارا [٥٢٦].

فقام الناس إليه، و كثر الكلام و اللغظ، و لم يزل ابن يحيى يسكن ما عند الناس، و ساعده أشياخ مثله فى حلمه و عقله.

قال الشيخ جمال الدين: فسكنت الفتنة، و تركوا حمل الأسلحة، و لم تزل

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٤٢

كلمة المجاورين، و الخدام واحدة يهّم كبيرهم ما يهّم صغيرهم، و يقومون لقيام أضعفهم، و هم اليوم فى خلف نرجو من الله صلاحه، تستعين إحدى الطائفتين على الأخرى بغير جنسهم ليهينوهم، و يذلّوهم فإنّا لله و إنا إليه راجعون، أعاذنا الله من شرور أنفسنا، و من الشيطان الرجيم.

و كان على بن يحيى وزيراً للأمير منصور لا يخرج عن رأيه، ربما كان يستخلفه على المدينة فى بعض الأحيان؛ لوثوقه بعقله، و حسن رأيه، و سياسته للأمر، توفى - رحمه الله - فى سنة سبع و عشرين و سبعمائة.

ثم ولى الوزارة يوسف بن مقدم، و كان من بيتها و أهلها، إلا أن شدد، و أخذ الناس بالهيبه، و القوة حتى استغاث الناس منه، فعزل، و بعده أقام ابن يحيى من السوقه الذين ليس لهم قدم فى الرئاسة حسنة، فصارت سيئة، فوليا ابن النجار، و على يديهما انتشر، و سبب محاولتها خرج أهلها من المدينة، و تمكن منها عدوهم.

و كان مثل ابن يحيى المتقدم فى العقل، و السياسة، و الرئاسة:

[٢١٠- نجم الدين يوسف الرومى]

، و كان وزيراً للأمير طفيل، - رحمه الله - توفى سنة خمس و ثلاثين و سبعمائة، و هو الذى أنشأ الدرجة الموجودة اليوم لبئر أريس بقاء، عمرها فى سنة أربع عشرة و سبعمائة.

و كان الجماعة الخرازون قد ابتدوا فى عمارتها، فسألهم أن يتركوا ذلك له؛ ليفوز بحسنتها، و كان الحامل لهم على ذلك أنهم كانوا إذا جاءوا إلى مسجد بقاء لا يجدون ما يتوضئون به إلا من الحديقة الجعفرية، فكانوا يتخرجون من دخولها لما سمعوا أنها مغصوبة من ملاكها.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٤٣

و كان هؤلاء الجماعة رحمهم الله قد خرجوا لعمارة بئر بذى الحليفة، كانتا مردومتين، غير البئر اللتين عند المسجد اليوم، و خرج معهم جماعة كثيرة من الخدام، و المجاورين، و تبعهم من الناس خلق كثير، فكانوا يتيفون على المائة و أقام الناس على حفرها و بنائها نحو من شهر و فى كل يوم يأتيهم من المدينة ما يكفيهم من الطعام، و كان أكثر ذلك من عند الخدام.

و كان الشيوخ يحفرون بأنفسهم حتى إن الشيخ محمد الخراز وقع عليه، و هو فى البئر حفر فشح وجهه و رأسه، و أيقنوا بوفاته فنزلوا به على أعواد كالميت، و تركوه فى بيته، و لم يقطعهم ذلك عن عملهم [٥٢٧]، و ما ظن أحد أنه يعيش منها، فسلمه الله تعالى؛ لحسن [٥٢٨] نيته.

و عاش إلى أن توفى فى سنة إحدى و أربعين و سبعمائة، و انتفع الحاج بهاتين البئرين نفعا عظيما، و اليوم أكثر العرب يستقون منها، و كانوا يفعلون فى المساجد الدامرة، و الأوقاف الخبرة كذلك.

و اليوم نحن فى حال غير ذلك الحال، كان الخدام ذلك الزمان يشاربون على فعل المعروف، و يزدحمون على مواساة الفقير، و يرحمون الشيخ الكبير، و يقلون عثره الصغير، و يسترون عورات الناس.

و كان كبار الخدام يجلسون مع شيخهم [٥٢٩] بعد صلاة العصر على الدكة

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٤٤

التي بين باب جبريل، و باب النساء، فلا يمر صغير إلا أغاثوه، و رحموه، و لا يمر بائع حطب أو حشيش قد كسدت بضاعته، إلا شروها بأوفى ثمن؛ ليفرجوا عنه من غير حاجة منهم إليه، و لا يمر بهم صغير من أولاد المجاورين إلا فرحوا به، و قبلوه و لطفوا به، يشركون فقراءهم في معلومهم.

إذا غضب أمير المدينة على أحد من المجاورين طلع أكابرهم إلى القلعة، و دخلوا على الأمير، و خلصوه، و ربما طيبوا نفس الأمير بشيء من مالهم.

و كذلك إن وقع أحد في غرامة، أو جناية، أو دين ثقيل أغاثوه، و ساعدوه، و لم يزل المجاورون يعرفون لهم حقهم، و يصبرون على جفوتهم، و على عزتهم عليهم، و على ما عساه يصدر منهم؛ لأجل ما يصدر منهم من الإحسان، و اللطف، و الحمية، و نرجو من الله أن يعيد تلك المؤاخاة، و يلم شعث المصافاة.

فإن قلت: أين أولئك الناس الذين هم الناس؟ قلت: نرجو أن يعود ذلك قريباً؛ لأن الجامع باق لا يبسد، و لا يفنى، و هو السنية المحمدية، و الشريعة السنية العلية، فتجمعنا - إن شاء الله - السنية، التي تخلصنا من أهل البدعة، فنكون - إن شاء الله تعالى - إخوة متناصرين، و على الخير متعاونين، لا يأتينا الشيطان من طريق، و لا باب، و لا يكلمنا عدو بظفر، و لا ناب.

أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (المجادلة: ٢٢) [٥٣٠]

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره؛ ص ٢٤٤

اتفق في بعض السنين تضيق على القاضى سراج الدين من الأمير، و طلب منه عشرة آلاف درهم، فتنكّد من ذلك، و جاء إلى الخدام، و شكوا إليهم فأدخلوه الحجر، و منعوا أحدا يصل إليه، ثم إنه خدع فخرج فطلبه

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٤٥

الأمير إلى القلعة، و منعه من النزول للصلاة ثم خلوا سبيله، و احتالوا عليه حتى أخذوا منه ما طلبوا.

فعز ذلك على الخدام، و أشاعوا القضية، فوصل الخبر إلى السلطان، فاحتاط على خبز الأمير، و عزل عنه غلمان، و نوابه، فاعتذروا بأن الأمير ما أخذها إلا قرضاً، و دفعوا المال لوكيل القاضى، و جاءته الدراهم محمولة إلى المدينة، و كم أعدد من محاسنهم، و أذكر من مآثرهم، و كلما ذكرت القوم و صفاتهم ازدادت الحرقة، و ثارت اللوعة؛ لفقدهم تغمدهم الله برحمته، و أسكنهم فسيح جنته:

صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا مستبدلين عن الأوطان أوطانا

أخلوا مدائن كان العز مفرشهاوا استفرشوا حفرا غربا، و قيعانا

و كان على طريقة الوزيرين المتقدمين في العقل، و الرئاسة، و جمع الكلمة، و تسديد الأمور:

[٥٣١] عز الدين حسن بن علي بن سنجر المسكى.

كان وزيراً للأمير طفيل [٥٣٢] رحمه الله، و كان عاقلاً حليماً سايساً للأمور، لم ينخرم نظام دولة الأمير طفيل إلا بعد وفاته [٥٣٣].

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٤٦

و سأذكر من قضاياه الحسنه قضية واحدة تدل على غيرها، و هي: أن الأمير طفيل كان في سنه ست و أربعين قد نفذ ما في خزانته من التمر، فوفد عليه جماعة من العرب يطلبون الكيل من عنده، و كان التمر في المارستان فاضلاً عما يحتاجه الفقراء، فأخبره بعض الناس بذلك، و زين له طلب ذلك التمر من القاضى و الشيخ على سبيل القرض إلى أيام الصيف، و كان القاضى يومئذ تقى الدين الهورينى، فأرسل إليهما الأمير طفيل في ذلك، و طلب منهما نحو خمسمائة صاع فلم يمنعا، و ألانا القول لرسوله، فطمع الأمير طفيل

فى قضاء حاجاته، و أخبر وزيره المذكور بذلك، فنزل من عنده، و اجتمع بالقاضى نور الدين الزرندى، و قال له: قد علمت أن الأمراء كالأسود، إذا لاحت لهم فريسة و ثبوا عليها من غير نظر فى العواقب، و قد بلغنى ما أجاب به القاضى رسول الأمير فى قضية كذا، و لم يرضنى ذلك، فأنا أسألك [٥٣٤] من إحسانك أن تجتمع بالقاضى، و تأمره بالتصميم على المنع فى هذه القضية [٥٣٥].

فقال له القاضى نور الدين: هذا يدل على كمال عقلك، و حسن نظرك؛ و لكن ينبغى أن تخبرنى بوجه المفسدة التى تخشاها [٥٣٦]. فقال له: اعلم أن الأعداء كثير، و الضد قائم، و أخذ تمر المارستان فيه شناعة، و ربما أشاع الأعداء عند السلطنة أن الأمير طفيل أخذ تمر المارستان قهرا، فيترتب على ذلك ما لا يخفى عليك.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٤٧

فشكره القاضى نور الدين الزرندى على ذلك، و اجتمع بالقاضى، و أخبره بذلك فسّر القاضى بذلك، فلما جاءه رسول الأمير يستنجز وعده قال له: لا- سبيل إلى ذلك، و أغلظ له فى القول، فأخبر الأمير وزيره بذلك، فقال له: لا تتكلم فى ذلك، و خوفه من العواقب، فرجع الأمير إلى قوله، و سكت عن القضية.

فانظر إلى عقل هذا الوزير، و حسن تدبيره، و سياسته. توفى- رحمه الله- فى سنة ثمان و أربعين و سبعمائة. و كان من أعظم الناس موالاة للمجاورين، و اختلاطا بهم القاضى:

[٥٣٧] نجم الدين مهنا بن سنان.

كان هو القاضى فى الحقيقة من بين سائر قرابته، و به يناط الحلّ و العقد، و إليه ترجع محاكمات السلطنة [٥٣٨] و أنكحتهم و عقودهم، و غير ذلك.

و كان مع هذا يتحجب إلى المجاروين و يمدحهم بالفضائل الحسنه، و يستقضيهم الحوائج، و يحضر مواعيدهم و مجالس الحديث، و لا يصلى قط إلا فى الروضة المشرفة، و كان يستعمل التقيّة كثيرا.

و كان إذا نسخ كتابا و مرّ به ذكر أبى بكر و عمر- رضى الله عنهما- يترضى

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٤٨

عليهم الخط تقيّة، و كان يحط على أصحابه من الفقهاء الإمامية، و يتبرأ منهم، و له فيهم هجو ظريف فمن ذلك قوله [٥٣٩]:

أرى الدنيا تميل عن الكرام و ترغب فى مصاحبة اللئام

فيزداد اللئيم بذاك لؤماو يصبح ساحبا ذيل احتشام

و ينسب نفسه للعلم حمقاو عند الله فهو من الطغام

و يفتى المسلمين بغير علم و يخبط خبط عشوا فى الظلام

فكم أفتى بتحريم لحلّ و كم أفتى بتحليل الحرام

فمن حفظ الزيارة فهو مفت يدرس فى الفروع و فى الكلام

كذاك من اشترى كرا و صلى عليه فإنه رأس السنام

تشدّ إليه أكوار المطاياو يقصد فى المهمات العظام

و لو قد جاءه شخص كبير و باحثه لكان من العوام

و ما صلى و صام و قام إلا ليحفظ ما حواه من الحطام

و لو تلف الذى هو فى يديه إذا ترك الصلاة مع الصيام

فقد ترك الزكاة لأن فيها خروج المال و هو إليه ظامى

و أما الخمس فهو به بخيل و يبخل بالبشاشه و الكلام
 ألم تسمع كلام الله حقاً و قول الله أحسن فى النظام
 بأنا لا نمهلهم لخير و لكن كى يزيدوا فى الإثم
 فمهلا سوف ترتجع الليالى عطاياها و يجذب بالخطام [٥٤٠]
 و تطلب أن يقال و لات حين و قد خلص المخف من الرّحام

و كان لديه فضيلة و عريية و آداب، و حسن محاضرة، توفى سنة أربع
 تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٤٩
 و خمسين و سبعمائة.

و كان مثله خلائق متصفون بهذه الأخلاق و لم أعدّه منهم و أذكره فقد كادوا يكونون على الفكر لبدأ، و فى قصص من ذكرنا للأبناء
 رشداء، و إنما أردت أن يقف ذو العقل الوافر و النظر السديد الباهر على شىء من حال المتعاصرين من قبل وقتنا فىرى ما بين العصرين
 و أهلها، سامح الله الجميع بفضله و كرمه.
 تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٥٠

فصل فى ذكر قضاتنا و أئمتنا

إشارة

و كان أولى أن يكونوا أحق بالتقديم فى الذكر، غير أن قصدى من معظم من ذكرته، تنبيه من قدمته، و إنما ذكرت من سواهم تبركا
 بهم، و حصاً لغيرهم على اقتفاء آثارهم؛ فالضدّ يظهر حسنه بالضدّ، و لم أجر فيما ذكرته على منوال، و لا رتبته على مثال، بل من سبق
 إلى الفكرة ذكره قدمته، و من أخره الفكر لم يسرع به الذكر.
 فأول من أدركته من قضاتنا و أئمتنا الشيخ الإمام العلامة:

[٥٤١] سراج الدين عمر

، بن أحمد بن الخضر [٥٤٢] بن ظافر بن طراد بن أبى الفتوح الأنصارى الخزرجى، كان رحمه الله فقيهاً مجيداً أصولياً نحوياً متفنناً فى
 علوم جمّة، حدّث عن الرشيد العطار، و أجاز له الشرف المرسى [٥٤٣] المنذرى و تفقه بعز الدين بن عبد السلام قليلاً، ثم بالسديد
 التّرمتى، و النّصير بن

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٥١

الطّباخ و أئمة وقته [٥٤٤].

قدم المدينة سنة اثنتين و ثمانين و ستمائة متولياً للخطابة، و كانت الخطابة بأيدى آل سنان بن عبد الوهاب بن نائلة الشريف الحسينى،
 و كان الحكم أيضاً راجعاً إليهم، و لم يكن لأهل السنة خطيب و لا إمام و لا حاكم منهم، و الظاهر أن ذلك منذ استولى العبيديون
 على مصر و الحجاز، فإن الخطبة فى المدينة كانت باسمهم [٥٤٥].

فلما كان فى سنة اثنتين و ستين و ستمائة، وقع فى مصر قحط و وباء لم يسمع فى الدهور بمثله، و كاد الخراب يستولى على وادى
 مصر، حتى ذكر أن المرأة خرجت و بيدها مدّ جوهر فقالت: من يأخذه بمدّ برّ [٥٤٦]؟ فلم يلتفت إليها أحد، فألقته، و قالت: لا أريد

شيئا لا ينفعى وقت الحاجة، فلم يلتفت (أحد إليه [٥٤٧])، و اشتغل العبيديون بما أصابهم من ذلك، فحينئذ تغلب الخلفاء العباسيون على الحجاز، و أقيمت الخطبة لهم من ذلك العهد إلى يومنا، و الله أعلم [٥٤٨].

و كان أخذ الخطابة من آل سنان في سنة اثنتين و ثمانين و ستمائة، و استمروا

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٥٢

حكاما على حالهم، و كان لأهل السنة إمام يصلى بهم الصلوات فقط، و كان السلطان يومئذ الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى، فأول خطيب خطب لأهل السنة القاضي سراج الدين، و كان السلطان بعد ذلك يبعث مع الحاج شخصا يقيم لأهل السنة الخطابة و الإمامة إلى نصف السنة، ثم يأتى غيره مع الرجبية إلى ينبع، ثم إلى المدينة، و كل من جاء لا يقدر على الإقامة نصف سنة إلا بكلفه و مشقة؛ لتسلط الإمامية من الأشراف و غيرهم عليه [٥٤٩].

فأول من خطب السراج كما تقدم، ثم من بعده شخص يقال له: شمس الدين الحلبي.

ثم من بعده:

[٢١٤- شرف الدين السنجاري] [٥٥٠].

ثم استقر سراج الدين المذكور خطيبا فخطب بالمدينة أربعين سنة، ثم سافر إلى مصر يتداوى فأدركه الموت بالسويس متوجها إلى مصر، و ذلك في سنة ست و عشرين و سبعمائة [٥٥١].

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٥٣

و أما الأئمة من أهل السنة فلم يزلوا بالمدينة قبل هذا التاريخ، و أدركت ذرية المجد [٥٥٢] إمام الحرم كان معظما عند الشرفاء و محببا إليهم، و قد ملك أملاكا أصلها [٥٥٣] من تملك الشرفاء له: كأثارب و غيرها، و بلغنى أن عبد المنعم كان وزيرا، و كان مدرسا فى المدرسة الشهابية، و كان يجلس للتدريس و السيف معروض بين يديه، و كان مدرس المالكية يومئذ الشيخ أبا إسحاق له كتب فى المدرسة بخطه أوقفها، و كان منهم رجل صالح عالم مصنف و هو صاحب الضوابط الكلية فى علم العربية.

و كان منهم النظام له ذرية و كان لهم بالمدينة أملاك، و ذكر أنهم أقاموا فى منصبهم مستضعفين يجنيه الشرفاء و يؤذونهم، فارتحلوا بأولادهم و تركوا أملاكهم.

و كنت أسمع من كبار أهل المدينة أن الشرفاء بعثوا إليهم و آمنوهم [٥٥٤] على أن يرجعوا إلى المدينة، فلم يفعلوا حتى أخذت أملاكهم و تملك.

و بالمدينة موضع يسمى: النظامية منسوب إليهم، و كذلك [٥٥٥] موضع يقال له: (الإمامية) منسوب إلى إمام المسجد الشريف.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٥٤

فلما قرّر القاضي سراج الدين بالمدينة خطيبا فقط عملوا [٥٥٦] معه من القبائح و الأذى ما لم يصبر عليه غيره فصبر و احتسب، و أدركت من أذاهم له أنهم كانوا يرمونه بالحصاء و هو يخطب على المنبر.

فلما كثر ذلك منهم تقدم الخدام و جلسوا بين يديه، فكان هذا هو السبب فى إقامة صف الخدام يوم الجمعة قبالة الخطيب، و خلفهم غلمانهم و عبيدهم؛ خدمة و حماية للقضاء، و تكثيرا للقلّة و نصرا للشريعة.

فانظر كيف كان اتحادهم و اجتماع قلوبهم رحمهم الله تعالى.

و كان يصبح باب بيته مغلوقا (عليه [٥٥٧])، و فى بعض الأحيان يلطخونه بالنجاسة و يتبعونه بكل أذى و هو صابر، و ربما عذروهم لاحتراقهم على خروج المنصب من أيديهم بعد توارثهم له، فقد كان سنان قاضى المدينة خطيبها، و كذلك ولده عبد الوهاب فيما

يغلب على ظنى.

حكى لى الشريف سلطان بن نجاد [٥٥٨] أحد شيوخ الشرفاء الوحادة قال:

أدركت القاضى شمس الدين سنان يخطب على المنبر و يذكر الصحابة و يترضى عنهم، ثم يذهب إلى بيته فيكفر عن ذلك بكبش يذبحه و يتصدق به، يفعل ذلك (فى [٥٥٩] كل جمعة عقب الصلاة.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٥٥

و مما حكاه ابن جبير فى (رحلته) و عده من غرائب التى رآها فى رحلته، أنه قدم المدينة زائرا مع الحاج، فحضر صلاة الجمعة و هم بالمدينة.

قال: فطلع الخطيب و كان من الشرفاء الإمامية فخطب، ثم جلس فى أثناء الخطبة، و تقدم من عنده من غلمان يطوفون على الناس و يأخذون منهم شيئا للخطيب فجمعوا له شيئا، ثم جاءوا به إليه فرده، و قال: لا يكفينى، فعادوا على الناس الرجال منهم و النساء فزادوهم فلم يقبل، و الناس فى ضيق من تأخير جمعتهم، قال: ثم لم يزل كذلك حتى قرب وقت العصر فنزل و صلى.

ثم إن السراج تزوج بنت القيشانى و كان رئيس الإمامية و فقيها، حتى قيل: إن المدينة لم يكن بها من يعرف مذهب الإمامية حتى جاءها القيشانيون من العراق، و ذلك أنهم كانوا أهل مال عظيم، فصاروا يؤلفون ضعفة الناس بالمال، و يعلمونهم قواعد مذاهبهم، و لم يزالوا على ذلك حتى ظهر مذهبهم و كثر المشتغلون به، و عضده الأشراف فى ذلك الزمان، و لم يكن لهم ضد، و لا فى مصر، و لا فى الشام من يلتفت إليهم؛ لأن الملك العادل نور الدين الشهيد كان حاكما على البلدين، لكن همه الجهاد و لا يستقر له قرار. ثم ولى بعده الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، فسار على طريقة الملك العادل، و زاد عليه و كان صاحب المدينة:

[٥٦٠] أبو فليته: قاسم بن المهنا.

يحضر معه الفتوحات، و يلازمه فى الغزوات، فلم يكن أحد يجسر على

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٥٦

الكلام فى الإمامية فى ذلك الزمان [٥٦١].

و لما صاهرهم السراج انكف عنه الأذى قليلا، و صار يخطب و يصلى من غير حكم و لا أمر و لا نهى.

و كان إذا عقد فى البلد عقد نكاح بغير إذن؛

[٥٦٢] على بن سنان

و أمره طلب الفاعلين لذلك، و عززهم و سلط عليهم الشرفاء، و كان المجاورون و أهل السنة إذا أرادوا عقد نكاح، أو فصل حكومة على مذهبهم يأتون والدى ليعقد لهم، أو يصلح بينهم، فيقول لهم: لا أفعل حتى يأتينى كتاب ابن سنان فيذهبوا إلى على بن سنان فيعطونه ما جرت به عادته، فيكتب لهم إلى والدى ما صورته: يا أبا عبد الله اعقد نكاح فلان على فلان، أو أصلح بين فلان و فلان [٥٦٣].

و لم يزل الأمر على ذلك حتى كانت أيام شيخ الخدام الحريرى و قد تقدم ذكرها و تاريخها، فكثر المجاورون و سألوا الملك الناصر محمد بن قلاوون أن يكون لأهل السنة حاكم يحكم بينهم، و يحملهم على مذهبهم، فجاء تقليد بذلك للقاضى سراج الدين و جاءته على ذلك خلعة و ألف درهم، و كان فيه معرفة و مداراة، فقال: أنا لا أتولى حتى يحضر الأمير منصور بن جمار، فأحضره، فقال له السراج: قد جاءنى من السلطان مرسوم بكذا، و أنا لا أقبل

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٥٧

حتى تكون أنت المولى لى، فإنك إن لم تكن معى لم يتم أمرى، و لا- ينفذ حكمى، فقال له: قد رضيت، و أذنت فاحكم و لا تغتير

شيئا من أحكامنا ولا حكامنا.

فاستمر الحال على ذلك يحكم بين المجاورين و أهل السينة، و آل سنان يحكمون في بلادهم على جماعتهم و على من دعى إليهم من أهل السينة، فلا يقدر أحد على الكلام في ذلك و التقدم في الأمور لهم، و أمر الحبس راجع إليهم، و الأعوان تختص بهم، و الإسجلات تثبت عليهم، و السراج يستعين بأعوانهم و بحبسهم.

استمر ذلك الحال مدة السراج حتى مات، و كان السراج رحمه الله يواسي الضعفاء و يتفقد الأراامل و الأيتام ببره و زكاته، و يقصدهم في بيوتهم بنفسه، و كان لا يرد من سأله قرضاً، بل يأخذ منه و يعطيه ما أراد، و كان قبل ولايته الحكم طوعاً للناس الذين عاصروه من أهل الصلاح، يصلى كما يشتهون من تطويل و تقصير، و تكميل السورة في الركعة و ملازمة الطيلسان و مسح جميع رأسه.

و كان إذا جلس للدرس ينتظر كبار أصحابه، و كان مراراً يبعث إلى والدي و هو في بيته بأن الجماعة ينتظرونك، فيتوضأ و يصلى الضحى، ثم يخرج إليه فيجده جالساً مع الجماعة لم يشرع في الدرس.

فلما ولي الحكم تنكرت عليهم أخلاقه، و صار يرمى عليهم كلمات يغيظهم بها و إن لم يكن تحتها طائل، فنفرت نفوسهم منه، و تفرقوا عنه.

كان يحضر درسه جمال الدين المطرى و والدي و جماعة المالكية و غيرهم، و الشيخ أبو عبد الله النحوى و كان من الأئمة الكبار، يقال: إنه كان يتقن اثني

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٥٨

عشر علماً، و كان منهم الشيخ عز الدين الزرندي، و كان منهم الشيخ الأديب أبو البركات، فما من هؤلاء أحد إلا نفر عنه، و فارق درسه لما يسمع منه.

فجلس يوماً في درسه فلم ير من الجماعة أحد إلا من لا نوبه له، فقال: أين أصحاب اليمين؟ أين أصحاب الشمال؟ أصحابنا ضد الأنصار يكثرون عند الطمع، و يقلون عند الفزع.

و قال له بعض الطلبة: قال الشيخ أبو إسحاق، في هذه المسألة كذا، فقال:

قلقل الله أنيابه، فقيل له في ذلك، فقال: تقلقت منذ زمان، و إذا قيل له قال النووي قال: ذلك يملك النوى [٥٦٤]. و يقول للمالكية: أنتم تقولون: الكلب حيوان ذو صوف، فلحمه لحم خروف، فيتأذون من ذلك.

و كان يحضر درسه أيضاً الفقيه الفاضل:

[٥٦٥] أبو العباس أحمد الفاسي.

فجلس يوماً قريباً منه، و كان يتجاهل، فقال: من هذا؟ فقال: أنا أحمد الفاسي، فقال له: من فسا يفسوفسوا فهو فاس.

و لقيه الشيخ أبو البركات بعد أن ترك درسه، و خرج من المدرسة، و سكن رباط دكالة، فقال له السراج: من هذا؟ و كان يظهر التعامى و قلة السمع، و ما

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٥٩

هما به، فقال: أنا أبو البركات، فقال: بل أبو الهلكات، فقال له أبو البركات:

طائر كرم معكم و افترقا، و لقيه يوماً في الطريق، فقال له: أنت أبو البركات؟

فقال: نعم، فقال: أو حشتنا أو حشنا أنسك. فقال له أبو البركات:

إذا ترحلت عن قوم و قد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون هم

فقال له السراج: فالراجلون أنت، وافترقا و كان فيه صبر عظيم، و احتمال كثير.

و كان فى أيامه رجل إمامى من حلب، و كان يسكن فى دار تميم الدراى له ثروة و رئاسة، فكان يجلس السراج على طريقه عند باب الرحمة، فإذا دنا منه يقول له: ناصية كاذبة خاطئة (العلق: ١٦، هكذا أبدا و هو لا يجاوبه، و لا يعيد الكلام له. حتى انتقم الله له منه؛ و ذلك أنه كانت له جارية كأنه نغم عليها شيئا فعقابها حتى قتلها، فبلغ ذلك الأمير منصور فمسكه، و دخل بيته و أخذ منه ألف دينار، و تقدم ذكر وفاة السراج، و كان مولده فى سنة خمس أو ست و ثلاثين و ستمائة رحمة الله عليه.

ثم ولى منصب الحكم بعده الشيخ الإمام العالم الفاضل:

[٥٦٦] علم الدين يعقوب بن جمال القرشى المتقدم ذكره.

و كان الفقيه علم الدين نائبا للقاضى سراج الدين فى الأحكام، فلما توفى السراج سعى له بعض أصحابه فى الاستقلال بالمنصب، و وجدوا من رضى بمنصب الخطابة و الإمامة، فأجيب إلى ذلك و ولى القضاء.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٦٠

و ولى الخطابة و الإمامة الأخ فى الله:

[٥٦٧] بهاء الدين سلامة المصرى.

كان فاضلا أديبا من صدور الكتاب الزوساء المعتمد عليهم، و كان يفك الخط المعمى بسرعة حسب ما يقف عليه يكتبه تحته نثرا كان أو نظما.

و كان له خط حسن قليل المثل، و ربما كان يكتب المصاحف و يهديها لأصحابه من الأمراء فيبعثون بالألف درهم، و ما قاربها على كل مصحف.

ثم تخلف عن صنعة الكتابة للسلطان، فأبقى السلطان عليه معلومه و زاده معلوما آخر فى دمشق، و أقام بالمدينة سنتين، ثم عزل نفسه و استقال؛ لأنه لم ير نفسه أهلا- لما شرطه الواقف من معرفة القراءات و معرفة الفرائض، فخاف على دينه، و آثر رضى ربه، فأرسل يستقيل [٥٦٨].

فلما عزل ولى القاضى شرف الدين الأميوطى الوظيفتين جميعا، و عزل القاضى علم الدين [٥٦٩].

و كان الفقيه يعقوب رحمه الله حاكما عادلا فقيها فاضلا و رئيسا، و كان مقدما عند القاضى سراج الدين يحبه و يعظمه و يشاوره.

قال لى رحمه الله: و الله ما فرحت بهذا المنصب، و إنى لأرجو أن يقينى الله

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٦١

تعالى منه، و ذكر لى أنه رأى فى المنام كأنه على سطح قباء، و أنه على طرف الحائط قد تدلى و لم يبق إلا أن يسقط فيهلك، و هو من الخوف فى أعظم ما يكون حتى نجاه الله تعالى، فكان ذلك تسلياً له عند العزل.

و كان قد جرى فى أحكامه على السداد و خصوصا على الخدام، و منعهم من الشمع و الدراهم، و غير ذلك مما يجمعونه فى صندوق النذر فى أيام الموسم، و قال لهم: هذا يجرى فى مصالح الحرم لا يجوز لكم قسمه بينكم، فتضيقوا من ذلك و عزّ عليهم فغلبهم عليه، و لم يصرف لهم منه شيئا رحمه [٥٧٠] الله.

توفى رحمه الله فى سنة خمس و أربعين و سبعمائة، و مولده فى سنة ثمان و ثمانين و ستمائة.

ثم ولى الخطابة و الإمامة الشيخ الإمام العلامة زين الفقهاء صدر المدرسين:

[[٥٧١]] شرف الدين أبو الفتح محمد بن القاضي

عز الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ كمال الدين أبي العباس أحمد بن العلامة شيخ الشافعية إبراهيم ابن يحيى بن أبي المجد اللخمي الشافعي المصري، والمعروف بابن الأميوطي تغمدته الله برحمته، كان شرف الدين فقيها فروعيا، حافظا للمذهب، قل أن رأيت مثله في حفظه و غزارة علمه، و أما كلامه على الحديث و استنباطه لعلومه و ما يستلوح من فوائده فالعجب العجاب.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٦٢

قال لي أخي عليّ رحمه الله: قطعت هذه البلاد شرقا و غربا لم أر أحدا يتكلم على الحديث مثله، كان كريما جوادا، حسن المحاضرة، لين العريكة حتى ينحرف فكأنه غير الذي تعرف، و لما قدم المدينة عرض على القاضي يعقوب بن جمال النيابة عنه في الأحكام فامتنع، فنزل له عن تدریس المدرسه الشهاية قبلها، و استمر مدرسا للشافعية محببا إلى الناس.

و كان في القاضي شرف الدين شدة على الأشراف، و كان له هيبه عظيمه ساقهم المرّ، و أذاقهم الصبر، و أما سطوته على الإمامية و توبيخه لهم في المحافل و سبهم على المنبر فأمر مشهور لا يحتاج إلى وصف، و لا تكاد السنين تبيد ذكره [٥٧٢].

و كان إذا قام في الأمر لا يرجع عنه و لو خوّف في عاقبته، و كان متمسكا بالسنة يتبع أشدّها، و يحمل نفسه على أشقّها، رأيت في يوم صائف محرما متجردا راكبا على حمار لم يزل عليه حتى كمل حجّه، و رجع إلى المدينة ليس له مركب غيره، و رأيت و قد أكلته الشمس، و تقشر جلده، و دمي وجهه، فعرضت عليه الركوب في الشدق [٥٧٣] فلم يفعل.

و كان قد أراد أن يسوي الحفرة التي في محراب النبي صلى الله عليه و سلم ببناء أو خشب [٥٧٤] فلم يوافق على ذلك، فترك الصلاة في المحراب و صلى عن يسار المحراب قريبا من الشباك، و استمر على ذلك حتى مات رحمه الله، و قد تقدم

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٦٣

الكلام على ذلك.

و هو الذي أبطل صلاة النصف من شعبان، و كان تبطيلها عزيزا على النفوس فقد اعتادوا صلاتها، و مبتدعات كانت معها، منها: زينة المسجد الشريف، و كثرة الوقيد، و كثرة النساء و اختلاطن بالرجال، و الصباح من الصغير و الكبير حتى لا يبقى للحرم حرمة، و لا يملكه القوم.

و كان له غيره على أهل السنة و إن علم من كثير منهم الكراهة له، فيسدّد أحوالهم و يقيم حرمتهم عند أمراء المدينة، و يجاهد بنفسه في حقهم.

و له تواليف مفيدة في الكلام على الحديث و غيره، منها: (الجواهر السنية في الخطب السنية) قل أن يخلو منها خطبة إلا و فيها ذكر البدعة و أهلها، و تويخهم بما [٥٧٥] هم عليه.

و نزل مرة من على المنبر؛ لضرب رجل من الإمامية كان يتنفل زيادة على تحية المسجد، و يؤدي ظهر الجمعة أربعاً في أثناء ذلك التنفل؛ لأنهم لا يعتقدون إقامة الجمعة إلا خلف إمام معصوم، و هذا كان عادتهم معه و مع غيره، فنهاهم عن ذلك فانتهوا إلا من قوى تشيعه و تعصبه، فكان يصيح عليهم و هو على المنبر، و يأمر بجرهم عنده فيضربهم.

و كان الإمامية يصلون صلاة العيد في المسجد الذي في المصلّى المنسوب بزعمهم إلى علي بن أبي طالب رضی الله عنه، فمنعهم من الصلاة فيه،

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٦٤

و ألزمهم بالدخول مع أهل السنة في المسجد الموجود اليوم، و ذلك في يوم عيد الأضحى من سنة ست و ثلاثين و سبعمائة. و كان عليهم سيفاً لا يغمد، لكنه لم يتعرض لحكامهم، فكانوا في أيامه على عادتهم مع السراج، و كان يحبس في حبسهم و يستعين بغلمان الوالى، و كان حبس المدينة واحدا يجلس فيه الأمير و القاضي، و هو الموجود اليوم في ساحة القلعة.

كان لى معه- أعنى القاضى شرف الدين- مقامات سوء لا- يحسن ذكرها هنا؛ لأنها مبتيئة على حظوظ نفوس الحسدة الذين كانوا حوله، حتى إنى وصلت أنا و هو إلى الملك الناصر لما حج الثالثة سنة إحدى و ثلاثين و سبعمائة، فأمره السلطان أن لا يتعرض لى و أن ينصفنى من نفسه، و وصى صاحب المدينة بمراعاتى و النظر فى الأحوال التى أشكوها منه، فلم ينفذ فيه ذلك. و لما تحقق الأمير طفيل رحمه الله أنى معهم مظلوم، و أنهم قد تظافروا و تعاضدوا على أذيتى عند القاضى شرف الدين بعث إلى أحمد الفاسى نائب القاضى شرف الدين و نفاه إلى خير، و استقر بها مدة، و لم يرجع إلا بعد أن استعطفه شرف الدين، و دخل عليه مرارا كثيرة، فلما جاء من خير أقام أياما قليلة، ثم توفى إلى رحمه الله فى سنة ثلاث و ثلاثين و سبعمائة. و تهدد الأمير طفيل لبقية الجماعة البعداء الذين أهلكهم فعلهم، و ما الله بغافل عنهم، و الموعد بينى و بينهم يوم القيامة. هذا مع كونه إذا رآنى عظمى، و قام لى و نوه فى المجلس بذكرى حتى أقول صفا قلبه، فإذا خلا به شياطين الإنس عطفوا قلبه إلى كلامهم، ثم إن الله

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٦٥

تعالى أحوجه إلى مساعدتى له فى قضية، فساعده فيما طلب، و بذلت جهدى له، و حصل على مقصوده، فصفا قلبه و أعرض عن جميع ما كان سمعه، و رأيت منه إنصافا أزال ما رأيت منه من الشقاء و التعب رحمه الله و عفا عمن كان السبب. و لهذه الأطراف تميمات فيها عجائب و تحتها غرائب، لو بسطت القول فيها لخرجت عن المقصود، و إنما الغرض التنظير بمن فيه تقرير [٥٧٦] بأهل زماننا، و الله تعالى يغفر للجميع. و استتاب القاضى شرف الدين فى فصل الخصومات دون الخطابة و الإمامة، الفقيه:

[٥٧٧] أحمد الفاسى المراسنى.

ثم الفقيه العالم الفاضل الأصولى الفروعى:

[٥٧٨] أبا العباس أحمد التادلى.

و كان ورعا عفيفا دينا فاضلا فى مذهب مالك، إماما فى أصول الفقه، و له شرح (رسالة ابن أبى زيد) كتابا حفيلا ممتعا، و له (شرح عمدة الأحكام) من أحسن ما وضع عليها، و له (شرح تنقيح القرافى) فى أصول الفقه لم يوضع

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٦٦

عليها فيما رأينا أحسن منه، و كل تواليفه و تقايدته مفيدة، و تولى درس غشاوة فلم يتناول من تمر الحديقة التى تفرق اليوم على الجماعة شيئا؛ بسبب ما ذكرناه فى ترجمة الشريف يعقوب، و كان يصرف نصيبه إلى الفقيه محمد التلمسانى؛ لكونه من طلبة المدرسة الشهابية [٥٧٩].

ثم نقم عليه القاضى شرف الدين شيئا، منها: دخوله فى قضية ابن مطرف فى العهن [٥٨٠]؛ فإن الفقيه شهاب الدين التادلى أثبت له محضرا مشتملا على أن بيع على المذكور للعهن، كان و هو فى الحبس مقهورا مغصوبا، و أن البيع باطل، فلما أثبت التادلى المحضر لنافع بن على بن مطرف توجه إلى رباط الفخر و أخذ جميع ما فيه من التمر، فغضب القاضى شرف الدين، و لم يصل بالناس صلاة الظهر، و لا أحد من جهته، و صلى بالناس ثلاثة أئمة: عز الدين الواسطى، و أخى على، و شخص آخر، و لم يأت يوم الجمعة إلا بكلفة بعد أن دخل عليه مانع بن على، و ذلك فى سنة سبع و ثلاثين و سبعمائة [٥٨١].

ثم عزله و استتاب شيخنا الإمام العلامة:

[٥٨٢] جمال الدين المطرى في الحكم والخطابة والإمامة.

فكان جمالا للمنصب رحمه الله، و توفي القاضي شرف الدين رحمه الله

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٦٧

بالمدينة و دفن شامى قبه سيدنا عثمان رضى الله عنه، و ذلك فى سنة خمس و أربعين و سبعمائه، و مولده بالقاهرة سنة أربع و سبعين و ستمائة [٥٨٣].

ثم ولى بعده الحكم و الخطابة و الإمامة الشيخ الإمام العلامة:

[٥٨٤] تقي الدين عبد الرحمن بن جمال الدين

عبد [٥٨٥] المؤمن بن رشيد الدين [٥٨٦] ابن عبد الملك الهورينى الشافعى المصرى.

قدم المدينة فى ذى الحجة آخر سنة خمس و أربعين.

و كان رحمه الله من قضاء العدل، انتهت إليه الرئاسة و السياسة مع العلم الغزير و العقل الراجح الذى ليس عليه مزيد [٥٨٧]، لم يرق المنبر أحسن منه صورة و شكالة و شيبة، مع الهيبة العظيمة، و القيام فى الحق، و النصرة للشرع [٥٨٨]. و فى تلك السنة استبانى فى الحكم عنه فسلكت مع الناس سبيل السياسة،

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٦٨

و سددت الأحكام، و جريت على الصلح بين الخصوم، فمال إلى أهل للمدينة، و رأوا أنى لا آخذ منهم شيئا فى حكم و لا إثبات، و لا وراقه، بل ربما أعطى من عندى من أتحقق ضرورته من الغرماء، فأحبنى أهل البلد و مالوا عن قضاء الإمامية و اعتزلوهم [٥٨٩] و تركوا المحاكمة عندهم، حتى إن القاضي حسن بن سنان الملقب عزيز [٥٩٠] صار يجلس على باب زقاقنا فإذا رأى الخصمين دعاهما إليه فلا يلتفتان إليه؛ لأنهم كانوا إذا حكموا ألحقوا المحكوم له رسولاً أو ورقة يطلبون منه شيئا، و إن كتبوا ورقة طلبوا عليها أجرا، و يقبلون من الشهود من كان من رعاى الناس.

و بلغنى أنهم اجتمعوا بالأمر طفيل و شكوا عليه ما يلغون منى، فقال لهم إذا سكت عنكم و عن أحكامكم فلا تطلبوا منه غير ذلك.

و قال لى القاضي نجم الدين مهنا بن سنان- و كان أعلمهم و رأسهم:

قطعت رزقنا يا فلان، فقلت له: ما تريدون منى إذا لم أتعرض لكم؟ فقال:

و الله ما قطع رزقى إلا أنت صرت تكتب للناس بلا شىء، فمن بقى يأتى إلينا، و كان مهنا بن سنان كاتب المدينة.

و لم أزل معهم كذلك حتى حمل ذكرهم، و ماتوا أحياء، و لم يبق لهم فى البلد أمر و لا نهى إلا فى الشىء التافه و الأمر النادر.

و لقد أدركت من حكاهم فوق عشرة من آل سنان و من الصفيان الذين

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٦٩

كانوا عند رباط المعين كلهم يحكم و يفصل الخصومة، إلا أن الحكم كان له إذا حكم عليه القاضي من آل سنان أو يقول: ارفعنى إلى الفقيه فيرفعه و لا- يراجعه، و كان الفقيه على يصلح و يسدد من غير أن يتطلع لشىء بخلاف القضاة يومئذ، ثم لم يزل أمرهم يتفاصر، و عددهم يقل، حتى مات كبارهم.

ثم إن الفقيه الهورينى كف بصره فى أثناء تلك السنة بسبب ماء نزل فى عينيه، فسافر إلى مصر مع الحاج ليقدم عينيه و يعود إلى المدينة، و استمرت نائبا عنه فى سنة سبع و أربعين و شددت على الإمامية فى نكاح المتعة و نكلت بفاعلها، و حملت الناس على مذهب مالك، و أخملت البدعة و أظهرت السنة، و عزرت من تكلم فى الصحابة رضى الله عنهم، فلم يزد الناس إلا طاعة و إقبالا.

وفي تلك السنة لقيني عز الدين حسن المسكي وزير الأمير طفيل، و كان من الوزراء العقلاء، فقال لي: يا فلان خرج اليوم ملك من يد صاحبه يساوي عشرة آلاف، بشهادة فلان و فلان، و الله هذان ما يقبلان فيما يساوي عشرة دراهم، و كيف يحل لكم أن تبقى المدينة بلا شهود؟، فأمرته أن يأمر غلام الأمير فينادي في الأسواق: لا يضع أحدكم خطه في ورقة إلا أن يكون مرضيًا عند الحكام.

و لما وصل القاضي تقي الدين إلى مصر، أقام بها يعالج عينيه بالقدح، فسعى عليه بدر الدين حسن صهر القاضي شرف الدين الأميوطي فعزلوا القاضي تقي الدين، و كان يحب الإقامة بالمدينة؛ رغبة في الوفاء بها، فلم ترجع

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٧٠

إليه صحة عينيه حتى خرج عنه المنصب [٥٩١]، و سيأتي ذكر ولايته الثانية، و ذكر وفاته و مولده رحمه الله.

ثم ولى الحكم و الخطابة و الإمامة الشيخ الفاضل المتفطن:

[٥٩٢] بدر الدين حسن بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن القيسي الشافعي المصري.

و قدم إلى المدينة في شهر ذى الحجة من سنة ثمان و أربعين و سبعمائة، و كان مقيما في المدينة مع القاضي شرف الدين، و ينوب عنه في بعض الأحيان، و كانت ابنة القاضي شرف الدين عنده.

فلما وصل إلى المدينة حاكما، حاول أن يسلك في طريقته و أحكامه مسلك القاضي شرف الدين، و كان حاكما جزلا صلبا مهيبا، فأقام بالمدينة سنة تسع و أربعين سنة خمسين، و كان قد شدد على الأشراف و كتب إلى السلطان يشكو من طفيل، كما فعل القاضي شرف الدين مع طفيل أيضا، فلما بلغ طفيل الخبر صدر منه كلام و تهديد في جهة القاضي بدر الدين، فلما بلغه ذلك خاف على نفسه، فخرج إلى مكة معتمرا و معه جماعة، مثل: محمد بن الشوبكي، و محمد ابن بالغ، و مختار الزمردى و غيرهم من الجماعة، و لما توجه إلى مكة استنابني في الحكم إلى الموسم [٥٩٣].

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٧١

ثم قدم مع الحاج و سافر إلى مصر و استمرت نائبا عنه حتى جاء الخبر أنه توفي بالقاهرة في أثناء سنة إحدى و خمسين و سبعمائة، و جاء الخبر إلى طفيل بأنه قد عزل، و ولى إمارة المدينة سعد بن ثابت فخرج منها طفيل رحمه الله [٥٩٤].

ثم ولى الحكم و الخطابة و الإمامة القاضي الأجل الخطيب المصقع:

[٥٩٥] شمس الدين أبو عبد الله محمد بن زكي الدين]

عبد المعطي بن سالم بن عبد العظيم بن محمد الكنانى المصرى الشافعى العسقلانى المحدث المعروف بابن السبع.

ذكر أنه تفقه بالقاضى نجم الدين ابن الرفعة، و أنه قرأ القراءات على الشطنوفى، و أن مولده سنة ثمان و ستمائة بالقاهرة، و كان رحمه الله بشوشا للناس محسنا للأصحاب حليما كريما جوادا، و كان شاهدا عدلا بالقاهرة.

فلما ولى الأحكام الشرعية، ثقل بها فما حملها و لم يقيم برسمها و لا شرطها؛ لأنه لم يلحق بمن قبله في علومهم و لا في قيامهم بحرمه المنصب، و كان عاملا على السياسة و المسالمة فاشتغل الناس به، و طعنوا عليه بأنه لم تجتمع عليه شروط الواقف، و هى العلم بالقراءات، و معرفة الأصلين و غير ذلك، و بكونه إذا دخل الحجرة المشرفة للزيارة يقبل الأرض عند تمثله بين يدي النبي صلى الله عليه و سلم، و بأشياء لا يليق ذكرها كانت سببا في عزله، و كانت ولايته و ولاية الأمير سعد

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٧٢

في سنة واحدة، و هى سنة خمسين و سبعمائة [٥٩٦].

و لما استقر الأمير سعد بالمدينة، بدأ بمنع آل سنان و غيرهم من التعرض للأحكام و عقد الأنكحة و غيرها، ورد الأمر جميعه لأهل

السنة؛ تقربا إلى قبول السلطنة بإظهار السنة وأهلها، وإخمال البدعة وأهلها، وأمر بالنداء بالمدينة في يوم الثامن والعشرين من شهر ذي الحجة أحد شهور سنة خمسين وسبعمئة: أن لا يحكم في المدينة مع القاضي شمي الدين غير فلان، ومن تعرض لذلك فلا يلومن إلا نفسه.

فمن يومئذ انقطع أمرهم ونهيمهم بالكلية، وظهر علم أهل السنة، واجتمعت الكلمة، ووجدنا على الحق أعوانا، ثم إن الأمير سعدا منع أيضا أن يدخلوا معه إلى الحجرة المشرفة إذا أراد الزيارة، وأقام مقامهم الفقيه برهان الدين إبراهيم بن عبد الله المؤذن، وصاروا كما قال تعالى: فَوَقَعَ الْحَقُّ (الأعراف: ١١٨) الآية.

ولما تم الأمر لأهل السنة وانقطع دابر القوم، وقع بينهم افتراق الكلمة وظهرت الفتنة [٥٩٧]، فأسخطوا بذلك الرحمن، وأرضوا الشيطان، وأصبح كل من المجاورين فيما بينهم وبين الخدام متحزبين أحزابا، منتظرين لبعضهم عذابا، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن شر الشيطان الرجيم.

ولما رأيتهم على هذا الحال، وقد كثر بينهم القيل والقال، لزمت بيتي رغبة

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٧٣

في السلامة، متمثلا بقول العلامة أبي شامة، رحمه الله:

ألا يلائمي مالي سوى البيت موضع أرى فيه عزا أنه لى أنفع

وقد يسر الله الكريم بفضله غنى النفس مع شيء به أتقن

وفي حسن ظني أن ذا يستمر لى إلى الموت إن الله يعطى ويمنع

ولنرجع إلى ما كنا فيه من أخبار القاضي شمس الدين بن السبع رحمه الله، كان خطيبا مصقعا، إذا خطب على المنبر، يسمع من طرف السوق مع ما فى السوق من اللغط، ولو أنصت له منصت من أعلى سور المدينة سمع كلامه مع الفصاحة العظيمة وحسن الأداء، و بدت منه سقطات لا تليق بالحكام، واشتهرت عنه بين الناس منها: أنه صحف المثل المشهور: (إذا قالت حذام فصدقوها)، فنطق بها بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة، ويقال: إنه زعم بذلك خدام الحرم الشريف النبوي [٥٩٨].

فلما كانت سنة أربع وخمسين وسبعمئة سافر جماعة من المجاورين وأشاعوا عنه تلك الأشياء، وكان القاضي عز الدين بن جماعة من أعظم الناس كراهة فى ولايته بالمدينة المشرفة، وكذلك الشريف أبو العباس الصفروى المغربى [٥٩٩].

وكان للصفروى وجاهة عند الأمراء فشجع المجاورين على الكلام مع الأمراء فيه، فكتبوا فيه قصة و عددوا فيها ما نعموا عليه، و ساعدهم فى باطن الأمر القاضي عز الدين و الصفروى رحمهما الله، فعقد لهم مجلس فى دار العدل و أحضر الحجازيون جميعا، فشهدوا عند القاضي عز الدين بمحضر القضاء

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٧٤

الأربعة، فقبل شهادة بعضهم، و ثبت ما نسب إليه فعزل، و ولى القاضي بدر الدين ابن الخشاب، و بعث باقى القضاء فى وسط السنة نجابا [٦٠٠] إلى المدينة بالعزل، و يستتجز محضرا بصدق ما شهد به عليه فى القاهرة، فرأيت أن ذلك قد تعين على لضيعة المنصب النبوى، فتقدمت فى ذلك، و أثبت محضرا بذلك، و بعث إلى بدر الدين ابن الخشاب يسألنى القيام بالوظيفة نائبا عنه [٦٠١].

و كان الأمير شيخو يشد من ابن السبع، فأخذ مرسوم السلطان بالكشف على ابن السبع فى المدينة، و بعثه مع الأمير سيف الدين عمر شاه أمير الركب المصرى، و بعث معه خلعة و تقليدا، فوقع لى مجلس عظيم مع الأمير عمر شاه و مع الحافظ الإمام شمس الدين ابن النقاش، و جماعة غيرهما من المتعصبين له، فردهم الله بالحق، ورد أمير الحاج المرسوم و الخلعة [٦٠٢]، و سيأتى ذكر ولايته الثانية.

و استقر فى المنصب الشيخ الإمام العالم الأوحى وحيد دهره، و نادرة عصره:

[٦٠٣] بدر الدين إبراهيم بن أحمد بن عيسى القرشي المخزومي المعروف بابن الخشاب.

و كان قدومه إلى المدينة في ذي الحجة من شهر سنة أربع و خمسين

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٧٥

و سبعمائة، و قدم معه قاضى القضاة عز الدين ابن جماعة مجاورا بأهله و أولاده، و قدم معه صهره الشيخ الإمام العالم صدر القضاة فخر الدين ابن الكويك، و كان معهم أيضا الشيخ شهاب الدين بن النقيب، و كانت سنة حسنة تنقضى في ذكر محاسنها الأزمنة [٦٠٤].

و كان القاضى بدر الدين ابن الخشاب حسنة زمانه، قد جاوز الذروة العليا و الغاية القصوى في العلم الباهر، و العقل الوافر، و حسن الفصل للخصومات مع الجزالة و الهيبة و القيام في الحق، حاكم إن قيل حاكم، و قام بالخطابة و الإمامة أحسن قيام، و انقضت تلك السنة كأنها أحلام، و كان القاضى شمس الدين ابن السبع مجاورا بمكة [٦٠٥].

و لما خلت الديار المصرية من القاضى عز الدين ابن جماعة، تكلم نور الدين ابن شمس الدين ابن السبع لوالده، و ساعده الأمير شيخو، فجاءنا الخبر في الموسم الشامى بأن بدر الدين ابن الخشاب قد عزل وردّ ابن السبع إلى منصبه، فلما جاء الركب المصرى جاء التقليد و الخلعة لابن السبع، و استقر في المنصب من أول سنة ست و خمسين و سبعمائة، و جرى على أخلاقه المعهودة، و سألتني أن أكون نائبا عنه فامتعت.

فكان يقول لى كلما لقينى: أنا أسأل الله العظيم عند هذا النبى الكريم كلما زرته أن يسخر ك لى، و إذا سألتني عن خطبته أقول له: حسنة، يقول: هذه إجازة منك و الله، و يسرّ بذلك، و لا ينقم على أحد من الجماعة الذين تكلموا

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٧٦

فيه في القاهرة، و حاسن الناس و مشى الحال، و قام بوظائفه على طريقة أشبه من طريقته الأولى، و كان يذكر أنه يعرف بابن السبع من جهة الخثولة؛ لأن جده لأمه كان رجلا صالحا ركب السبع فجرى عليه هذا القلب.

و أما جده لأبيه فكان أميرا صاحب إقطاع، عتيقا لشخص لم يحضرني الآن اسمه، و ذكر أنه سمع الكتب الستة على الشيخ شرف الدين الدمياطى، و "السيرة" على الأبرقوهى، و لبس منه الخرقه بإلباسه من الشيخ شهاب الدين السهروردى رحمهم الله، و استمر في الوظيفة إلى الحادى عشر من شهر ربيع الآخر أحد شهور سنة تسع و خمسين و سبعمائة، فاتفق في صبيحة العاشر من الشهر المذكور أن جاء ركب كبير إلى أن قربوا من باب البلد و نزلوا تحت القلعة، و لم يتحقق الناس من هم [٦٠٦] و ظنوا أنهم قفل من أهل ينبع.

ثم كشف الحال فإذا هم [٦٠٧] جماعة الأمير جماز بن منصور قدم المدينة متوليا لها بمرسوم السلطان و معه القاضى تقى الدين الهورينى متوليا و معهم مرسوم بعزل شيخ الخدام عز الدين دينار، و ولاية الشيخ افتخار الدين، فعجب الناس من وصولهم إلى أبواب المدينة، و لم يبلغهم الخبر.

و في صبيحة الحادى عشر دخلوا المدينة، و خرج آل جماز من المدينة أشرّ خروج، حفاة فارين من الأسوار و الأبواب، فنادى الأمير جماز في أصحابه:

أن لا يتبعهم منكم أحد، و منّ عليهم، و عفا عنهم.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٧٧

و استقر في القلعة الأمير جماز.

و في منصب الحكم القاضى تقى الدين الهورينى، و في مشيخة الحرم الخزندارى نيابة عن افتخار الدين، و استقر القاضى تقى الدين على عادته في فصل الأحكام، و سياسة الأنام مقبلا على العبادة و الاشتغال بما يقربه من الله، و جريت معه على العادة في نيابة الحكم،

فحاول الأمير جماز رجوع الإمامية إلى ما كانوا عليه، و أذن ليويسف الشريشير أن يحكم بين الغرماء، و ظهرت كلمتهم، و ارتفعت رايتهم، و أظهر الأمير لى و للمجاورين الجفاء و الغلظة فى الكلام، فسافر الناس فى أثناء السنة إلى مصر و تحدثوا بذلك فبلغ السلطان فاغتاظ لذلك، و بلغه أيضا ما جرى للشيخ ضياء الدين الهندى من الضرر فى القلعة، فبعث مع الموسم شخصين أشقرين شقيين فقتلاه، و انتقل إلى رحمة الله شهيدا فباء بذنبه، و سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (الشعراء: ٢٢٧).

فلما كان فى أول سنة ستين و سبعمائة توفى القاضى تقى الدين إلى رحمة الله تعالى، و ذكر أن مولده فى سنة أربع و تسعين و ستمائة تغمده الله برحمته، و وصل الخبر بموته إلى القاهرة.

فولى المنصب الشريف الشيخ الإمام العلامة المتفنن:

[٦٠٨] تاج الدين محمد بن عثمان الكركى

، فوصل إلى المدينة فى آخر سنة ستين و سبعمائة، و كان فاضلا فى مذهب الشافعى رضى الله عنه، و فى أصول الفقه، مشاركا فى العربية و غيرها، تفقه بالشيخ برهان الدين ابن الفركاح

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٧٨

و طبقته مثل قاضى القضاة ابن البارزى و غيره، و مولده فى سنة عشر و سبعمائة [٦٠٩].

و جاء إلى المدينة بأخلاق رضىة، و نفس زكية، فوجد اختلافا كثيرا فسكنه، و عيوبا جمه فسترها، و تحبب إلى قلوب المجاورين و الخدام، و استمال الطلبة و حضهم على الاشتغال، و تبطل للإفادة فعكفت على محبته و اعتقاده القلوب، و انطلقت الألسن بذكره و شكره [٦١٠].

و كنت أقول لأصحابى: هذا رجل لا يتطرق العيب إليه، و لا يجد العدو فيه مطعنا، فلما طالت إقامته فى المدينة و كبر سنه و أولاده، لاذ به و بهم جماعة من شباب الطلبة الذين لم تحنكهم [٦١١] الليالى و الأيام، و لم يربهم ذو النهى و الأحلام، فأظهروا إليه النصيحة بالكلام فى أعراض أصحابه، و نقل مجالسهم إليه، و التميم عليهم، فأفسدوا عقيدته فى أصحابه، و كان رجلا متخيلا، فصار يحمل نصحهم له على الغش له و النصيحة مرّة، فيتحقق عداوتهم له، و يصدق النمامين بالظن و الحدس و التخمين، و صار يتكلم فى المجالس العامة بما نفر [٦١٢] عنه الكبار و ذوى العقول الراجحة [٦١٣].

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٧٩

ثم سعوا بينه و بين الخدام فأفسدوا ما بينه و بينهم من الألفة و المحبة، و كان قد فوّض إلى الشيخ افتخار الدين أحكام الحرم و الوظائف، و الكلام على الربط و الأوقاف، و كنت ألومه على ذلك فلا يرجع إلى كلامى ففسد حال الناس من الجهتين، و أضمرت نار الفتنة، و افترت الكلمه، و تحزب الناس أحزابا، و حاول أن يعيد الأمور التى تتعلق به إليه بعد أن جعلها بيد الشيخ، فلم يتمكن من ذلك [٦١٤].

و استحکم الفساد، و صارت آراؤه تصدر عن مشاورة الشبان، و بدت منه أشياء لا تليق بعقله و حسن سياسته، و نفر عنه أكثر المجاورين و الخدام، و مالت عنه قلوبهم و اجتمعت كلمتهم على غيره، فحينئذ أسفر له ضوء الصبح، و تبين له سبيل النجح [٦١٥]، فلم يكن تلا فى الحال، و انفرد فى غوغاء أهل قيل و قال، و فى مثل ذلك يقال [٦١٦]:

لا خير فى الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا
إذا تولى سراة الناس أمرهم نمى على ذاك أمر الناس و ازدادوا
تهدى الأمور بأهل الرأى ما صلحت فإن تولت فبالأشرار تنقاد

و اتفق له مع الخدام موطن في بيته حضره جماعة من الأشراف، فلولا لطف الله تعالى لكان يحكى يوم الدار.

ولما سافر الناس إلى مصر قل الشاكر و كثر الشاكي، و كان قد عزلني عن

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٨٠

نيابته في الأحكام، في أثناء السنة و هي سنة خمس و ستين و سبعمائة، توقيع شريف بأن أجرى على عادتى في الأحكام أيضا ما قويت به شوكتهم، و علت به كلمتهم، فحينئذ أقبل على شأنه، حافظا للسانه، متحرزا من إخوانه.

ثم سافر إلى مصر مع الركب المصرى ليمهد الأحوال، و يدرك جميع الآمال، فلما وصل إلى مصر تحقق أن سعيه في ذلك يسقط حشمته، و ينقص حرمة، فاختر المقام بمصر فعزل.

و ولى المنصب الشريف الشيخ الإمام العلامة جامع أشتات الفضائل:

[٦١٧] شمس الدين محمد بن سليمان الشهير بالحكرى [٦١٨] المصرى الشافعى

، وصل إلى [٦١٩] المدينة المشرفة في ذى الحجة سنة ست و ستين و سبعمائة، إمام فاضل في مذهب الشافعى رضى الله عنه، رحلة في علم القراءات و ما يتعلق بها من العربية و التصريف و غير ذلك، له تأليف عديدة مفيدة، منها: (شرح الحاوى) و (شرح الألفية) و غير ذلك، و قام بالخطابة [٦٢٠] و الإمامة أحسن قيام، لم يل هذا المنصب أحد أئمن منه عريكة، و لا أكثر تواضعا، و لا أصح منه سريرة، و لا أصفى قلبا للمجاورين، غير أنه وجد عند الخدام بقايا ذلك العناد الذى تأسس في أيام القاضى تاج الدين، فحاول

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٨١

إصلاح ذلك بالقوة و الشدة فزادوا في مناصاته [٦٢١] على الحد، و جرى بينه و بينهم مقامات لا يليق ذكرها [٦٢٢]، و صار حاله مع شيخ الخدام كما قيل:

بليت بشخص صاحب غير منصف إذا جاءه و صلى أتانى جفاؤه

إذا ما استوى أمرى تعوج أمره مخالفة في كل شىء أشاؤه

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٨٣

فصل [في ذكر أمراء المدينة و مدته ولايتهم]

إشارة

قد عنّ لى أن أذكر من أدركته من أمرائنا و مدته ولايتهم على سبيل الاختصار، معرضا عما يتعلق بقصصهم، و شرح حالهم و سيرهم مع رعاياهم إلا ما لا بد منه، فإن ذلك هو المقصود و الذى أردناه.

فأول من أدركته من الأمراء الأمير:

[٦٢٣] عز الدين جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا

بن حسين بن مهنا بن داود بن قاسم بن عبد الله بن ظاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه و عن فاطمة الزهراء البتول و عن ذريتهما الطيبة الطاهرة، و حشرنا في زمرتهم، و نفعنا بمحبتهم، و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم.

كان الأمير جماز رحمه الله شجاعا مهيبا سايسا حازما ذا رأى مصيب و هممة عالية، ترقى همته إلى أن قصد صاحب مكة، و هو الأمير نجم الدين أبو ندى محمد بن صاحب مكة أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسنى، و حاصره و انتزع منه مكة المشرفة، فاستولى عليها و حكم فيها و أقام بها [٦٢٤] مدة يسيرة، ثم عادت إلى أبي ندى، و ذلك فى سنة سبع و ثمانين و ستمائة. و كان والده الأمير:

[٦٢٥] شعبة متوليا على المدينة]

انتزعها من الجمامزة فى سنة أربع و عشرين تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٨٤ و ستمائة، و طريق و وصولها إليه أن صاحب المدينة- المتولى عليها فى أيام الخليفة أمير المؤمنين المستضىء بأمر الله بن المستنجد بالله العباسى- هو الأمير عز الدين أبو فليته قاسم [٦٢٦] بن مهنا [٦٢٧]، هكذا ذكره مؤلف (الروضتين فى أخبار الدولتين) النورية، و الصلاحية. قال العلامة أبو شامة فى (الروضتين) [٦٢٨]: و كان السلطان الملك الناصر:

[٦٢٩] صلاح الدين يوسف بن أيوب تغمده الله برحمته]

محبًا فى للأمير قاسم بن مهنا، يستصحبه معه فى غزواته و فتوحاته، فحضر معه أكثر الفتوحات، و كان السلطان صلاح الدين يجلسه عن يمينه و يستوحش لغيبته، و يستأنس بشيئته. قال: و ما حضر الأمير قاسم مع السلطان صلاح الدين حصار بلد أو حصن إلا فتح الله تعالى على المسلمين، فكان السلطان يعتقد بركة نسبه الطاهر، و يكرمه و يتحفه بأجل الكرامات. و كانت فتوحات السلطان صلاح الدين و مآثره الحسنة للإسلام و المسلمين تحاكى فتوحات الصحابة رضى الله عنهم. و قد عدّد (صاحب (الروضتين) [٦٣٠] منها شيئا كثيرا. تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٨٥ فمن كلامه حكاية من كتاب كتبه السلطان صلاح الدين إلى الخليفة فى بغداد: و الآن قد خلص بحمد الله القدس الشريف من أيدي النصارى، و جميع مملكة القدس و ضياعه و أعماله و الكرك أيضا و حصونه، و الشوبك و أعماله و جميع البلاد الشمالية إلى منتهى أعمال بيروت، و جميع أقاليم أنطاكية، و عسقلان و عكا و طرابلس و الرملة. و ذكر فى موضع آخر نسخة من كتاب السلطان و عدّد فيه خمسين موضعا ما بين مدينة كبيرة و صغيرة و حصون حصينة. قال: و هذا خلاف ما لكل من الأعمال التى حولها. و كان رحمه الله قد أفنى عمره فى الجهاد لا- يفتقر عنه فصلا متواليا حتى توفى إلى رحمة الله تعالى. و كان الذى ربا و دربه على ذلك و رقاها إلى الرتبة العالية

[٦٣١] الملك العادل نور الدين محمود الشهيد بن زكى آق سنقر رحمة الله عليه.]

و قد خرجت بذكر هذين الملكين عن المقصود الذى أردناه؛ لكن لمصلحة عظيمة، و هى إقامة الحجّة على المتأخرين من الملوك، فإنهم يستبعدون من أنفسهم طريقة الخلفاء الراشدين و من حذا حذوهم من الأئمة السابقين، و يقولون: نحن فى الزمن الأخير، و ما لأولئك من نظير.

فقد أظهر الله تعالى الحجّة عليهم بمن هو في عصرهم من بعض ملوك دهرهم، فلن يعجز عن التشبيه بهما أحد إن وفقه الله الكريم و سده.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٨٦

و كان الملك العادل الكامل نور الدين ملكا عادلا زاهدا عابدا ورعا، متمسكا بالشريعة، مائلا إلى أهل الخير مجاهدا في سبيل الله تعالى [٦٣٢]، و كان مواظبا على الصلوات في الجماعات، عاكفا على تلاوة القرآن، عفيف البطن و الفرج، مقتصدا في الإنفاق، متحريرا في المطاعم و الملابس، لم تسمع منه كلمة فحش في رضاه و لا في ضجره، و أشهى ما إليه كلمة حق يسمعها، أو إرشاد إلى سنّة يتبعها.

و قال أبو الحسن ابن الأثير [٦٣٣]: و قد طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام، و فيه إلى يومنا هذا، فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين و عمر بن عبد العزيز ملكا أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين.

و كان كثير الصدقات، بنى المدارس بجميع بلاد الشام الكبار، مثل:

دمشق و حلب و حماة و حمص و بعلبك، و بنى أيضا سور بعلبك [٦٣٤]، و كَمَل بناء سور المدينة الشريفة النبوية، و هو سورها الموجود اليوم، و اسمه مكتوب على باب البقيع رحمه الله.

و أجرى العين التي تحت جبل أحد و أظنها عين الشهداء، فإن العين التي أجراها معاوية مستبطنة للوادي و قد دثرت، و رسومها موجودة إلى اليوم و الله أعلم.

و أما السور الذي داخل المدينة، فإنما أحدثه الوزير جمال الدين محمد بن

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٨٧

أبي منصور الأصبهاني، و كان وزيرا للشهيد والد [٦٣٥] الملك العادل، ثم استوزره بعد زنكي ولده غازي بن زنكي، و كان ممن يضرب به المثل في الجود و الكرم و الإحسان إلى أهل الحرمين، و عمّر الحرمين الشريفين، و بنى الرباط المقابل لباب جبريل الشهير برباط الأصفهاني، و كان يدعى له على المنبر النبوي، و يقال: اللهم صن حريم من صن حريمك بالسور محمد بن علي بن أبي منصور.

و ذلك أن العرب كانوا قد استباحوا أهل المدينة مرارا، فكانوا لا يتركون لأحد ما يواريه و لا ما يسد جوعته، فبنى عليهم هذا السور المذكور، فاحتما به من العربان، و هذا السور باق إلى اليوم، قد أدخله الناس في دورهم و تملكوه، و كانت وفاة جمال الدين الوزير في سنّة تسع و خمسين و ستمائة.

و لنرجع إلى ذكر مآثر الملك العادل رحمه الله، فمن جملة حسناته أن بنى بالموصل الجامع النوري، و بحماة الجامع الذي على نهر العاصي و جامع الرها، و جامع منبج [٦٣٦]، و بيمارستان دمشق، و دار الحديث بها، و له من المناقب و المآثر ما يستغرق الوصف [٦٣٧].

و كان مع سعة ملكه و كثرة ذخائر بلاده و أموالها، لا يأكل و لا يلبس و لا يتصرف إلا من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمه، و من بيت مال

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٨٨

المسلمين بعده، إلى أن حضر الفقهاء و استفثاهم فيما يحل له أخذه من مال المسلمين، فأخذ ما أفتوه به و لم يتعرض إلى غيره ألبته، و لم يلبس قط ما حرّمه الشرع من حرير أو ذهب، و أبطل المكوس من جميع بلاده، و منع شرب الخمر و قمع البدع، و أخرج الروافض من حلب و أعمالها، و شتت شملهم، و كان ورده من نصف الليل إلى طلوع الفجر في صلاة و تلاوة و ذكر.

و بعثت إليه زوجته تستقل النفقة على نفسها و عيالها فتنكر لذلك [٦٣٨] و قال:

من أين أعطيها، والله لا- أخوض نار جهنم في هواها، إن [٦٣٩] كانت تظن أن الذي بيدي من الأموال هي لى فبئس الظن، إنما هي أموال المسلمين و أنا خازنهم عليها، فلا أخونهم فيها، ثم قال: لى بمدينة حمص ثلاثة دكاكين ملكا و قد وهبتها لها فلنأخذها. قال ابن الأثير: و كان بالجزيرة رجل من الصالحين، و كان نور الدين يكاتبه، فبلغه أن نور الدين يدمن اللعب بالكرة. فكتب إليه يقول له [٦٤٠]: ما كنت أظنك تلهو و تلعب و تعذب الخيل بغير فائدة.

فكتب إليه بخطه [٦٤١]: و الله ما يحملنى على ذلك اللهو و البطر، إنما نحن فى ثغر العدو قريب منا، و بينما نحن جلوس إذ يقع صوت فنركب فى الطلب، و لا يمكننا ملازمة الجهاد شتاء و صيفا، إذ لا بد للجد من الراحة، و متى تركنا الخيل على مرابطها صارت جماما لا قدرة لها على إدمان السير فى الطلب، و لا

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٨٩

معرفة لها بسرعة الانعطاف و الكر و الفر فى المعركة، فقصدنا أن نروضها بهذا اللعب.

فانظر إلى هذه النية الصالحة فى اللعب و كان لا يفعل شيئا إلا بنية صالحة، و كان رحمه الله متبعا للشريعة و أوامرها، و ألزم بذلك أتباعه و ذويه فمن ذلك:

أنه كان يوما يلعب بالكرة بدمشق فرأى شخصا يكلم غلامه- أعنى الملك العادل- فأرسل الملك العادل يسأل عن حاجة الرجل، فأخبر أن فلان بن فلان قد جاء و معه غلام القاضى، و ذكر أن له مع الملك العادل حكومة، فرمى بالجوكان من يده و سار إلى القاضى، و قال له: إنى جئت محاكما فاسلك معى مثل ما تسلكه مع غيرى، فساوى بينهما و تحاكما، فلم يثبت على الملك العادل شىء، و كانت الحكومة فى ملك. فقال نور الدين للقاضى و لجميع من حضر:

هل ثبت له عندى شىء؟ قالوا: لا. قال: اشهدوا أنى وهبت له هذا الملك و هو له دونى، و قد كنت أعلم أنه لا حق له عندى، و إنما حضرت معه لئلا يظن أنى ظلمته. و استدعى مرة أخرى إلى مجلس الحكم بحلب، فأجاب إلى ذلك.

قال ابن الأثير: و من عدله أنه لم يكن يعاقب العقوبة التى يعاقب بها الملوك فى هذه الأعصار على الظن و التهمة، و كتب إليه الشيخ عمر الملم و كان رجلا صالحا كبير الشأن: إن المفسدين و قطاع الطريق قد كثروا، و يحتاج فى هذا الأمر إلى نوع سياسة من قتل و صلب و ضرب، و إذا أخذ مال إنسان فى البرية من (يجىء) [٦٤٢] يشهد له.

فكتب نور الدين على ظهر الكتاب: إن الله تعالى قد خلق الخلق و هو أعلم

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٩٠

بمصلحتهم، و شرع لهم شريعة، و مصلحتهم تحصل فيما شرعه على وجه الكمال، فلو علم أن على الشريعة زيادة فى المصلحة لشرعه، فما لنا حاجة إلى الزيادة على ما شرعه الله تعالى.

قال: فجمع عمر الملم أهل الموصل و قرأهم الكتاب، و قال: انظروا كتاب الزاهد إلى الملك العادل، و كتاب الملك إلى الزاهد. و قد صنّف الناس فى سيرة الملك العادل مصنفات عديدة، فلنقتصر على ما ذكرناه.

و ذكر شمس الدين ابن خلكان أن الحصون التى افتتحها من الإفرنج تنيف على خمسين حصنا، مثل بهسنا [٦٤٣]، و بانياس، و مرعش، و حارم، و غير ذلك، و كان قد ملك مصر و الشام و أعمالها، و حلب و أعمالها، و الحجاز و اليمن، و كان يخطب له مع الخليفة على سائر منابر تلك البلاد، و كان مولده رحمه الله فى سنة إحدى عشرة و خمسمائة، و وفاته فى سنة تسع و ستين و خمسمائة [٦٤٤].

و أما الملك الناصر صلاح الدين فسيرته مثل سيرته؛ لأنه انتشى بين يديه فتخلق بأخلاقه، و تأدب بآدابه، و كان نور الدين أكثر اجتهادا فى العبادة منه، و أكثر ورعا و تقشفا، و كان صلاح الدين أحسن منه أخلاقا و أكثر حلما و صبورا على ما ذكر، و قيل: إنه كان أكرم منه و أجسر منه على الدخول فى المهمات الكبار، و كان محببا إلى الرعايا أكثر من الملك العادل، و كان فى الجهاد أعلى درجة منه، و لو لم يكن له إلا فتح القدس لكفاه، و كان فتح القدس فى سنة

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٩١

ثلاث وثمانين وخمسائة، وكان استيلاء الفرنج عليه في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، وكان الحاكم على القدس يومئذ العبيديون، وكنا قد ذكرنا بعض فتوحاته.

وأما أوقافه وصدقاته فتكافى ما فعله الملك العادل رحمه الله أو تكاد، وهو الذي ثبت قاعدة الخدام في الحرم النبوي، وأوقف عليهم الأوقاف، وكتاب الوقف موجود عندهم إلى اليوم، وكان الموقوف عليهم نحو العشرين خادما بأعيانهم، ثم من بعدهم على خدام الحرم النبوي، ثم أوقف عليهم الملك الصالح بن الملك الناصر محمد بن قلاوون وقفا آخر، ولهم اليوم منذ تقرر في الحرم بالجامكية نحو مائتي سنة.

ومن العجائب أن أوقاف صلاح الدين في مدارسه أكثرها مشهورة باسم غيره من سكانها، أو نظارها، أو المشرفين على عمارتها، وهذه صدقة السر بعينها، ومن أعظم حسناته محوه لدولة العبيديين، وطمس معالمهم ورسومهم وآثارهم.

وكان بنو عبيد قد أظهروا للناس أنهم شرفاء فاطميون، فملكوا البلاد، وقهروا العباد، وقد ذكر جماعة من أكابر العلماء أن نسبتهم غير صحيحة والمعروف أنهم بنو عبيد، وكان والد عبيد هذا من نسل القداح الملحد المجوسى.

وقيل: كان والد عبيد هذا يهوديًا من أهل سلمية من بلاد الشام، وكان حدادا، فلما دخل المغرب تسمى بعبيد الله، وزعم أنه فاطمى، وأدعى نسبا غير صحيح، ثم ترفت به الحال إلى أن ملك وتسمى المهدي، وبنى المهدي بالمغرب، ونسبت إليه، وكان زنديقا خبيثا، عدوا للإسلام متظاهرا بالتشيع تسترا به،

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٩٢

حريصا على إزالة الملة الإسلامية، قتل من الفقهاء والمحدثين والصالحين جماعة كثيرة، وكان قصده إعدامهم من الوجود لبقى العالم كالبهائم، فيتمكن من إفساد عقائدهم: وَاللَّهِ مُتِّمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (الصف: ٨) ونشأت ذريته على ذلك، وانبث الدعاء لهم في البلاد يضلون الضعفاء من الناس، وبقي هذا البلاء على الإسلام من أول دولتهم إلى آخرها، وذلك من ذى الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين إلى سنة سبع وستين وخمسائة.

وفي أيامهم كثرت الروافض واستحكمت أمرهم، وكثرت المكوس على الناس، فاقتدى بهم غيرهم، وأفسدت عقائد طوائف من أهل الجبال بنغور الشام وغيرها، وظهرت النصيرية وغيرهم من طوائف المعتزلة، وهم إلى الآن.

وكانوا أربعة عشر مستخلفا ثلاثة منهم بإفريقية، وهم الملقبون: بالمهدي، والقائم، والمنصور.. وأحد عشر بمصر وهم الملقبون: بالمعز وهو أولهم، وإليه نسبت المعزية، والعزير، والحاكم، والظاهر، والمستنصر، والمستعلي، والأمير، والحافظ، والظافر [٦٤٥]، والفائز، والعاقد. يدعون الشرف ونسبتهم على الحقيقة إلى يهودى أو مجوسى كما تقدم، واشتهر ذلك عند العوام، فصاروا يقولون: الدولة الفاطمية، وكانوا يأمرسون الخطباء بذلك على المنابر ويكتبون على جدران المساجد، ومثالبهم كثيرة، ومخازيهم عديدة.

ولكن لا بد من ذكر نبذة يسيرة هاهنا [٦٤٦] ليعذر من أزال دولتهم، وأمات بدعتهم، وأباد أمتهم، وأطفأ جمرتهم.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٩٣

كان المهدي يرسل إلى الفقهاء والعلماء من يتصور عليهم ويذبحهم في فرشهم، وأرسل دعواتهم إلى الروم وسلطهم على الناس فمن وجدوه يفهم شيئا. قالوا له: هو المهدي بن رسول الله، وحنة الله، ويقولون لطائفه أجهل من هؤلاء: هو الله الخالق الرازق، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، ولما هلك قام ابنه المسمى بالقائم وزاد شره على شر أبيه، وجاهر بشتم الأنبياء، فكان ينادى فى أسواق المهديّة: العنوا عائشة وبعلها، العنوا الغار و من حوى.

وبعث إلى أبى طاهر القرمطى أمير البحرين وحصّه على قتل المسلمين وإحراق المساجد والمصاحف، فقدم إلى مكة و قتل الحجيج، وحمل الحجر الأسود وأقام عندهم فى البحرين نحو ثمانية عشر سنة وأزيد، ثم ردّوه بعد قصص كثيرة يتعذر شرحها هنا.

و أميا المعز فكان يسره ما ينزل بالمسلمين من الفرنج، و احتجب عن الناس بمصر، ثم ظهر و أوهم الناس أن الله تعالى رفعه إلى السماء، و أخبرهم بما كان يصدر منهم في أيام تحجبه بما يخبره به الجواسيس، فامتلات قلوب العامة و الجهلة منه، و استدعى فقيه الشام أبا بكر بن محمد الرملي و يعرف بابن النابلسي، فحمل إليه في قفص خشب فأمر بسلخه فسلخ حيا، و حشا جلده تبا و صلب رحمه الله، و كان يقول و هو يسليخ: كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (الإسراء: ٥٨).

و أميا المسمى بالحاكم فأمر بكتب سب الصحابة على حيطان الجوامع و القياسر و الشوارع، و كتب السجلات إلى سائر الأعمال بالسب، و في أيامه طوف برجل مغربي و نودي عليه هذا: جزاء من يحب أبا بكر و عمر ثم ضربت عنقه، و أمر بقطع لسان أبي القاسم الواسطي أحد الصالحين؛ بسبب أنه أذن في

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٩٤

بيت المقدس و قال في أذانه: (حى على الفلاح)، و كانت ولايتهم على الناس محنة من الله تعالى.

و كان ضرر هؤلاء على الإسلام أشد من ضرر الكفار، و في أيامهم استعاد النصارى القدس الشريف من المسلمين و بقى بأيديهم نحو ثلاث و تسعين سنة، حتى فتحه الله تعالى على يد السلطان صلاح الدين رحمه الله، و كان ظهوره مئة من الله تعالى على العباد و البلاد، محا الله به هذه الدولة الخبيثة.

و كان قد دخل مصر مع عمه

[٦٤٧] أسد الدين شيركوه

إشارة

، و كان عمه أسد الدين قد بعثه الملك العادل نور الدين المتقدم ذكره، فلما رأى أسد الدين مصر و أهلها طمع في استمالتهم و علم أنهم ليس لهم صحبة، و لا للعاضد منهم نجدة، فلما رجع إلى نور الدين أخبره بذلك فجهزه بالجيوش و الأموال، فبلغ ذلك العاضد و وزيره [٦٤٨] المسمى شاور فاتفقا على منعه من الدخول إلى مصر، و علما أنه لا طاقة لهم به، فاستنجدوا بمن قرب منهم من النصارى، و كانت السواحل كلها للنصارى، فأوجدوهم و منعوا أسد الدين و صلاح الدين من الدخول، و لهم في ذلك قصص عجيب لا يسع ذكره هنا.

فلما دخلوا النصارى [٦٤٩] إلى مصر و رأوها؛ طمعوا فيها كما طمع فيها أسد الدين، فلما انصرفوا إلى بلادهم تجهزوا لذلك، و عملوا [٦٥٠] عليه، فلما تحقق

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٩٥

العاضد ما عزموا عليه، بعث إلى نور الدين يستنجده عليهم، فسئروا إليه أسد الدين و صلاح الدين، و معهما الجيوش، فسبقوا النصارى إلى مصر، و حموها منهم فرجعوا خائبين، و أقام أسد الدين في مصر و معه صلاح الدين، و صارت لهما يد على العاضد يدلان بها عليه، و علما أنهما لن يصلا إلى مقصودهما مع وجود الوزير.

و صار أسد الدين يأمر في البلد و ينهى مدلا عليهم بما فعله معهم، و يظهر لهم نصحا و صداقة، و يريد أن يصل إلى مقصوده بالاستدراج، و كان رأى صلاح الدين غير ذلك، فلم يزل صلاح الدين يتوقع قتله لوزير العاضد حتى ظفر به في الطريق خلوة، فقبض عليه و لم يكن ذلك بأمر عمه أسد الدين و قيده، ثم قتله بأمر العاضد، و توزر أسد الدين للعاضد أشهرها يسيرة، ثم توفى إلى رحمه الله.

فقام صلاح الدين مقامه و استمال قلوب الناس بالسخاء و البذل حتى قويت شوكته، و نفذت كلمته، و تمكن من الخزائن و الذخائر،

فصار ينفقها في الأمراء و الجند و وجوه الناس، فلم ينتبه العاضد لنفسه حتى وجد نفسه وحيدا فريدا، فكتب الملك العادل إلى الملك الناصر يحضه على قطع اسمهم من الخطبة، و أن يخطب للخلفاء العباسيين، فحاول هذه القضية أياما حتى وجد عليها مساعدا، و أمر أن يخطب للخليفة المستضيء بأمر الله فخشى الخطيب من ذلك، و لم يمكنه المخالفة، فخطب و دعا للخلفاء المهديين، فبلغ ذلك العاضد، فقال: هل سموا في الخطبة أحدا؟ قيل له: لا. قال: سيسمون في الجمعة الآتية.

و لم يمكنه مقاومة صلاح الدين فسكت، و انقطع في بيته و تمرض، فخطب في الجمعة الآتية للإمام المستضيء بأمر الله، فقيل: إنه كان عنده خاتم تحته سم فامتصه، و بقي أياما ثم هلك، و ذلك في سنة سبع و ستين و خمسمائة.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٩٦

فقبض السلطان صلاح الدين على أولاد العاضد و ملك القصر و ما فيه، و أباد تلك الدولة و أهلها، و أزال الله تعالى عن المسلمين الذلة، و أعقبهم بعد خوفهم أمنا، فله الحمد و له المنة.

و هذا الذي ذكرته قطرة من بحر، فإن قصص صلاح الدين أمر عجيب، و استيلاؤه على هذه أمر غريب، و من يومئذ ملك صلاح الدين مصر و أعمالها و أظهر العدل فيها، و أكثر من الأوقاف و المدارس و أنواع القربات، و لم يزل بها حاكما حتى توفي الملك العادل، فملك دمشق و كثيرا من أعمالها، و هو الذي افتتح اليمن للملك العادل، بعث أخاه إلى اليمن فملكها، و كان أخوه فيها نائبا من جهة الملك العادل.

ثم في آخر الأمر ملك السلطان صلاح الدين جميع ما كان يملكه الملك العادل، و خطب له في مصر و الشام و حلب، و جميع تلك الأعمال، و كذلك في مكة و المدينة و اليمن، و مع اتساع هذا الملك لم يخلف في خزائنه ملكه بعد وفاته غير دينار واحد، و ستة و ثلاثين درهما، و لم يخلف ملكا و لا دارا و لا بستانا و لا مزرعة، فإنه كان مغرما بالجهاد و النفقة فيه، و بذل المكرمات على أمر الجيوش، و كان يجلس في كل يوم و ليلة مرة لبث المكارم، و كشف المظالم، و وجود (بالمال) [٦٥١] قبل حصوله، و يقطعه الناس قبل وصوله.

و كان يهب الأقاليم، و لما فتح آمد طلبها منه ابن قرا [٦٥٢] أرسلان فأعطاه

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٩٧

إياها، و لما فتح القدس جمع [٦٥٣] ما حصل له من الأموال و فرقها [٦٥٤] على الأمراء و حبا بها الفقهاء، و العلماء و الزهاد، و لم يرحل من القدس و معه شيء لنفسه، و كان الذي أنفقه يقارب مائتي ألف دينار و عشرين ألف دينار، ثم جاءه وفود و لم يبق معه درهم واحد، فباع فرسه من بيت المال و فرق ثمنها عليهم، و كرمه أظهر من أن يسطر، و مع ذلك فما سمع يقول: أعطينا فلانا [٦٥٥] كذا، و ما منعه من الحج إلا- اشتغاله بالجهاد، و ضيق ما في يده مع المملكة الواسعة؛ لكنه كان قد أسقط جميع المكوس و الأعشار من البلدان.

و كان رحمه الله حسن العقيدة، قد أخذ عقيدته عن الدليل بواسطة البحث مع المشايخ أهل العلم، و كان يقرئ تلك العقيدة أولاده الصغار و يقرءونها عليه من حفظهم، و كان شديد المواظبة على الجماعة، و إذا مرض طلب الإمام إلى عنده حتى تحصل له فضيلة صلاة الجماعة، و كان يتكلف الصلاة قائما في مرض موته رحمه الله.

و كان شديد الرغبة في سماع الحديث، و سماع القراءات ممن له صوت حسن، و كان كثير التعظيم لشعائر الدين مبغضا لجميع الوظائف المبتدعة، و كان حسن الظن بالله كثير الاعتماد عليه، و كان معظما للشرع منقادا لأوامره، و قد جرى له في المحاكمات نحو [٦٥٦] ما جرى للملك العادل رحمهما الله تعالى.

و كان من أعظم الشجعان قوى النفس، شديد البأس على الكفار، عظيم

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٢٩٨

الثبات لا يهوله أمرهم، ولا تهمة كثرتهم أصلاً، و كان منصوراً عليهم في الغالب.

و كان شديد المواظبة على الجهاد عظيم الاهتمام به، و لو حلف حالف أنه ما أنفق بعد تبته للجهاد ديناراً و لا درهما إلا في الجهاد أو في الإرفاد ترغيباً في الجهاد، لصدق و بر في يمينه، و الذي وهب من الخيل في مرج عكا عشرة آلاف رأس.

و كان المسلمون في تلك الواقعة بالنسبة إلى النصارى مثل الشامه فيهم، و لقد وصل إلى النصارى على كثرتهم نجدة جاءتهم في البحر فعده ما وصل إليهم في ليلة واحدة فكان تيفا و سبعين مركبا. و هو لا يزداد إلا قوة نفس، و ثبات قلب، و لقد انهزم المسلمون في ذلك اليوم الميمنة و الميسرة و القلب، و وقع الكوس و العلم، و هو ثابت في نفر يسير من المسلمين قد انحاز بهم إلى الجبل، و هو يرد الناس و يخجلهم، و لم يزل يجمع الناس حتى ردوا على العدو و قتلوا منهم سبعة آلاف ما بين راجل و فارس، و لم يزل مصابرا لهم حتى ظهر له ضعف المسلمين، فصالح النصارى ففرحوا منه بذلك، و كان هذا دأبه إذا رأى الغلبة له استأصلهم، و إذا رأى الغلبة لهم صالحهم، كل ذلك ليتوفر جيش الإسلام و يقوى.

و كان رحمه الله سلطاناً عادلاً - رقيقاً [٦٥٧] حليماً ناصراً للضعيف على القوى، و كان حسن الأخلاق لطيف العشرة حافظاً لأنساب العرب و وقائعهم، عالماً بعجائب الدنيا و نوادرها، و كان طاهر المجلس لا يذكر بين يديه أحد إلا بخير، طاهر اللسان من السب و الشتم، لم يكتب بقلمه أذى لمسلم قط.

تاريخ المدينة المنورة / ابن فرعون، قاهره، ص: ٢٩٩

و مناقبه قد صنفت فيها مصنفات عديدة، و لا شك أن سيرته و سيرة الملك العادل حجة الله تعالى على من بعدهما من الملوك و الأمراء و غيرهم، و لهذا ذكرت هذه النبذة اليسيرة، ليتنبه بها من يقف عليها و الله الموفق.

و في أيامه رحمه الله ركب الفرنج من الأمر العظيم فكرا و افتضوا من البحر طريقاً بكرا، و ذلك أنهم عمروا مراكز حربية و شحنوها بالمقاتلة و الأسلحة و الأزواد و وجهوها إلى سواحل الحجاز، فبعضهم توجه إلى عيذاب، و أذاقوا أهلها العذاب، و أسروا تجار اليمن، و نهبوا ما معهم، و بعضهم توجه إلى أرض الحجاز.

و كان الذي فعل ذلك الإبرنس صاحب الكرك، و ذلك أنه لما صعب عليه ما يواليه من ممالك السلطان صلاح الدين، أعمل الحيلة فبنى سفناً و أتقنها، ثم نقل أخشاباً إلى الساحل ثم ركب المراكب هناك و عمرها.

فلما توجهوا إلى أرض الحجاز، أشرف أهل المدينة على الخطر، و وصل إلى مصر الخبر، و بها الملك العادل أخو صلاح الدين نائباً عنه، فاشتد حزن المسلمين لفناء بيت الله الحرام، و مقام خليله الأكرم، و ضريح نبيه الأعظم، فجهز الملك العادل مراكب في البحر و شحنها بالمقاتلة أهل النخوة للدين، و الحمية البائعين لله تعالى أنفسهم، فقصدهم، و كانوا قد افترقوا فرقتين كما تقدم، فألقوا المراكب التي توجهت إلى الحجاز في أرض رابغ، و من جهة ينبع في أرض الحوراء و الآخرين في عيذاب، فوقعوهم و أوقعوا بهم فظفرهم الله بجمعهم، و تبعوهم [٦٥٨] في الجبال و الشعاب و حاصروهم حتى أمكنهم الله منهم و لم

تاريخ المدينة المنورة / ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٠٠

يفتهم [٦٥٩] منهم أحد، و عادوا إلى القاهرة بالأسارى، فأمر السلطان صلاح الدين بضرب رقابهم حتى لا تبقى منهم عين تطرف، و لا أحد يخبر عن طريق ذلك البحر و لا به يعرف.

و كان الذي دل الإفرنج على ذلك الطريق و أخبرهم بعورات الساحل ناس من العرب أشبهوهم في الكفر، ثم إن السلطان صلاح الدين توجه بهتمته إلى جهادهم، ففتح الله تعالى عليه الكرك و أعمالهم، و طهر الله تعالى الناحية منهم، قال الله تعالى: وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَ كَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (الأحزاب: ٢٥).

و كانت وفاة السلطان صلاح الدين رحمه الله في سنة تسع و ثمانين و خمسمائة، و مولده في اثنتين و ثلاثين و خمسمائة.

و اتفق في سنة سبع عشرة و سبعمائة أن خرجت طائفة من النصيرية القائلين بقول العبيديين، القائلين بقولهم في بلاد الشام، و كان أكثر

أتباع العبيدين القائلين بقولهم ظاهرا و باطنا في ثغور الشام، فخرجت هذه الجماعة النصيرية عن الطاعة و أقاموا شخصا ادّعوا أنه المهدي، و قاتلوا الناس، و ادّعوا أن المسلمين كفره و أن دين النصيرية هو الحق، و رفعوا أصواتهم بقول: لا إله إلا على، و لا حجاب إلا- محمد، و بسب أبي بكر و عمر، و خربوا المساجد، و جعلوها خمارات، فخرج عليهم عسكر المسلمين فكسروهم، و قتلوا منهم جماعة و اضمحل أمرهم، و مزقهم الله كل ممزق.

انعطاف على ما تقدم من ذكر الأمير قاسم بن مهنا و ذريته

و كان الأمير قاسم بن مهنا منفردا بولاية المدينة المشرفة، من غير مشارك
تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٠١
و لا منازع، فلما توفي تولى موضعه أكبر أولاده، و هو جماز جدّ الجمامزة، و استمر فيها إلى أن توفي، ثم استقرّ في موضعه ولده قاسم بن جماز بن قاسم بن مهنا، و استقرّ فيها إلى أن قتله بنو لأم.
و كان الأمير شيحة نازلا في عربه قريبا منه، فلما بلغه قتل قاسم توجه إلى المدينة مسرعا حتى دخلها و ملكها، و ذلك في سنة أربعة و عشرين و ستمائة فاستقرّ فيها، و لم يتمكن الجمامزة من نزعها منه و لا من ذريته، و أقام شيحة في الولاية مدة طويلة، و كان يستناب في الولاية على المدينة إذا غاب ولده عيسى، فقدر أن الأمير شيحة توجه إلى العراق فظفر به بنو لأم فقتلوه، و كان ولده عيسى في المدينة، فطمع الجمامزة في المدينة فجاء منهم جماعة على غفلة قاصدين الاستيلاء على المدينة، ففطن بهم الأمير عيسى فقبض عليهم، و قيل: إنه قتلهم، و الله أعلم.
و استقرّ الأمير:

[٦٦٠] عيسى على الولاية مدة

، ثم إنه ظهر لأخويه منيف و جماز الكراهية لإقامتهما معه في المدينة فأخرجهما، و منعهما من الدخول.
فاتق رأيهما على خلعه من الولاية، و إعمال الحيلة في ذلك، فكاتبوا وزيره في ذلك، و كان من العنانين فأمرهما بالقدوم عليه، و احتال لهما إلى أن أدخلهما الصحن العتيق بالليل، و لم يكن يومئذ للإمارة حصن غيره، فقبضا على عيسى و قيّداه، و أصبح حاكم المدينة الأمير:

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٠٢

[٦٦١] أبو الحسين منيف بن شيحة

، و ذلك في سنة تسع و أربعين و ستمائة، و لم يزل حاكما بالمدينة و أخوه جماز يوازره و يساعده إلى أن توفي في سنة سبع و خمسين و ستمائة، فوليا من ذلك التاريخ الأمير عز الدين جماز بن شيحة، و لم ينازعه أخوه الأمير عيسى بن شيحة.
ثم إن ابن أخيه:

[٦٦٢] مالك بن منيف

انترعها منه في سنة ست و ستين و ستمائة فاستند عليه الأمير جماز بأمر مكة و بغيره من العربان، و سار إلى المدينة، فلم يقدرها على إخراجها منها، فلما أسوا رحل صاحب مكة و غيره من العربان، و بقى الأمير جماز مع جماعته، فأرسل إليه الأمير مالك بن منيف يقول له ما معناه: أراك حريصا على إمارة المدينة و أنت عمى و صنو أبى، و قد كنت له معاضدا و مساعدا و يجب علينا أن نحترمك و

نرعى لك حقوقك، و قد استخرت الله تعالى و نزلت لك عن إمارة المدينة طوعا لا كرها، فسّر بذلك الأمير جماز و حمد الله تعالى على حقن الدماء و بلوغ المقصود، و استقل بالإمارة من يومئذ، فلم تخرج عن يده إلى أن مات، و استقرت بيد ذريته إلى الآن. و كان الأمير جماز ذا رأى مصيب و كرم عظيم على إخوته و بنيهم يؤلفهم بالعطاء الجزيل، حتى استمال قلوبهم، و قوى أمره بينهم و عضده أولاده، و كان إخوته ثمانية، منهم: منيف و عيسى و محمد جد الفواطم، و أبو رديني جد الردنة، و كان أولاد جماز أحد عشر ولدا، و عاش الأمير عيسى إلى أن توفي في سنة ثلاث و ثمانين و ستمائة. و أقام جماز في الولاية مستقلا بها من غير منازع من يوم سلّمها له مالك بن منيف إلى سنة سبعمائة.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٠٣

فلما كان عام سبعمائة خلع الأمير جماز نفسه من الولاية و نزل عنها لولده الأمير:

[٦٦٣] منصور،

و أمر أن يخطب له على المنبر، و حالف الناس على طاعته و نصرته و ذلك؛ لأنه كان قد أضر في آخر عمره و شاخ و ضعف، و كان ولده منصور أبرّ أولاده به، فحسده إخوته، و تقدم أنهم كانوا أحد عشر، منهم: منصور و سند و مقبل و ودى و قاسم و مسعود و راجح و مبارك و ثابت و آخرون. و كان للأمير منصور أيضا أحد عشر ولدا، و هم: كيش و كبش و طفيل و جماز و ريان و عطية و كوير و حقان و نعيم و نجاد، و شخص آخر لعله نمي، فوقع الحسد و التباغض و التدابر بين الأمير منصور و إخوته إلا القليل، و طلع الأمير منصور إلى القلعة الموجودة اليوم، و كان الأمير جماز قد بناها لنفسه ليتحصن فيها و يكشف منها ضواحي المدينة، فلما خلع نفسه عن الولاية نزل إلى داره التي في عرصه [٦٦٤] السوق المعروف بدار خزيمة [٦٦٥]، و استقر فيها إلى أن مات في سنة أربع و سبعمائة. ثم إن أولاد الأمير جماز انفردوا و أمروا عليهم أخاهم:

[٦٦٦] مقبلا و صاروا يحاصرون المدينة و لا يقدرون عليها

، ثم إنه اتفق في سنة تسع و سبعمائة أن سافر الأمير مقبل إلى الشام لبعض مصالحه، فلما عزم على

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٠٤

السفر إلى إخوته استعمل سلما طويلا مفصلا يتركب بعضه في بعض، و هو اليوم موجود في الحرم الشريف.

فلما حاذى المدينة ساروا إليها مع جماعة يسيرة من أصحابه و نصب السلم على الحصن و دخله على غفلة، و ذلك في ليلة السبت ثامن عشرين شهر كذا من السنة المذكورة و كمن في الحصن إلى الصباح، و لم يكن بالمدينة غير كبش بن منصور، فظن مقبل أن أهل المدينة لا يواجهونه بالمقاتلة نهارا، و أن كبشا ينجو بنفسه من الذبح هاربا فلما علم بهم كبش استصرخ بأهل المدينة فأصرخوه و قاتلوا معه، فقتل الأمير مقبل و قتل أيضا أبناء أخيه جوشن و قاسم أبناء قاسم ابن جماز، فعظمت الواقعة على أولاد مقبل و إخوته، فقدموا عليهم الأمير ودى ابن جماز و قاموا في طلب الثأر، و استحکم بينهم الفساد، و كثرت بينهم الحروب، و عظمت على منصور النفقات للجيش.

فلما كان في سنة ست عشرة و سبعمائة حصل له ضيق و شدة، فطلب من الخدام المخبرين ألف درهم من كل واحد، فامتنعوا و قالوا: لا نفع لها سنة أبدا، فأنزل منهم جماعة في الجب، فجاءه بعض المجاورين و قالوا: نحن نتقدمهم في النزول، و وقع في ذلك كلام كثير، ثم فرج الله عنهم.

فبلغ ذلك السلطان، فأمر أمير الحاج المصري بمسك منصور، فلما قدم أمير الحاج مسك الأمير منصور و ولده كبش و سار بهما

معتقلين إلى مصر، فلما دخل الركب إلى القاهرة رسم عليهما في دار الضيافة نحو شهر، ثم استدعاهما السلطان الملك الناصر، و تهددهما على ما فعل منصور، و شرط عليه شروطاً أنه لا يؤذى المجاورين و الخدام، و أنّ ولده كبشا يحمل عياله إلى مصر و يقيم عند السلطان، ثم أخلع عليهما و خلّا سيبلهما.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٠٥

و اتفق في أول يوم من المحرم بعد مسك منصور و رحيل الحاج من المدينة، أن الأمير ودى و أولاد مقبل أغاروا على المدينة، فخرج إليهم جماز بن منصور فقاتلهم، فقتل من أهل المدينة نحو سبعة أنفس، و رجع جماز إلى المدينة، ثم بعد ذلك بأيام أغاروا مرة ثانية، فملكوها و خرج جماز بن منصور منها، فوصل الخبر إلى السلطان و منصور عنده، فسير معه عسكرياً عدتهم تسعون فارساً تركاً و عرباً، فوصلوا إلى المدينة في شهر ربيع الأول من سنة سبع عشرة و سبعمائه، فامتنع أولاد مقبل من الخروج ساعة، ثم رأوا أن لا طاقة لهم بالحاضرين فخرجوا على خيولهم هاربين.

فأرسل منصور خلفهم فمسك مبارك بن مقبل، ثم منّ عليه و خلّا سيبله، و بقي العسكر في المدينة يومين أو ثلاثة ثم رحلوا منها، فجمع ودى و أولاد مقبل عرباً كثيرة و ساعدتهم قتادة صاحب ينبع فحاصروا المدينة، فخرج منها منصور هو و ولده كبش و توجهوا إلى السلطان، فوجدوا في طريقهم عسكرياً وجهه السلطان إلى مكة و مقدمهم سيف الدين أيتمش [٦٦٧]، فسألهم المساعدة على ودى، و أن يمكنوه من المدينة، فاستمهلوه و كتبوا إلى السلطان بذلك، و ساروا إلى مكة، فبعث إليهم السلطان يأمرهم بنصرته، فقدموا معه إلى المدينة، فخرج إليهم ودى و أولاد مقبل و جرى بينهم قتال، و قتل ماجد بن مقبل. و كانت الواقعة [٦٦٨] في شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة، و انكسر ودى و جماعته، و تسلم منصور المدينة، و دخلها العسكر فنهبوا حتى القلعة و بيوت الشرائف، و أقاموا نحو ثلاثة أيام، ثم رحلوا، و استمر ودى و أصحابه يغيرون على المدينة

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٠٦

إغارة بعد إغارة.

و لما استقر الأمير منصور في المدينة نزل من الحصن و جلس في وسط الحرم، و قال: اجمعوا كل من في المدينة من المجاورين و الخدام فجمعوا، و كأنه تخيل أنّ ما جرى عليه من المسك و الاعتقال كان عن مكاتبته من الخدام و المجاورين. ثم قال لكل من الحاضرين: ما اسمك، فإذا عرفه قال له: ما بلدك؟ فإذا أخبره قال له: دونك بلدك، فإن تخلفت حلّ مالك و دمك. و تبعهم بهذا الكلام واحداً واحداً، ثم قام فحصل للناس همّ و غم، و بقوا في شدة عظيمة خصوصاً من له عيال.

فقال لهم شيخ الخدام الحريري: لا- يهمنكم ما وقع، من كان معه شيء فليكثر لنفسه، و من كان فقيراً فأنا أحمله و أحمل عياله حتى تبلغوا مأمنكم، و بعث لبنى سالم و غيرهم من العربان يأتونه بالجمال.

و كان للأمير منصور زوجة صالحة، فقالت له: يا منصور هب أنك تسلم من الملك الناصر، ألا تخاف من يسمع بذلك من العربان كآل فضل و خالد و بنى لأم، فإنهم يرون هذا منا كفراً. و لم تزل به حتى أرسل إلى الجماعة بأنهم يستقرون على أنهم لا يكتبون فيه، و لا يشهدون عليه.

و كان بعض الشياطين أشار عليه بأن يأخذ الخمس من الناس، فوكل بذلك شخصاً من أهل الشر يزعم أنه من كبار المجاورين الناصحين لهم، فكان يأتي الرجل الصالح في رباطه و المرأة الصالحة في رباطها فيقول: كم جاءك يا فلان في هذه السنة من الصدقة.

فيقول له: كذا و كذا. فيكتب ما قيل له و يزيد عليه، و يتتبع الوظائف كلها

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٠٧

فيأخذ منها الخمس من كل خمسة دراهم درهما، و ضاق الناس من ذلك و استمر ذلك ثلاث سنين، ثم قطعه الله تعالى.

و اتفق أن طلع عليه والدى رحمه الله لما طلب منه ذلك، فلما رآه الأمير منصور قال له: ما اسمك؟ فقال له: فلان، فقال له: كم لك

في المدينة؟ فقال له:

نحو عشرين سنة. فقال له: أنت عندنا هذه المدة ولا نعلم بك ما أظنك إلا رجلا جيدا.

ثم قال له: أشهدك الله هل تعلم أن الذي أطلبه منك حق عليك أم لا؟

فقال: اللهم لا. فقال الأمير لغلمانه: لا تتعرضوا له.

و كان له اعتقاد حسن وفيه شفقة ورحمة، و كان رحمه الله يحضر ميعاد محمد ابن إبراهيم المؤذن بعد العصر فيستدنيه فيقرأ قريبا منه، فلا يزال يبكي حتى تبلّ دموعه ثيابه رحمه الله عليه.

و لما كان في سنة خمس وعشرين و سبعمائة في شهر رمضان، كان الأمير منصور نازلا معه في عربيه في أعز ما يكون، و آمن ما يكون، و كان حديثه [٦٦٩] بن قاسم بن جماز أخو فضل بن قاسم نازلا معه، و كان آمنا من جهته، فخلا به يوما فضره بالرمح فقتله، و ظن أنه ينجو على فرس كانت هناك، فأدركه بعض أصحاب الأمير فمسكوه و قتلوه في تلك الساعة، و كان مولد الأمير منصور رحمه الله في سنة خمس و خمسين و ستمائة.

ثم تولى إمارة المدينة:

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٠٨

[٦٧٠] كبيش بن منصور و كانت ولايته نحو سنة و خمسة أشهر، و لم تصف له تلك الأيام.]

و لما كان في سنة سبع و عشرين في صفر جاء ودي و ولده عسكر و جماعة من أصحابه، فدخلوا المدينة على غفلة في وقت السحر من ناحية ذروان، و كان في المدينة:

[٦٧١] طفيل نأبا عن كبيش،]

فالتقاهم في ذروان، فقتل هاشم بن علي و سنان، و انكسر طفيل و جماعته، فخرج من درب البلاط و نجا بنفسه و أصحابه، و استقر ودي في المدينة و توجه طفيل إلى السلطان فأخبره الخبر و أقام في مصر، فطمع ودي في مرسوم السلطان، فجهز خيلا و هدية و توجه إلى السلطان في شهر رمضان من السنة المذكورة، فلما دخل على السلطان قبل الخيل و الهدية، و استمهله حتى انسلخ شهر رمضان. فلما كان ليلة العيد مسكه و قيده و حبسه، و رجع طفيل إلى كبيش عند العرب فجهز كبيش خيلا هدية و بعثها مع طفيل إلى السلطان، فوصل بها في الثاني عشر من شهر شعبان سنة ثمان و عشرين، فقبلها السلطان.

فلما كان في الحادي و العشرين من الشهر المذكور، وصل الخبر إلى مصر أن أولاد مقبل بن جماز قتلوا الأمير كبيشا في يوم الجمعة سلخ شهر رجب من السنة المذكورة، فأعطى السلطان إمارة المدينة للأمير طفيل بن منصور، و أخلع عليه و كتب تقليده، و توجه إلى المدينة، فوصلها في الحادي عشر من شهر شوال من

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٠٩

السنة المذكورة، و خرج منها عسكرودي و أصحابه.

و استمر طفيل - رحمه الله - في المدينة حاكما مدة ثمان سنين و ثلاثة عشر يوما، و استمر عسكر ودي و أولاد مقبل يشنون الغارات على المدينة و يرعون زروعها و يحرقون نخيلها و يجدون ثمرها، و في تلك الغارات قتل علي بن ودي، و عجاجه و غيرهما، و ذلك في سنة تسع و عشرين، ثم خرج إليهم القاضي شرف الدين و الخدام و صالحوهم على خمسة عشر ألف درهم، و على ثمره أملاكهم، و أملاك من يلوذ بهم.

فلما تم الصلح بينهم و بين الأمير طفيل، استنجد طفيل:

[٦٧٢] بصالح بن حديثه [٦٧٣] من آل فضل]

[٦٧٤] و بعمر بن وهيبه من آل مرا]

و

[٦٧٥] بعساف بن متروك الزراق]

، فجاءوه في جموع عظيمة، و كانوا

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣١٠

ألفين، منهم: ألف فارس و خمسمائة راحلة و باقيهم راجلة [٦٧٦]، و جمع طفيل من بنى حسين ما أمكن، و خرج بالترك الذين كانوا معه في المدينة و ساروا جيشا عظيما، و أغاروا على عسكر ودى و أولاد مقل، و كانوا ثمانية عشر فارسا و قيل خمسة و عشرون، و قيل سبعون [٦٧٧]، فكسروا هذا الجمع العظيم، و خلصوا منه سالمين بقدرة الله تعالى، و ذلك بسبب الغدر بهم عقيب المصالحة. و أما ودى فاستمر محبوسا من التاريخ المتقدم إلى خامس شهر رمضان من سنة إحدى و ثلاثين و سبعمائة، فكانت مدة حبسه نحو أربع سنين، ثم فرج الله تعالى عنه.

و لما كان في سنة ست و ثلاثين و سبعمائة، توجه طفيل إلى مصر و استخلف في المدينة ولده المسمى:

[٦٧٨] عجمي، و كان وزير طفيل يومئذ:]

[٦٧٩] علي بن مبارك الحسامي [٦٨٠]

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره ؛ ص ٣١٠

فلما كان في شهر رجب جاء ودى و جماعته على المدينة و حاصروها، فلما كان في بعض الليالي دخلوا المدينة على غفلة في

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣١١

وقت السحر من الحديقه التي في زقاق قريش و كان في المدينة الأمير عطية [٦٨١]، و الأمير زيان [٦٨٢] أبناء منصور و غيرهم، فأدركوهم في الحديقه المذكورة، و وقع بينهم قتال شديد، ثم رجعوا من حيث دخلوا من السور و أقاموا محاصرين المدينة. ثم اتفق أن جاء كتاب من عند السلطان إلى الأمير ودى بأن لا يتعرض للمدينة، و لا يقربها فرحل عنها، و وقع من القاضي شرف الدين الأميوطي ما تقدم ذكره في ترجمة الشريف يعقوب، و أمر الوصية التي بعث بها الشريف يعقوب من العرب، فغضب السلطان على طفيل.

فلما كان في شهر شوال من السنة المذكورة وصل جخيدب [٦٨٣] بن منيف بن قاسم بن جماز، و سعد بن ثابت بن جماز [٦٨٤] من مصر و معهما كتاب من السلطان إلى القاضي شرف الدين، مضمونه أن نحن قد سلمنا إمارة المدينة إلى الأمير أبي [٦٨٥] مزروع ودى بن جماز، و قد كتبنا له بذلك تقليدا، فيمكن نوابه من المدينة، و يمنع آل منصور أن يتعرضوا لأذيّة الناس، و أن لا يمسكوا [٦٨٦] شيئا من جمال السواني فيرتحلوا عليها.

فخرج آل منصور من المدينة، و لم يتعرضوا لجمال السواني، و تحمل الوزير

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣١٢

المذكور بأهله و أولاده و ماله على البقر، ثم وصل الأمير ودى إلى المدينة في شهر ذى القعدة، و قرئ منشوره على دكة المؤذنين العليا، و حبس الأمير طفيل نحو أربعين يوماً، ثم خرج من الحبس، و أنعم عليه بأخباز يستعين بها، و رسم لهم بأملأهم التي بالمدينة. و استمر الأمير ودى حاكماً في المدينة.

فلما توفي الملك الناصر في شهر ذى الحجة سنة إحدى و أربعين و سبعمائة توجه ودى إلى مصر فقرر على ولايته، و رجع إلى المدينة و استمر حاكماً إلى سنة ثلاث و أربعين و سبعمائة.

فلما كان في شهر ذى القعدة من السنة المذكورة، توجه طفيل إلى المدينة و معه جميع آل منصور بأهلهم و أموالهم، و نزلوا تحت جبل سلح مما يلي المدينة، و كان نائب المدينة عن ودى، جخيدب، و معه قلاوون بن حسن بن مقبل [٦٨٧]، فلما كان في السحر تلك الليلة التي قدموا فيها، نصبوا سلماً على السور و دخل المدينة من آل منصور فلم يقاتلهم أحد، ثم داروا على الدروب فكسروا أقفالها، و فتحو أبوابها، و دخلوا المدينة جميعهم و نهبت في تلك الليلة بعض الدور، و كسرت العرب جميع دكاكين السوق، فلما طلع النهار نادى الأمير طفيل بالأمان، فأمن الناس و خرجوا إلى الأمير طفيل و هنوه بالنصر و الولاية، و قبض طفيل على جخيدب و قلاوون و قيدهما في بعض دور المدينة، فأقاما نحو ثمانية أيام، ثم قتلا خنقا و العياذ بالله.

و استقر الأمير طفيل في المدينة، فكان مدة ولايته الأمير ودى سبع سنين و شهراً و أربعة أيام، ثم إن الأمير طفيلاً بعث إلى مصر أخاه جمازا مع الركب

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣١٣

المصرى فأنعم عليه السلطان و قرر طفيلاً على إمارة المدينة، و كتب له بعد تقليداً، و بعث إليه بالخلعة و التقليد، و كان السلطان يومئذ الملك الصالح إسماعيل بن محمد، ثم توجه طفيل إلى مصر فأكرمه السلطان و قرره على ولايته، و مكث الأمير ودى عند أهله و أقاربه إلى أن توفي رحمه الله في سنة خمس و أربعين و سبعمائة.

و كان أميراً رئيساً محتشماً مهيباً معظماً، ذا عقل و رأى، و دهاء و شجاعاً.

و كان ولده عسكر أعظم منه في هذه الأوصاف كلها، توفي رحمه الله في حياة والده بالمدينة المشرفة في سنة اثنتين و أربعين و سبعمائة، و مولده سنة تسع و تسعين و ستمائة.

و لما توفي الأمير ودى قدام آل جماز عليهم:

[٦٨٨] فضل بن قاسم

، فلما كان في شهر المحرم سنة تسع و أربعين، جاء الأمير فضل مع جماعة من أصحابه إلى المدينة و تسوروا السور و دخلوا المدينة، و جاءوا إلى الساحة و كسروا قفل درب الغنم، و دخلوا بخيلهم و رجلهم و لم يشعر بهم أحد، ثم قصدوا القلعة و دقوا بابها، فلما علم بهم من كان بالقلعة، صاحوا و استيقظ أهل المدينة و فرعوا إلى القلعة، فالتقوا مع آل جماز، و جرى بينهم قتال، ثم انتصر أهل المدينة عليهم، و أخرجهم من الدرب فرجعوا إلى أهلهم و لم يحاصروا المدينة، و استمر الأمير طفيل رحمه الله حاكماً على طريقة حسنة، و مآثر مستحسنة، إلى سنة خمسين و سبعمائة، فصدرت منه أشياء عن تدبير بعض الوزراء لا تليق بمثله، فكتب فيه القاضي شرف الدين الأميوطي،

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣١٤

و قد ذكرنا ذلك.

و في [٦٨٩] أثناء تلك السنة جاء الخبر أن السلطان قد ولي:

[[٦٩٠]] سعد بن ثابت بن جماز

إمارة المدينة فلما كان في شهر ذي القعدة جمع الأمير طفيل جميع آل منصور و خلقا كثيرا من العرب، و عزم على منع سعد بن ثابت من دخول المدينة، فقدم سعد مع الراكب الشامي، فبلغه ما عزم عليه الأمير طفيل، فطلب المساعدة من أمراء الراكب الشامي، فامتنعوا، و قالوا: لا- بد من إذن السلطان لنا في ذلك، فرحل سعد من البركة، و بعث إلى السلطان يستأذنه في ذلك، و دخلت الحجاج [٦٩١] جميعها دفعة واحدة، و هم خائفون مما يحدث عند تغير الدول و العياذ بالله، و أقاموا في المدينة يومين، و رحلوا جميعهم دفعة واحدة في صبيحة اليوم الثالث، و أودعوا في المدينة ما جرت عادتهم في ذلك.

فلما كان في اليوم السادس عشر من ذي الحجة جاء قاصد الأمير طفيل من مكة، و أخبر آل منصور بما أزعجهم و هو مرسوم السلطان لجميع أمراء الحجاج أن يمكنوا سعدا من المدينة [٦٩٢].

فلما كان في ليلة الجمعة ثامن عشر الشهر المذكور، اتفق رأى آل منصور على نهب المدينة، و كان الأمير طفيل لذلك كارها ثم غلب على رأيه، و نهب آل منصور و أتباعهم، و من معهم من بني حسين، و من حضر المدينة من الخيابة، و غيرهم، جميع الوضيع الذي للحجاج الشامي، و لم يسلم لهم إلا النادر في بيوت

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣١٥

معدودة كما تقدم، و نهبوا دور الخدام و المدارس، و استمر النهب من عشية الخميس إلى آخر نهار الجمعة، و خرج آل منصور جميعهم من المدينة في ليلة السبت.

و جلست:

[[٦٩٣]] هيمان بنت مبارك بن مقبل

في القلعة في شباك الإمارة يوم السبت، و تسلمت مفاتيح الدروب [٦٩٤] و حكمت في المدينة يوم السبت و يوم الأحد إلى الظهر، ثم وصل محمد بن مقبل بن جماز و غيره، و دخل الأمير سعد ابن ثابت يوم الثلاثاء مع الراكب المصري، و قرئ منشوره يوم الجمعة الخامس و العشرين من ذي الحجة سنة خمس و أربعين و سبعمائة.

و في سنة إحدى و خمسين ابتداء الأمير سعد في عمل الخندق الذي حول السور، و مات و لم يكمله، و أكمله الأمير فضل في ولايته، و لما كان في شهر شوال من السنة المذكورة جاء آل منصور على غفلة، و دخل المدينة منهم ثلاثة أمراء من سور باب البقيع، و حاولوا كسر قفل الدرب، فأعجلهم بعض الترك من المدينة، فرجعوا من حيث دخلوا و أصبحوا محاصرين المدينة، و رعوا الزرع و قطعوا الأشجار.

و لما كان في أول سنة اثنتين و خمسين، توجه الأمير طفيل إلى مصر فغضب عليه السلطان و حبسه في القلعة، و كتب السلطان إلى الأمير سعد يأمره يحضر ما أخذ طفيل للحاج، و لأهل المدينة، فحضر بعض ذلك، و كتب به محضرا و سير به إلى السلطان و كثرت شكاوى التجار على طفيل فغرم للبعض و صالح البعض، و ندم على ما وقع، و استمر محبوسا إلى أن توفي في الحبس في شهر شوال

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣١٦

من السنة المذكورة.

و كان رحمه الله خليقا للملك، سلطانا مهيبا معظما محببا إلى الرعية، عالي الهمة، كامل السؤدد، جم المناقب، يوالى المجاورين، و يحسن إليهم و يقبل شفاعتهم، و والانا بأحسن الموالاته، و نصرنا في مواطن عديدة، و كان بينه و بين أخى على صحبة أكيدة قل أن يرد شفاعته، تعمده الله برحمته.

وفي هذه السنة توجه الأمير سعد لقتال آل منصور، فانهزم عنه أصحابه، و جرح و رجع إلى المدينة في شهر ربيع الآخر و هو مريض، فتوفى من ذلك الجرح في ثامن عشر، فكانت ولايته سنة و ثلاثة أشهر و ستة و عشرين يوما.

و كان في دولته من أحسن الأمراء سيرة، شجاعا، وافر الحشمة، ناصرا للسنة، قامعا للبدعة، متخلقا بذلك، مستجلبا به رضا السلطنة. و لما توفى الأمير سعد رحمه الله اجتمع آل جماز و أجمعوا على تقديم الأمير فضل بن قاسم بن جماز [٦٩٥]، و حالفوه على الطاعة و النصر، و خطب له على المنبر، و توجه مانع بن على إلى السلطان يستنجز له مرسوما، فأجابهم السلطان إلى ذلك، و بعث إليه بالتقليد و الخلع، و وصل بهما مانع بن على في شهر جمادى الآخرة و قرئ منشوره على دكة المؤذنين، و استمر في الولاية إلى آخر السنة سنة أربع و خمسين و سبعمائة، فمرض مرضا شديدا و توفى في السادس و العشرين من ذى القعدة، و دفن في قبة الحسن و العباس، كان رحمه الله شهما، شجاعا، مقدما، مهيبا، سايسا، ذا رأى صليب، و غور، و دهاء و معرفة بالأمور.

و لما توفى الأمير فضل؛ أجمع رأى آل جماز على تقديم الأمير:

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣١٧

[٦٩٦] مانع بن على بن مسعود بن جماز

، و حالفوه على الطاعة، و توجه إلى مصر محمد بن مقبل بن جماز يسعى لمانع في تقرير الولاية، و سافر معه محمد بن مبارك بن جماز، و قيل: إنه قصده السعى لنفسه في الولاية، فولى السلطان الأمير مانع، و بعث له بالتقليد و الخلع مع محمد بن مقبل. و كان الأمير مانع قبل ولايته متعبدا متدينا، سليم الباطن، فلما تولى إمرة المدينة؛ ضعف رأيه عن تدبيرها، و كثرت الفتن في أيامه، و تتابعت الغارات على المدينة من آل منصور و ضعف عن دفعهم، فكان يستعين عليهم بنى لام، و يجزل لهم العطايا، فنفذ ما بيده و طلب المساعدة من أهل المدينة، فساعده مرارا، ثم طلب المساعدة من الخدام و المجاورين، فساعده و تكلفوا ذلك مرارا، ثم حصل منه جور على المجاورين و أهل المدينة، فبلغ السلطان ذلك، فبعثوا إلى الأمير:

[٦٩٧] جماز بن منصور ٢

، و كان مقدما على جماعته من بعد وفاة الأمير طفيل، و ولوه إمارة المدينة، و وصل إلى المدينة مستصحبا للتقليد و الخلع في الحادى عشر من شهر ربيع الأول من سنة تسع و خمسين سبعمائة، و لم يكن الأمير مانع يومئذ بالمدينة، و كان فيها نائبه محمد بن مقبل، و قد تقدم ما جرى للأمير جماز معهم في ذكر ولاية القاضى تقى الدين الهورينى.

و لما استقر الأمير جماز في المدينة جرى في أحكامه على الشدة، حتى خرج عن الحد، و دانت له البادية و الحاضرة، و كان خليقا للملك، شهما، شجاعا، وافر الحرمة، عظيم الهيبة، ظاهر الجبروت، هذا و غالب أيامه كان مريضا،

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣١٨

و كانت ولايته ثمانية أشهر و عشرة أيام، و قتل شهيدا في اليوم الحادى و العشرين من شهر ذى القعدة من السنة المذكورة، قتله فدوايان قدما مع الركب الشامى لذلك، و قتل و هو فى أعز ما يكون و أنصاره بين يديه واقفون [٦٩٨].

و ذلك لما قدم الركب الشامى خرج لتلقى المحمل السلطانى على عادة من تقدمه من الأمراء، فلما وصل إلى المحمل ترجل عن فرسه و أظهر الطاعة للسلطان، و فرش له بساط، و أخرجت الخلع السلطانية فلبسها و أعطى العمامة، فاشتغل بلفها، فخرج عليه رجلان أشقران خبيثان فضرباه بخنجرين، فأنفذا مقاتله و اختفيا من حينهما، فلم يعلم لهما خبر.

و ظن آل منصور أن الأمر أشد من ذلك، و أن الأمر غير قاصر، فلم يتعرض له أحد غير أنه نهبت جميلات يسيرات من أطراف الحاج، فلما تراجع آل منصور هموا بإقامة فتنه، و سفك دماء و ما لا خير فيه، فعصم الله الناس من ذلك بالأمير:

[٦٩٩] هبة بن جماز بن منصور

، فظهر منه يومئذ من الاحتساب في مصيئته، و الصبر على رزيته، ما يعجز عنه الأئمة الأعلام، فأمن الناس و طيب قلوبهم، و نادى فيهم بالأمان، فاطمأن الحاج و جرى على عادته في البيع و الشراء، جزاه الله خيرا، و ساعده على ذلك عمه الأمير زيان بن منصور المتحلى بحسن الأخلاق، و الشيم، و الصيانة، و الشجاعة، و الكرم. و لما وقع بالأمر جماز ما وقع اجتمع الناس على الأمير هبة بن جماز و سألوه أن يقبل الولاية فامتنع و قال: أنا أجلس في القلعة لحفظ المدينة و أهلها، و حفظ الأحواج، تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣١٩

فانظروا لهذا الأمر غيري، فسألوا الأمير زيان في ذلك، فامتنع و قال: لا أتقدم على أخي عطية، و هو خيرنا و أديننا، فاتفق رأى الناس على تقدمته، و كان غائبا عند العرب، فكتب إلى السلطان شفاعته في أن يولى عليهم الأمير:

[٧٠٠] زين الدين عطية بن منصور

، و ذكروا أن آل منصور قابلوا ما وقع للأمير بالصبر و الاحتساب، و حفظ الحاج و الطاعة للسلطان، و توجه الأمير نعيم بن منصور إلى مصر ساعيا للأمير عطية في الولاية، و استمر هبة بن جماز حاكما إلى رحيل الركب المصري من المدينة، ثم خرج من المدينة و توجه إلى عربيه، و طلع الأمير زيان إلى القلعة و حكم في المدينة. و لما وصل نعيم إلى مصر حبسه السلطان أياما، ثم طلب و أخلع عليه، و كتب للأمير عطية تقليدا بإمارة المدينة، و بعث بالتقليد و الخلعة مع الأمير نعيم، فوصل إلى المدينة في يوم السبت الثامن من شهر ربيع الآخر سنة ستين و سبعمائة، و وصل في تلك الأيام الأمير زين الدين عطية فلبس الخلعة و قرئ منشوره على دكة المؤذنين.

و كانت ولايته من الله تعالى (عطية) [٧٠١] كاسمه، لما انطوت عليه سيرته من الخير و الصلاح و التوكل على الله تعالى، و الزهد في الدنيا و الكراهة في الأمر و النهي، و سعيه في مصالح دينه، قانتا لله خائفا منه منيبا إليه، أوقاته مقسمة في الطاعة ما بين خلوة في عبادة، أو نظر في مصالح رعيته، دائم الصمت، كثير الخشية، يجلس في النادي فلا يخوض معهم و لا يضحك لضحكهم، قد لزم السكون و اشتغل قلبه بذكر معاده، إذا صلى الصبح جلس في مصلاه و لا يتكلم

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٢٠

حتى يصلى الضحى مع حسن توجه و إقبال على الله تعالى.

و انصلح بصلاحه جميع قرابته، ورد المدينة إلى حالة يغبط أهلها على سكانها من العافية و الأمن العظيم، و سلامة الناس في أنفسهم و أهلهم [٧٠٢] و أموالهم، و كان في الولاية كارها لولا- ما يخاف من خروجها عن آل منصور لو تخلى عنها، و لم يزل يشكو من المكس و العشور، و يمنع وزيره أن يدخله في مطعمه أو مشروبه، حتى طهره الله بحسن نيته، و صلاح سريرته، و عوضه عنه خيرا منه من جهة السلطان الملك الأشرف شعبان، بإشارة الأمير الكبير، ذي الحسنات العديدة، و المآثر الحميدة أتاك الدولة المنصورية [٧٠٣] سيف الدين يلبغا، فسّر بذلك و حمد الله تعالى عليه.

و مع هذا فما كان أمير المدينة و لا يظهر بولايتها عزا و لا فخرا، و لم يقيم فيها سنة متواليه منذ ملكها إلى الآن، بل يقيم فيها إخوته و ولده كراهية من مباشرة الأحكام، و خوفا من الوقوع في مظالم العباد، و يوصى كل من استتابه في المدينة بحسن السيرة، و صفاء السريرة، و لا جرم أن أخاه و ولده، جدد الله سعدهم ساروا في الناس أحسن سيرة، و تخلقوا بأخلاقه الحميدة، جزاهم الله عن الناس خيرا.

و لما نهب آل منصور وضيع الحاج، كان الأمير زين الدين حاضرا معهم فلم يتدنس بشيء من ذلك، و تورع عنه، و من شأنه التورع

عن المواريث التي يعلم أن أهلها غيب، و يحفظها عليهم، و ينفذ وصايا الأموات الذين لا وارث لهم، و يخرج الزكاة من ماله على المستحقين، و يحسن إلى أرامل الشرفاء و أيتامهم من صلب

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٢١

ماله، و مناقبه كثيرة، و محاسنه عديدة، و فقه الله لفعل الخير، و وقاه كل ضرير.

و لا- شك أن ولاية هذا الأمير و حسن سيرته، حجة لله تعالى على من عاصره من الأمراء و على من يأتي من بعده، كما أن سيره الملكين العادلين، نور الدين الشهيد و صلاح الدين بن أيوب حجة الله تعالى على من خلفهم من الملوك و السلاطين، فإنه لا يعجز أحد عن التشبيه بمن عاصره، أو قربت أيامه من أيامه، و خلفه من محل ولايته، إذا حسن نيته، و سأل الله تعالى الإعانة و التوفيق.

فيجب على أهل المدينة الدعاء لهذا الأمير، و إخلاص الطاعة له، و نشر محاسنه، فبالشكر تدوم النعم، فلا زالت سعادته طالعة في برج سيادته، و سيادته محفوفة بحفظ الله تعالى و كلاءته.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٢٣

فصل [في ذكر أحوال والد المؤلف و أخويه]

إشارة

و لنختم الكتاب بذكر شيء من أحوال والدي و أخوي رحمهم الله.

فأما والدي فهو:

[٧٠٤] أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل

بن أبي القاسم فرعون بن محمد بن فرعون اليعمرى، الأبدى المحتد، ثم الجياني التونسي المولد و المنشأ، و اليعمرى نسبة إلى يعمر- بفتح الياء المثناة من تحت و العين المهملة الساكنة و الميم المفتوحة و الراء المهملة بلا شك- و هو يعمر بن مالك بن بهثة بن حرب بن وهب بن جلي بن أحسن بن ضبيعة بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان

قال ابن حزم في كتاب (جمهرة الأنساب): و من بنى يعمر الأبيديون بالأندلس، و هم ناقلة من ناحية منبج، و هم بنو بكر بن عبد الحميد بن معمر بن الطفيل بن جعفر بن صالح بن الحشر بن ضبيع بن ذؤيب بن يعمر بن مالك بن بهثة [٧٠٥]. و قيل في يعمر: إنه بضم الميم، و الأول أصح و أشهر.

و يعمر بفتح الميم مضارع قولهم: عمر الرجل، بفتح العين و كسر الميم: إذا عاش زمانا طويلا. و إنما سمي بذلك تفاؤلا بطول العمر. و الأبيدي بضم الهمزة و تشديد الباء الموحدة، و بعدها دال مهملة نسبة إلى بلدة الأندلس من كورة جيان، و جيان بفتح الجيم و تشديد الياء المثناة من تحت

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٢٤

بعدها ألف و نون.

كان رحمه الله قد اشتغل بالعلم على شيوخ بلده، و برع في الفقه و الأصول و العربية، و شارك في علوم عديدة، و سمع الحديث على الحافظ جمال الدين أبي بكر بن يوسف بن مسدي، و صحب الشيخ أبا محمد المرجاني، و خرج في صحبته للحج من تونس، فلما وصل إلى مكة لحقه مرض فقال له الشيخ أبو محمد: هذا إشارة إلى الإقامة.

فأقام بها و لم يتعرف بأحد من الناس، و لم يكن معه من النفقة غير ما أعدّه للطريق. فبنى على التوكل على الله تعالى، فعرف مكانه من

العلم و اشتهر بحسن الخط مع الضبط و الصحة، فسأله بعض الناس في نسخ (الروضة) للشيخ محيي الدين النووي رحمه الله، فنسخها له جميعا و استعان بما حصل له.

ثم انتقلت تلك النسخة مع بعض الشافعية إلى المدينة، و هي اليوم في المدينة موقوفة في المدرسة الشهابية، مع نسخة أخرى نسخها بعد إقامته في المدينة.

ثم حج و رجع إلى تونس، فوجد الشيخ أبا محمد المرجاني قد انتقل إلى رحمه الله تعالى، فحمل ما له من الكتب، و كانت كلها أو غالبها بخط يده، و كانت كتباً كثيرة جليدة، فلما وصل إلى الإسكندرية باعها، حتى لم يبق معه إلا ما هو محتاج إليه من خطه و خط والده.

ثم قدم المدينة فسكن المدرسة الشهابية بين تلك الجماعة الذين تقدّم ذكرهم و فضائلهم، و كانت نيته أن لا يشتغل بشيء غير نفسه، و لا يتعرف [٧٠٦] بأحد من

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٢٥

أبناء جنسه، فألزمه حضور الدرس؛ لأجل المسكن، فلما حضر معه الطلبة اشتهر بينهم بعلمه و فضيلته.

و كان متفننا في عدة علوم، فعظم عند الجماعة و أحبه و لزمه، و اشتغلوا عليه بالفقه و العربية، و اشتغل عليه جماعة في علم الهيئة، فأبان عن فضيلة تامة فكثر عليه المشتغلون في علم الميقات.

قال لي رحمه الله: كنت قد قطعت وقتي مع المشتغلين بعلم الميقات، و حرت في الخلاص منهم. حتى سمعت شخصا من العوام يقول يوما لجلسائه: ما رأيت أعلم من هذا المنجم، قال: فقلت في نفسي: لقد أسأت باشتهاري بهذا العلم، حتى يطلق على هذا الاسم، فتركت الاشتغال به.

و كان له اختلاط بالجماعة الذين تقدم ذكرهم: كالشيخ أبي محمد البسكري و أصحابه، و الشيخ أبي الحسن، و الشيخ عبد الواحد الجزولي، و الشيخ أبي العلاء الأندلسي، و الشيخ أبي إسحاق، و جماعة من الصلحاء الخدام، و خلائق لا يحصون كثرة، فعرضوا عليه الزواج فامتنع من ذلك فكثروا عليه و رغبوه في والدتي، و كانت الكبيرة من أربع بنات شرائف. كان والدهن يقال له: الشريف عبد الواحد الحسيني، ثابت النسبة، و كان يتناول من وقف بلقس بعد أن أثبت نسبه [٧٠٧] في القاهرة.

و لما حج نقيب الأشراف شرف الدين أوقفه على تلك النسبة، فلما رأى عليها خطوط القضاء المصريين، أثبت اسم بنته مباركة في الشرفاء الذين يصرف إليهم وقف بلقس، و استمرت تقبضه إلى أن توفيت إلى رحمه الله تعالى.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٢٦

و كان زواجه لوالدتي من بزه بنا، إذا ألحقنا بنسب النبي صلى الله عليه و سلم فجعلنا من ذريته إجماعا، و شرفاء عند أكثر العلماء، و بذلك أفتى ناصر الدين المسدالي و غيره ممن هو مثله في العلم، و كمل بزه بأن علمنا فأحسن تعليمنا كما ترى، و أدبنا فأحسن تأديبنا، درى بذلك من درى، و كان من أسباب تزوجه و تأهله في المدينة بعد تبته و كراهته لذلك.

اتفق في بعض الأيام أن الجماعة سألوا والدي أن يقرأ عليهم شيئا من كتب الرقائق فأجابهم إلى ذلك.

قال لي رحمه الله: و كان من جملة ما قرأته أن رجلا كان يسأله جاره أن يزوجه إحدى بناته فيقول له: لا حاجة لي بالزواج فرأى ليلة في منامه أن القيامة قد قامت، و أن الناس في شدة حرّ عظيم، و عطش شديد. و كان بينهم ولدان معهم إدوات [٧٠٨] يتخللون الناس.

قال الرائي: فقلت لولد منهم يا ولدي أنا عطشان فاسقني، فقال له: اذهب فما لك فينا ولد، قال: فاستيقظ الرجل و به رجفة عظيمة، فدق الباب على جاره، و قال: زوجني إحدى بناتك الآن، فلي قصة عجيبة. فروجه و لم يأت عليه الصباح إلا و هو مع زوجته.

فلما قرأ والدي هذه الحكاية، رغب الجماعة والدي في الزواج فأطاعهم و تزوج والدتي رحمهما الله، و كان بناؤه بها ليلة الاثنين الثالث عشر من شهر صفر عام اثنين و تسعين و ستمائة، فولدت له خمسة ذكور توفي منهم في حياته اثنان، و كان يقول: عندي مسرة

بمن قدمته أكثر من مسرتى بكم رجاء ما وقع فى تلك

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٢٧

الحكاية نفعه الله بهما، و كنت أول أولاده، و كان مولدى يوم الثلاثاء السادس من جمادى الآخرة عام ثلاثة و تسعين و ستمائة. كان رحمه الله لا- يزال مشغولا بنفسه و بذكره و قراءته و اشتغاله بكتب العلم، ليس مع الناس فى شىء من أحوالهم الدنيوية، و لم يصدّه العيال عن شىء من الأوراد و الأفعال الصالحة التى كان عليها، و كان ذا عيال كثيرة لم يمسه منهم قرابة لكن أصهاره قد جمعه معهم فى بيت و فى نفقته، و مع ذلك لم يكن يههم شأنهم و لا شأن أولاده، بل قدم اشتغاله بالآخرة على كل شىء حتى كأنه خلى من التعلقات رحمه الله، و كلما نظرت إلى حالى و سعة مسكنى و ضيق خلقى و قلّة صبرى مع ما رأيت من ضيق مسكنه و سعة خلقه و طول صبره صغرت عند نفسى، و أيست من خيرى، و أنى لى بحسن أخلاقه و حفظ لسانه.

حكى الشيخ محمد الخراز رحمه الله و الشيخ عمر الخراز رحمه الله، أنه لما حج والدى معهما مع جماعته المباركين الذى تقدم ذكرهم كانوا رفقة واحدة، مع عدة جمالين، قالوا: فلما حججنا و رجعنا و كنا قريبا من المدينة المشرفة، اجتمع الجمالون يتحدثون و يذكرون سيرة ركبهم معهم، فقال جمال والدى لأصحابه: يا جماعة أما رقيقى الذى أركبته فأخرس لم يتكلم منذ صحبتته بكلمة، فقال له رفيقه: بل و الله سمعته يوما يتكلم مع أصحابه، و كانت هذه طريقته سفرا و حضرا، لا يراه أحد جالسا فى طريق و لا فى حلقة فضول، و لا يتكلم إلا جوابا، و إن جاب لم يفتح للفضول بابا.

كان القاضى فخر الدين محمّد بن محمّد بن الحارث المعروف بابن المسكين الفقيه الشافعى إذا لقينى يقبل علىّ و يسلم، و يقول: رحم الله والدك الشيخ أبا عبد الله، ما كان أحسنه و أكثر أدبه و خيره.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٢٨

و حكى لى أنه اتفق له معه قضية، قال لى رحمه الله: كنت إذا صليت صلاة الصبح أجلس فى مصلاى حتى تطلع الشمس و أصلى الضحى و أنصرف، و كان يومئذ فى الروضة المباركة جماعة من الأشياخ المباركين، قال: و كنت أرتقب بصلاتى ارتفاع الشمس، و أرى الناس ينتظرون الشيخ أبا عبد الله و يقومون لقيامه، و كان يقوم إذا وصلت الشمس فى الحائط الغربى إلى تحت الشباييك الصغار.

قال: فقلت: لا أقدر أقول للجماعة كلها: أخرّوا صلاتكم حتى ترتفع الشمس، و لكن أجمع بهذا الشيخ الذى يؤمهم فى هذا الوقت، قال:

فاجتمعت به و كنت به جاهلا فقلت له: رأيتك تقوم لصلاة الضحى قبل وقتها، و قد نهى النبى صلى الله عليه و سلم عنها حتى ترتفع الشمس و تبيض، و هذا وقت تكراه فيه الصلاة، و كثرت عليه من الأدلة، و أنا فى اجتهاد وحده حتى فرغ ما عندى، فالتفت إلىّ، و قال: بعد اليوم نؤخر كما قلت، و سكت عنى، و اشتغل بما كان فيه، فانصرفت عنه و سألت عنه، فقيل لى: هذا الشيخ أبو عبد الله بن فرحون، فندمت و قلت: أى حاجة دعتنى إلى التعرض لهذا الشيخ، قال: فرحت إليه و اعتذرت فتبسم و قال: ما قلت إلا خيرا. فأنأ أدعو له كلما ذكرته.

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن الغرناطى، كنت جالسا فى المسجد الشريف مع الشيخ أبى القاسم القبتورى و قد تقدم ذكرهما، فقال لى يا محمد رأيت قط الكبريت الأحمر الذى لا يتغير أبدا و لا يتحوّل؟ فقلت له: لا، فقال: انظر إلى عبد الله بن فرحون منذ دخل المدينة لم يتغير حاله.

قلت: كان رحمه الله قد ترك الاشتغال بنا، فكنا نغيب فلا يسأل عنّا، و نمرض فلا يهّمه مرضنا، بل يسأل الله لنا و يدعونا، فنحن نتقلب فى بركنه

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٢٩

و بركة دعائه.

أخبرني أنه يوما خرج في الموسم عند قدوم بني عقبه يريد شراء نفقته، و كان غالب عيش المدينة من زرعها و زرع السوارقية، لا يأتي من الشام إلا قليل حتى كان السعيد (من) [٧٠٩] يدخل بيته حمل أو حملان [٧١٠]، و كان للدَّرَاب [٧١١] على من يشتري شيئا مكس كثير، و خراج عظيم.

قال: فاشترت حمل قمح، فلما دنوت من الدرب، قال لي صاحب الجمل:

أنا ما أدخل به أخاف أن أطلب بخراجه، قال: فقلت له: سق الجمل و أنا أتكفل بما يريدون منك، ففعل، فلما أردت الدخول قرأت أوائل سورة (يس)، و تعوذت، و دخلت مع الجمل فلم يرونا، و لا- عرفونا، فجاءهم من ذكر لهم أني اشترت حمل قمح فقالوا: لم يدخل به من عندنا و لا- رأيناه، فدفع الله شرهم عنه بصدقه و ضرورته لعياله، فمن كان مع الله كان الله معه، توفي رحمه الله يوم الخميس الرابع و العشرين من شهر ربيع سنة إحدى و عشرين و سبعمائة، جدد الله عليه الرحمة.

و رآه أخي على في المنام بعد وفاته، فقال له: يا سيدي ما فعل الله بك، قال:

أعطاني و جاني، فها أنا في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

و أما أخي:

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٣٠

[٧١٢] نور الدين أبو الحسن

على (كنيته) [٧١٣] و اسمه من العلو و الدين، مع ما حوى من: علم الفقه و الأصول و العربية و الحديث و اللغة و المعاني و البيان و الأدب، مع المشاركة العظيمة في سائر العلوم، و كان قد بلغ في العلوم الأدبية إلى النهاية، فإن قلت: لم يكن في زمانه بالمدينة و الحجاز من برع براعته، و لا ساد سيادته، فشهادة [٧١٤] حق عليها كل الخلق، ممن جل و دق، و كان يلقي درس الفقه في (مختصر ابن الحاجب)، فيحضره الشيخ حسن الحاحائي، و الشيخ عبد السلام بن غلام، و كانا من الفقه بمكان، لم يلحقهما في علمهما و عملهما مثلهما و قد تقدم ذكرهما، و كانا يدققان معه في البحث المتين فيظهر بذهن ثاقب و حفظ معين.

و له تواليف مفيدة في العربية و الحديث و اللغة و التصوف، و له (ديوان) كبير في مدح النبي صلى الله عليه و سلم، و في مدح غيره، و له مجلدات من جمعه مشتملة على فوائد و غرائب.

و كان الشيخ الإمام العلامة حجة العرب، و ترجمان الأدب:

[٢٥٦- سراج الدين الدمهوري]

قد جاور في المدينة في سنة خمس و أربعين و سبعمائة، فكان إذا جلس في درس يقول للطلبة: إذا حضر الفقيه نور الدين فأحضروا معكم الدواة و الورق، حتى تقيدوا من فوائده و من أشعاره و استشهاده، فكان كذلك.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٣١

و كان هذا الشيخ سراج الدين الدمهوري من العلماء الأستاذين الذين انفردوا في زمانهم عن أقرانهم بعلوم جمه، كالقراءات و العربية و اللغة، مع الفقه الغزير، و المشاركة في كثير من العلوم، و لكن كان في تلك العلوم في أعلى درجاتهم من الحفظ و الذكر.

عرضت عليه شرحي و إعرابي (لبانت سعاد) المسمى (بشفاء الفؤاد من بانت سعاد)، فوجدته في مذاكرتي له بحرا زاخرا، و كان أخي على أحيانا يأتيه فيتعجب من حفظه و ذكره و يقول لي: قل إن رأيت مثله. توفي رحمه الله في ثاني شهر ربيع الأول في سنة اثنتين و خمسين و سبعمائة.

و كان لأخى ميعاد وعظ يقرأ فى كلّ جمعة بعد الصلاة على كرسى عال بالروضة المشرفة بصوت حسن و أداء حسن، لا يمل السامع من قراءته بل يتلذذ بإطالته، و كان وعظه من كلام ابن الجوزى فى (التبصرة)، فكان بعض الناس يقول: عاش ابن الجوزى للناس. و كان هو رحمه الله [٧١٥] أول من اتعظ بقوله و انتفع بوعظه، فصار يلزم الصيام و يسرده و يقوم من الليل أكثره، و رقت نفسه و درت دمعته كأنه (علم) [٧١٦] بقرب [٧١٧] الأجل، فبادر للعمل، كان رحمه الله يقول: و الله ندمت [٧١٨] على ما أفنيت فيه عمرى من الاشتغال بعلم الأدب، يا ليته كان فى الكتاب و السنّة.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٣٢

كان يرى لى أكثر ما يرى الولد لوالده فى التعظيم و الجاء [٧١٩] و الإ-كرام، و أما الغيرة على و الانتصار لى، و اهتمامه بحالى و ما يعرض لى من عدو يشنأنى [٧٢٠] فلا يوصف قدره، فله دره، و بلّ بالرحمة قبره.

توفى رحمه الله فى يوم الجمعة الثالث و العشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ست و أربعين و سبعمائة، و مولده ليلة الجمعة العشرين من ربيع الأول عام ثمانية و تسعين و ستمائة. و أما أخى:

[٢٥٧- محمد رحمه الله تعالى]

فكان على طريقته والده من العزلة، و محبة الوحدة و الخلو، و قلّة الخلطة، كان بى حفيّا، و فى دينه قويّا، صبر على مجاهدة النفس فى العبادة، حتى صارت له سجية و عادة.

كان رحمه الله من عظم شفقتة على يجلس دائما على طريقى إلى الصف الأول، فلا- يمر يوم حتى يقف معى و يسألنى عن حالى و يدعو لى بقلب صاف، و ودّ واف، و متى فقدنى فى وقت صلاة، وقف علىّ فى بيتى و سأل عن حالى.

خلفه ولده محمد فسلك طريقته، و زاد بصحبة المشايخ و الفقراء و الأخذ عنهم، له اشتغال فى الفقه و النحو و اللغة، و مع ذلك تراه كأنه أحد الترابية أعانه الله و وفقه.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٣٣

و كانت وفاة أخى محمد رحمه الله فى شهر جمادى الأولى سنة خمس و خمسين و سبعمائة، و مولده ليلة السبت سلخ شوال سنة سبعمائة، تغمده الله برحمته، و أسكنهم فسيح جنته، كما نقلهم من لين المهود، إلى ضيق اللحد، فما أعظم مصيبة فراق الإخوان، و

قولى: كان فلان و كان فلان و كان [٧٢١]، ربّ ارزقنى صبورا فلم يبق إلا القليل، و متعنى بسمعى و بصرى و كلاهما عليل، و الله تعالى هو الباقي بعد كل خلّ و خليل.

لو أنّ ما أبتت الأيام من جسدى يكون فوق حباب الماء ما غرقا

أو كان فى مقلة نامت لما انتهت أو كان فى لهوات الماء ما شرقا

يا رب اعترتنى أسقامى حتى نحلّت، و كتر علىّ الجديدان حتى ذبت و ازدددت و هنا و ضعفا لما طعنت، فإن سألتنى: ما حالك؟ قلت:

ما حال من أبلت الأيام جدّته و خانة ثقاته السمع و البصر

و قلت أيضا:

تفكرت فى خمس و سبعين قد مضت [٧٢٢]

من العمر لو مرت على حجر فنى

ذهبن بعيش أخضر غير يابس شباب و شيب و استلاب محاسن

[٧٢٣].....

زهت يا لها في وقتها من محاسن

و قد سلبت عنى صفى أحبتي و غابت و لم تقبل فدى من خزائنى

سلام على الدنيا سلام مودع فكم جرعتنى مترعات الغبائن

و لما كان فى سنة ثلاث و ستين و سبعمائة فى شهر شعبان تحامل على الأعداء،

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٣٤

و قصدوا إتلافى و إعدامى، و كمنوا لى فى السّحر عند خروجى لصلاة الصبح، و رصدونى عند رأس الزقاق تحت دار سلطان بن نجاد، و كان فى أيام الصيف و المدينة خالية من أكثر الناس، فخرجت على عادتى و بيدى مصباح، و قدر الله أن الغلام تأخر عنى فى البيت فكنت وحدى.

فلما خرجت من زقاقنا و توجهت إلى السوق سمعت خلفى عدوا شديدا، فلم ألتفت إليه، و ظننت أنه مارّ، فعدا علىّ و ضربنى فى ظهرى بسكين ضربة شديدة عظيمة وقعت بها على الأرض، ثم رجعت من حيث جاء و ظنّ أنه بلغ مقصوده، فوقى الله شره و عتوه، لكنه ظلّ عنى و وهنتى، فصرت لا أحمل نفسى إلا بكلفة و مشقة، و ما دفع الله كان أعظم.

و لما تأخرت بسببها عن الصلاة فى المسجد الشريف فى شعبان و أكثر شهر رمضان المبارك، شكوت حالى و قصصته على النبى صلى الله عليه و سلم، فقلت:

إليك رسول الله من عبدك الذى تعوق عن مغناك من فتك ضربه

عبيدك عبد الله جارك عمره نزيلك لم يبرح مؤمل عطفه

إليك رسول الله أشكو مصيبتى و شدة أهوال أطافت بمهجتى

أغاروا على نفسى سحيرا بمدية لإتلاف روحى بل و إذهاب جثتى

يريدون أن يخفوا لنور أتمه إلهى فما استطاعوا فباءوا بخيبة

شكوت رسول الله ما قد أصابنى على غير ذنب بل على نشر سته

أحلوا دمي يا رب أنت حسيبهم فعوضهم يا رب كلّ بليته

فإن بيدى تأخذ فتلك عقيدتى و إلا فى و يحي و ويلي و حسرتى

ألست مقيما فى جوارك سيدى و قبلى أبى سبعين عاما بطابة

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٣٥

أترضى رسول الله ما قد أصابنى و حقك ما يرضيك هاتيك بيتى

و حقك قد عانيت حتفى مع أننى صريع على وجهى و باهى شيتى

أقلب وجهى فى جهات تخيلى و ليس سوى باب الحبيب لعلتى

هو الباب للداعين إن هم لبابه لجوا لم يصبرهم و لا بعض ساعة

هو البحر يجرى كلّ حين و دائما لجيرانه برّا بهم ذا محبة

دعوت دعا عبد ضعيف مطّعن وراء حجاب قد ثوى بمضرة
لتطلق أقدامى فأسعى بها إلى حبيبي الذي من جاءه فاز بنعمه
ألا يا محبين الحبيب محمداو من جاور المختار في عزّ نعمه
عسى أنكم إن خلتم لى معاهداتبواؤها مستجلبات لرحمة
ضربتم بسهم فى دعائكم و لا ينسيكم بعدى فقلبي بحضرة
و قولوا أخونا ربّ عيق بيته [٧٢٤]
و آمننا فاقبله معنا بمئه

لئن كنت قهرا قد تأخرت عنكم فقلبي فيكم شاهد بمودتى
عراص لها نفسى قد اشتدّ شوقهاو حقّ لنفسى أن تضاعف زفرتى
معالم و حى منتهى الخير عندها فلا قطر فى الدنيا إذا كالمدينة
فإن تذكرونى فى الدعاء فذاكم و إلا سأستجدى صحابى بمكة
سلام عليكم من ضعيف مضرج كسير غضيب ذى ضنى و صبابتى
بطيب طيب قد كتبت حروفه ليسرى بأخبارى إلى خير بلدة
صلى الموت قد عاينته يا أحبّتى ولكن قضى فى العمر تأخير مدّتى

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٣٦

فلى أسوء الفاروق فى ضربه قضى و أسوء عثمان شهيد بضربه
لفزت بها فى الفائزين وليتها بقايا لانتها متيتى [٧٢٥]
فلا ملتجا للملتجين كبيته سوى المصطفى للملتجين بروضة
لئن عاقنى عنكم بلائى فلم أحج فذاك على قلبى أشدّ رزيه
فلا تحسبوا لى سلوة عن جلالها أسعى و لو سحبا [٧٢٦] على صفح و جنتى
و قد زرتها خمسين حجّا و عمره فما زادنى إلا حفيلى محبّتى
فيا ربّ هلا [٧٢٧] دعوة فى مشاعر أعلّ بها حينما محاجر مقلّتى
أرى زمزما بعد الحطيم و أهلهاو ميزاب بيت الله حتى بطوفه
فأدعو بقلب مخلص فى مقامه و ملتزم مستعظفا لشكيتى
لعلّى أرى نصرى قريبا معجلا بذاك لى ادعوا [٧٢٨] أنتم لى ذخيرتى
ولى صحتى ربي الكريم يعيدها فتقوى بها رجلى على طي ركبتي
أقاموا ليغتلوا بلبيل عدمتهم أكانوا فلا كانوا سحيرا بخلوه
على غير ما ذنب أظنّ أتيت به لى [٧٢٩] لى ذنب إننى حزب شرعه

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٣٧

فأصبح مسرورا بما قد أصابني شقى يعادى أو محاسد نعمه
لقد لظمت نفسى لهمنى لوعه فصارت كأمثال للآذب ضربة
وقد سئمت نفسى المطاعم كلفها فكالصّاب أو كالصبر تسرى بريقتى
وعن مضجعى تنبو جنوبى كأنها على حسك السعدان لى طول ليلتى
عليك رسول الله منى تحية تفوق مدى الأيام كل تحية
عليك رسول الله ما حج بيته و ما زار ركب مصطفىاه بحجرة
و آلك و الصحب الكرام فهدىهم بأنواره تجلى دجى كل ظلمة
أبو بكر الصديق أعظم بشأنه و صاحبه الفاروق شيخ الصحابة
و عثمان ذو النورين و العلم الرضى أخو المصطفى عال على لنصرة
و باقى كرام عشرة بمحمد أعوذ بهم من شر كل مصيبة
علاؤهم عندى يحل مضايقتى و حبهم ألقاه فى لحد حفرتى

و الحمد لله رب العالمين و هو حسبنا و نعم الوكيل.

و قلت هذه الأبيات فى فضل المدينة المشرفة، و التشويق إلى سكنائها و الإقامة بها، و الدفن فى بقيعها و جمعت فيها ما حضرنى من فضلها من الأحاديث الصحيحة التى لا اختلاف فيها، و سميتها (تشويق النفوس إلى نص العروس). فقلت الحمد لله و لى التوفيق:

بفضل الإله مالك الملك غافر مقسم أرزاق العباد و قاهر
تقسمت الأوطان بين المعاشرفكان نصيبى كابر بعد كابر

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٣٨

مدينة خير الرسل مهبط و حيه سقاها إلهى ما طرا بعد ما طر
و مد عليها و بله و سيوله فيغدودق الوادى بأحد و حاجر
و تزهو تلاع بالعقيق و زهوها و سلع إلى السقيا إلى سفح عائر
و وادى قناة يا له كم به نوى شهيد كعبد الله والد جابر
و بئر أريس مع قباء و رامة بها طبت فى وقت من الهم شاغر
و فى خيف بطحان السعيد مساجد ترى بين نخل كالنجوم الزواهر
دعا المصطفى فيها ففر عداته و كانت قلوب القوم عند الحناجر
كريم مقامات تجلت بقاعها بها أمن عاص من مقيم و زائر
كلفت بها حتى ألفت جمالها و حتى بدا منى خفى الضمائر
و كنت إلى الراحة تترتاح مهجتى و تهذى بربات الخدود السواجر [٧٣٠]
و ألهو إذا وقتى خلا من منغص ياخوان صدق نزهة للمحاضر
فبعد الصبا عفت الهوى و مزاحه و قلت: أيا نفسى كفى أن تكابرى

فَنكَبَ إِذْنًا عَنْ عَزَّةٍ وَ سَعَادَهَا وَ حَاشَاكَ أَنْ تَهْوَى كَحِيلِ الْمُحَاجِرِ
 وَ دَعَى عَنكَ لِبْنِي وَ اسْتَمَاعَ غَنَائِهَا وَ أَقْبَلَ عَلَى الْآخِرَى بِقَلْبٍ وَ بَادِرٍ
 فَلَوْ نَظَرْتَ سَعْدِي إِلَيَّ تَعَجَّبْتَ وَ قَالَتْ بَمَنْ اعْتَاضَ عَنِي مَسَامِرِي
 أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي تَعَوَّضْتُ طَيِّبَةً فَلَا تَطْمَعِي فِي الْعُودِ يَا أُمَّ عَامِرٍ
 تَبَدَّلْتَ مِنْ كُلِّ الْبِلَادِ بِأَسْرَهَا بِلَادَ رَسُولِ اللَّهِ أَبْرَكَ طَاهِرٍ
 فَمَا مِثْلَهَا عِنْدِي شَبِيهًا لِذَاتِهَا سَوَى مَكَّةَ سَادَتْ بِتِلْكَ الْمَشَاعِرِ

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٣٩

فَضَائِلُ صَحَّتْ فِي الصَّحَاحِ لَطِيبَةً فَخَذَهَا بِقَلْبٍ وَ اسْتَمَعَهَا لِآخِرِ
 شَهِيدٍ لَنَا أَوْ شَافِعِ سَيِّدِ الْوَرَى لَصَبْرٍ عَلَى لِأَوَائِهَا الْمُتَكَاتِرِ
 كَذَاكَ لِمَنْ وَافَى بِهَا مِثْلَ ذَالِهِ لِيَهْنُ بُوْعَدُ مِنْ صَدُوقِ لَشَاكِرِ
 وَ كَمْ صَحَّ فِي أَخْبَارِهَا مِنْ فَضَائِلٍ فَمَنْ تَرَبَّهَا لِلدَّاءِ دَفَعَ الضَّرَائِرِ
 حِبَابَهَا بِمِثْلِي مَا دَعَا لِمَكَّةَ فَجَاوَرَ وَ طَبَّ نَفْسًا بِهَذِي الْمَفَاخِرِ
 وَ ذَلِكَ ضَعْفُ الضَّعْفِ صَدَقَ مُحَقِّقٌ فَكُنْ قَانِعًا فِيهَا بِقُوتٍ وَ صَابِرٍ
 وَ كَمْ مِنْ كِرَامَاتٍ تَجَلَّتْ لِأَهْلِهَا بِلَفْظِ رَوِينَا مَسْنَدٍ مُتَوَاتِرِ
 فَمَنْ سَعَدَ كَمْ يَا نَازِلِينَ جَوَارِهِ بِتَحْوِيلِ حِمَايَا وَ نَفَى الْمُضَارِرِ
 وَ طَابَتْ فَمَا الدَّجَالُ يَهْدِي خِلَالَهَا وَ لَا مَعْجَرٌ إِلَّا ابْتَلَى بِالدَّوَائِرِ
 وَ مِنْ أَهْلِهَا بِالسُّوءِ قَصْدًا أَرَادَهُمْ أَذِيبَ كَمَلَحَ ذَابَ وَ يَلُ لِمَا كَرِ
 وَ لَمَّا أَنْ اخْتَارَ الْمُهَيْمِنُ حَفِظَهَا حِمَايَا بِأَمْلَاكَ شَدَادِ الْبُؤَادِرِ
 فَمَنْ عَزَّهَا أَمْلَاكَ فِي نِقَابِهَا تَرَدَّدَ دَجَالًا مَحَلًّا بِكَافِرِ
 وَ طَاعِنٍ طَاعُونَ كَذَاكَ تَرَدَّدَ وَ إِنْ عَمَّ تَطَوَّافًا فَلَيْسَ بِعَابِرِ
 وَ أَمَّنْ مِنْ خَسْفٍ وَ مِنْ أَنْ يَصِيْبِنَا عَذَابٌ وَ هُوَ فِينَا بِقُدْرَةِ قَادِرِ
 وَ مِنْهَا لِمَجْدُومِ دَوَاءِ سِبَاخِهَا فَخَذَهَا كِرَامَاتٍ أَتَتْ بِبِشَائِرِ
 وَ كَانَ إِذَا لَيْلٌ سَجَى قَامَ دَاعِيًا لِأَهْلِ بَقِيْعِ الْغُرُقْدِ الْمُتَفَاخِرِ
 فَيَهْدِي إِلَيْهِمْ مِنْ حَفِيلِ دَعَائِهِ وَ يَسْأَلُ مَوْلَاهُ يَا حَضْرَارِ خَاطِرِ
 وَ وَصَّى جَمِيعَ النَّاسِ طَرًا بِجَارِهِ فَقَالَ: احْفَظُونِي أُمَّتِي فِي مَجَاوِرِي
 وَ قَدْ قَالَ: مَا مِنْ ذَاكَ وَ اللَّهُ أَبْتَغِي مَكَانًا لِدَفْنِي مِنْ جَمِيعِ الْمُقَابِرِ

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٤٠

سوى هذه يعنى بها ترب طيبة فأكرم لترب للرسول مباشر
 دعا و دعا حتى دعا فى ثمارها فصار بها يزكو كحائط جابر

كذلك في صاع و مدّ دعا لنا في شعبنا ريع و شطر لصابر
و جاء أنها تنفى الذنوب مصحّحاو إطلاقه يحوى عظيم الكبائر
لها مسجد للمصطفى أىّ مسجده حجرة فيها الدليل لحائر
صلاة بألف يا سعادتنا به فوائد طابت متجرا لمتاجر
به روضة مع منبر وسط جنة علت يا لها من روضة لمفاخر
و منبره و الحوض تحت رتاجه و هل مثله من منبر فى المنابر
و حول ضريح المصطفى قد تعاقبت ملائكة سبعون ألف مظاهر
ذكرت قليلا من فضائل طيبة و من رام حصرا ما يكون بقادر
ألا لا تلومنى فإني أحبها فكم خولتني ما تمتت خواطري
فمن طيبها طيبى و أحمد طيبها سوى البيت ما يلقي لها من مناظر
أيا عاذلى فيها تأمل جمالها و أنوار خير الخلق باد و حاضر
سألزها دهرى و أحكى علومها و أدفع عنها طاقتى كلّ جائر
و ألزم ذاتى صحنها و رحابها و حجرتها و السر خلف الستائر
حلفت يمينا ليس فى الكون مثلها لأنّ بها قبر الشفيح الموازر
فمرغ بها خديك حبا لأحمدو قل: يا حبيبي يا شفيعى و ناصرى
جوارك يا خير البرية أرتجى فكن لى مجيرا عند عدّ جرائرى

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٤١

لذلى لعصيانى تدارك بنظرة فعندى ذنوب أعدمتنى بصائرى
فظننى إن حالى [٧٣١] إليك شكوته تجيب بيا لييك لست بكاسرى
فياربّ عد يا ذا الجلال بمئة فقد رجفت منى لخوفى بوادرى
و صلّ على المختار من آل هاشم و آل و صحب فى مساء و باكر
أخصّ أبابكر حبيب محمد و صاحبه الفاروق ماضى الأوامر
و ليس كعثمان الشهيد بداره و من كعلّى فى قتال العساكر
زبير و سعد و ابن عوف و طلحة و بعد سعيد و الختام بعامر
فعفوا و صفحا يا كريم بحبهم فإنى غريق فى ذنوب غواير
مدحتك لا و الله غيرك مقصدى و ما هبت تقصيرى لأنك عاذرى
عبيد ضعيف عاجز بك ملتجى غريب غدت أحبابه فى المقابر
و فى دار خير الرّسل عندك مولدى و فيها مقامى لم أحل دهر داهر
ولى قد مضى سبعون عاما مصانئة تنيف بسبع طاب زرعا لباذر
تخلّلها خمسون حجّا و عمرة تنيف بسبع حبدا من ذخائر
ولى نسب أرجو إليك يجزنى شريف كريم فاخر بعد فاخر

عليك أصلى يا شفيعا مشفعا حنانيك من ماح مقف و حاشر
عليك صلاة الله بدءا و موثلا عليك سلام الله مد المحابر
عليك صلاة الله جهدى و طاقتى و بعد فأفديه بسمعى و ناظرى

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٤٢

و يا رب فاغفر للجميع بجاهه و باللطف عاملنا و لطف مثابر
على سنه المختار ثبت قلوبنا و لا تخزنا فى يوم كشف السرائر
و هذا لتشويق النفوس و سمتها فسارع على نص العروس و بادر

و الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا إلى يوم الدين، قال المؤلف رحمه الله تعالى: قد انتهى ما أردت إيراد عظة لمن اتعظ و دان، و تسلية لمن يظلم و يهان، و تعزية لمن يعزه الحدثن بقوله: كان فلان و كان، و اختم لنا بخير، و أصلح حالنا، و ألف بين قلوبنا، و طهرها من الكبر و الحسد، و البغضاء التى تفرق بين الأصحاب، و تفتح من الشر كل باب بمنه و كرمه.

قال المؤلف: و كان الفراغ من تأليفه فى الحادى و العشرين من شهر رمضان أحد شهور سنه سبع و ستين و سبعمائة.

و كان الفراغ من نسخ هذا التاريخ الميمون يوم الأربعاء أحد عشر فى شهر ذى القعدة سنه ١٠٩٣ هـ.

تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٤٣

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

مقدمة التحقيق ٣

مقدمة المؤلف ٧

كلام المؤلف حول وضع علامة فى المسجد لمكان العالم و المفتى و حجز الأمكنة ٩

كلام المؤلف حول المنارتين الشماليتين ١٦

كلام المؤلف حول السقاية التى كانت فى وسط المسجد ١٧

كلام المؤلف على البدع التى أحدثتها الإمامية حول الحجر الشريفة ١٨

كلام المؤلف على صلاة الرغائب و إنكاره لها ١٩

كلام المؤلف حول ما أحدث من تقطيع الصفوف و تقديم من هو أهل للتقديم ٢١

كلام المؤلف حول ما يقع عند فتح أبواب الحرم الشريف فى السحر ٢٢

كلام المؤلف حول السجاجيد التى تؤبد فى المسجد ٢٢

كلام المؤلف حول علو الرمل فى الروضة الشريفة ٢٣

كلام المؤلف حول كتابه المصحف الشريف فى قبلة المسجد و ما يترتب على ذلك ٢٤

كلام المؤلف على تزويق المسجد و زخرفته ٢٦

تنبيه ٢٨

- أخلاق النبي صلى الله عليه و سلم ٢٩
- عظيم عفوه و صفحه صلى الله عليه و سلم ٣٠
- حسن عشرته و أدبه صلى الله عليه و سلم ٣٢
- فصل فى ذكر من أدركهم المؤلف من شيوخ الخدام ٣٧
- ذكر عزيز الدولة و ماله من محاسن ٣٧
- ذكر شبل الدولة كافور المظفرى ٣٨
- ذكر سعد الدين الزاهرى و سبب عزله ٤١
- تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٤٤
- ذكر ولاية ظهير الدين مختار الأشرفى ٤١
- ذكر ناصر الدين نصر عطا الله ٤٢
- ذكر عز الدين دينار و سيرته و محاسنه و عزله ٤٣
- ذكر شرف الدين مختص الديرى و ما كان من صفاته ٤٥
- ذكر شرف الدين الخزندارى و اعتزاله ٤٧
- ذكر عبد الرحمن بن ياقوت المؤذن ٤٧
- ذكر افتخار الدين ياقوت بن عبد الله الخزندارى و سيرته ٤٩
- فصل ذكر من أدركهم المؤلف من الخدام الصلحاء ٥١
- ذكر طواشى شبل الدولة كافور الخضرى ٥١
- ذكر شهاب الدين رشيد عبد الله السعيدى ٥١
- ذكر شمس الدين صواب الحموى الناصرى ٥٢
- ذكر أمين الدين مفيد ٥٢
- ذكر سعد الدين نجيب الفاخرى ٥٣
- ذكر حال رجل من اليمن ادعى أنه شريف ٥٣
- ذكر حال الرجل الآتى من تونس و كشف والد المؤلف لحاله ٥٣
- ذكر عز الدين مختار الحلبي ٥٤
- ذكر شفيح الكرمونى ٥٥
- ذكر شمس الدين صواب المغيشى ٥٥
- ذكر عز الدين دينار ٥٧
- ذكر شمس الدين رشيد الدورخانى ٥٨
- ذكر شمس الدين صواب الجمدارى ٥٩
- ذكر جمال الدين محسن الإخميمى ٥٩
- تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٤٥
- ذكر ظهير الدين مختار الزمردى ٥٩
- ذكر شهاب الدين مرشد القارئ ٦٠

- ذكر الطواشى نصر ٦١
 مختار المعروف ب (الموله) ٦١
 عز الدين ريحان الطباخى ٦٢
 ريحان الهندى ٦٢
 أمين الله خالص البهادى ٦٣
 عنبر الموصلى ٦٣
 مفتاح الهندى ٦٤
 الطواشى صندل ٦٤
 نجيب النظامى ٦٥
 كافور المحسنى و غيره ٦٦
 فصل فى ذكر جماعة من المجاورين القدماء و المشايخ الصلحاء ٦٧
 الشيخ أبو محمد عبد الله البسكرى ٦٧
 الشيخ أبو محمد عبد الله المرجانى ٦٨
 الشيخ عبد الواحد الجزولى ٦٩
 ذكر الشيخ أبى العلا إدريس و ما جرى له مع الأمير جماز ٧٠
 عزم المؤلف على التوجه إلى مكة المشرفة و ما جرى له مع الشيخ أبى محمد البسكرى ٧٢
 ذكر الشيخ محمد بن عمران الخضرى ٧٣
 ذكر محمود اللارى ٧٣
 ذكر الشيخ عبد الواحد الجزولى ٧٤
 ذكر الشيخ عز الدين الباسطى و بعض سيرته ٧٥
 تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٤٦
 حكاية حصار المدينة و ما جرى من الشيخ عز الدين ٧٦
 ذكر ما جرى للمؤلف من و شايه بعض حاسديه عند الأمير و دفاع الشيخ عز الدين عنه ٧٧
 ذكر الشيخ أبى العباس أحمد بن مرزوق و بعض أحواله ٨٠
 ذكر الشيخ على الواسطى و ما طلبه من الملك الناصر ٨٤
 ذكر الشيخ أبى الربيع الغمارى و بعض أحواله ٨٥
 الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد السبتى ٨٨
 ذكر الشيخ أبى عبد الله محمد بن غصن القصرى و بعض أحواله و أخباره ٩٠
 الشيخ أبو عبد الله الواد آشى ٩٣
 ذكر الشيخ شمس الدين الكنانى ٩٤
 الشيخ صالح ٩٥
 ذكر الشيخ أبى القاسم محمد بن محمد الأندلسى و بعض أخباره و أحواله ٩٦
 ذكر الشيخ أبى عبد الله سليمان ٩٧

- ذكر الشيخ يعقوب الشريف و ما جرى له مع أحد كبار الإمامية و الأمير منصور ٩٨
- ذكر الشيخ شمس الدين العجمي ١٠٠
- ظهور مذهب الإمام أبي حنيفة بالمدينة المنورة ١٠٠
- ذكر الشيخ محيي الدين الحوراني و ما جرى له مع والد المؤلف و السراج ١٠٠
- ذكر فتنة الشيخ سراج الدين و ما جرى لوالد المؤلف معه ١٠١
- ذكر سنة وفاة والد المؤلف ١٠٥
- ظهور مذهب الإمام مالك على يد المؤلف بالمدينة المنورة ١٠٦
- ذكر الشيخ نور الدين حسن الأسواني و أخيه شرف الدين و بعض أخبارهما ١٠٧
- ذكر الشيخ عز الدين يوسف الزرندي و أحواله و أبنائه ١١١
- الشيخ شهاب الدين القرمي ١١٥
- ذكر الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد الآقشهرى ١١٥
- تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٤٧
- ذكر الشيخ سعادة المغربي و بعض أحواله ١١٦
- ذكر الشيخ الهورى و بعض أحواله ١١٧
- ذكر الشيخ أبي بكر الشيرازى و بعض أحواله ١٢٠
- ذكر الشيخ أحمد الششتري و ابنه شمس الدين محمد ١٢١
- ذكر السيد أحمد الخراسانى ١٢٢
- ذكر الشيخين محمد و عمر الكازرونى ١٢٢
- ذكر الشيخ صفى الدين أبي بكر السلامى ١٢٢
- ذكر الشيخ محمد الكازرونى و صحبة المؤلف له ١٢٤
- ذكر الشيخين أبي الحسن الخراز و أبي عبد الله الخراز و بعض أحوالهما و خصالهما ١٢٥
- الشيخ إبراهيم العريان ١٣٠
- ذكر الشيخ سليمان الونشريشى و بعض أحواله ١٣٠
- ذكر الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز النويرى و بعض أحواله و أخباره ١٣٣
- ذكر الشيخ خليل بن عبد الرحمن القسطلانى ١٣٨
- ذكر الشيخ محمد بن سالم الشافعى و صحبة المؤلف له ١٣٩
- الشيخ أبو الخير بن عبد الله الفاسى ١٤٠
- الشيخ أبو عبد الله محمد بن عرفه التونسى ١٤١
- ذكر الشيخ أبي الغمر الطنجى و بعض أحواله ١٤١
- الشيخ موسى بن على المراكشى ١٤٣
- ذكر الشيخ أبي عبد الله القبتورى و بعض أخباره ١٤٤
- ذكر الشيخ أبي عبد الله محمد الهوارى و بعض أخباره و مؤلفاته ١٤٦
- ذكر الشيخ عبد الواحد بن عمر الأنصارى و بعض أحواله و أخباره ١٤٧

- الشيخ قاسم التكرورى ١٥١
- ذكر الشيخ عثمان المجكسى و الشيخ موسى الغزاوى و بعض أخبارهما ١٥٢
- تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٤٨
- ذكر ما حصل من نهب لودائع الحجاج و ما جرى للمؤلف مع أحد الأمراء ١٥٤
- المشاركين فى الفتنة
- ذكر بقيه أخبار الشيخ موسى الغزاوى و أصله ١٥٦
- ذكر الشيخ عبد الرحمن الجبرتي و من صاحبه و بعض أخباره ١٥٧
- ذكر خطبة ابنه المؤلف و ترجمه صهره ١٥٨
- ذكر الشيخ عبد الحميد الموغانى و يحيى التونسى و بعض أخبارهما ١٦٠
- ذكر لقاء الشيخ نجم الدين الأصبهاني لسيدى أبى العباس المرسى و ما وقع له معه ١٦٠
- ذكر بقيه أخبار الشيخ يحيى التونسى ١٦٠
- ذكر الشيخ محمد الخراز ١٦٦
- ذكر الشيخ برهان الدين إبراهيم الإربلى ١٦٧
- ذكر الشيخ محمد العقبى ١٦٨
- ذكر الشيخ جمال الدين محمد المطرى الأنصارى و بعض أخباره ١٦٨
- ذكر الشيخ عفيف الدين عبد الله بن محمد المطرى و بعض أخباره ١٧١
- ذكر محنة الشيخ عفيف الدين المطرى مع الأمير ثابت بن جماز ١٧٣
- ذكر الشيخ محمد عبد الرحمن المؤذن ١٧٥
- ذكر الشيخ أبى عبد الله محمد بن محمد الغرناطى و بعض أخباره ١٧٨
- ذكر الشيخ على بن معبد المصرى المؤذن و بعض أخباره ١٨٠
- ذكر الشيخ سراج الدين عمر بن الأعمى ١٨١
- ذكر الأخوين حسن و أحمد القطان ١٨١
- ذكر الشيخ يوسف بن جمال القرشى ١٨٢
- ذكر أخيه العلامة علم الدين يعقوب القرشى ١٨٣
- ذكر الشيخ شهاب الدين الصنعانى و صحبه المؤلف معه ١٨٤
- ذكر الشيخ أبى محمد عبد الله بن حجاج المغربى ١٨٥
- تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٤٩
- ذكر الشيخ أبى البركات أيمن بن محمد السعدى و بعض أخباره ١٨٦
- ذكر الشيخ على بن فرغوص التلمسانى و بعض أخباره ١٩٠
- ذكر الشيخ محمد الهزميزى ١٩٠
- ذكر الشيخ أسعد الرومى ١٩١
- ذكر الشيخ أبى عبد الله محمد التكرورى الخطيب و بعض أخباره ١٩١
- ذكر الشيخ أبى فارس عبد العزيز بن زكنون التونسى ١٩٢

- ذكر الشيخ شمس الدين الخجندی و بعض أخباره ١٩٣
- ذكر الشيخ أبى بكر يوسف النجار و بعض أخباره ١٩٥
- ذكر الشيخ إبراهيم التلمسانى و بعض أخباره ١٩٦
- ذكر الشيخ على السخاوى ١٩٧
- ذكر الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف الحلیمى و بعض أخباره و أحواله ١٩٨
- ذكر الشيخ شمس الدين محمد بن محمد الخشبى ٢٠٠
- ذكر الشيخ عمر بن محمد الهندى الحنفى ٢٠٢
- ذكر الشيخ أبى على الحسن بن عيسى الحائى و الشيخ عبد السلام القروى ٢٠٣
- ذكر الشيخ قاسم السلاوى و بعض أخباره ٢٠٦
- ذكر صحبة المؤلف لبعض الشيوخ و بعض أخبارهم ٢٠٧-٢٠٨
- ذكر أصهار المؤلف و بعض أخبارهم ٢١١
- ذكر زملاء الشيخ و من هم فى طبقته ٢١٣
- ذكر الشيخ أحمد السقا و بعض أخباره ٢١٥
- ذكر أخبار أبناء المشاكير ممن جاور بالمدينة ٢١٦
- ذكر أخبار البكرين بالمدينة المنورة ٢٢٠
- ذكر أخبار العمرين بالمدينة المنورة ٢٢١
- ذكر أخبار بعض الأنصار بالمدينة المنورة ٢٢٢
- تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٥٠
- ذكر أخبار النار التى كانت بالمدينة المنورة و ما نقل عنها ٢٢٣
- ذكر حريق المسجد النبوى و عمارته ٢٢٨
- ذكر وقعة التار و ما جرى للخليفة المستعصم من مكيدة وزيره العلقمى الرافضى ٢٢٩
- وصف للمؤلف للمسجد النبوى و هيئة جلوس الناس فيه ٢٣٢
- ذكر الشيخ على الفراش ٢٣٤
- ذكر جملة من الفراشين على سبيل الجملة ٢٣٤
- ذكر السقائين بالحرم الشريف و بعض أخبارهم و نسلهم ٢٣٧
- ذكر رؤساء المدينة و بعض أخبارهم ٢٣٩
- ذكر أحوال كبار الخدام و مناقبهم ٢٤٠
- ذكر ما حصل للشيخ سراج الدين عمر الدمنهورى من تضيق عليه من قبل أمير المدينة و قيام الخدام لنصرته ٢٤٤
- ذكر أخبار الوزير عز الدين حسن بن على بن سنجر و ما يدل على رجاحة عقله ٢٤٦
- ذكر أحوال قاضى الشيعة نجم الدين مهنا بن سنان و شىء من شعره ٢٤٧
- فصل فى ذكر قضاة و أئمة أهل السنة ٢٥٠
- ذكر الشيخ سراج الدين عمر بن أحمد الخضر الأنصارى ٢٥٠

- ذكر تاريخ تحول الخطابة لأهل السنّة و بيان أن الشيخ عمر أول من تقدم في ذلك الأمر ٢٥١
- ذكر أحوال قاضى الشيعة شمس الدين سنان و أنه كان يكفر عن ترصيته على الصحابة ٢٥٤
- ذكر من أدخل مذهب الإمامية بالمدينة المنورة ٢٥٥
- ذكر تولى الشيخ علم الدين يعقوب القرشى منصب الحكم ٢٥٩
- ذكر تولى الشيخ بهاء الدين بن سلامة المصرى للخطابة و الإمامة ٢٦٠
- ذكر تولى الشيخ شرف الدين محمد اللخمى الشافعى للخطابة و الإمامة ٢٦١
- ذكر المكان الذى كان يصلى فيه الإمامية صلاة العيد ٢٦٣
- تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٥١
- ذكر ما جرى بين المؤلف و القاضى شرف الدين ٢٦٤
- ذكر الشيخ أبى العباس أحمد التادلى ٢٦٥
- ذكر تولى الشيخ تقى الدين الهورى لمنصب الحكم و الإمامة و الخطابة ٢٦٧
- ذكر استنابه المؤلف فى الحكم من قبل الشيخ تقى الدين و ما جرى له مع حكام الإمامية ٢٦٧
- ذكر تولى الشيخ شمس الدين محمد بن زكى العسقلانى للحكم و الخطابة و الإمامة ٢٧١
- ظهور علم أهل السنّة و منع آل سنان الإمامية من التعرض للأحكام و عقد الأنكحة ٢٧٢
- ذكر بقية أخبار الشيخ شمس الدين بن السبع و سبب عزله ٢٧٣
- ذكر تولى الشيخ بدر الدين إبراهيم بن أحمد المعروف بابن الخشاب للمنصب ٢٧٤
- ذكر عزل الشيخ ابن الخشاب و عودة شمس الدين بن السبع لمنصبه ٢٧٥
- ذكر تولى الشيخ تاج الدين محمد الكركى للمنصب و بعض أخباره ٢٧٧
- ذكر عزل المؤلف من نيابة الحكم و صدور الأمر الشريف بأن يجرى على ٢٧٩-
- عادته دون معارضة له ٢٨٠
- ذكر تولى الشيخ شمس الدين محمد بن سليمان الحكرى للمنصب ٢٨٠
- فصل فى ذكر أمراء المدينة و مدة ولايتهم ٢٨٣
- ذكر الأمير جماز بن شيحة الحسينى و بعض أخباره و مناقبه ٢٨٣
- ذكر مصاحبة أمير المدينة عز الدين أبى فليته للملك الناصر صلاح الدين فى فتوحاته ٢٨٤
- ذكر مناقب ملوك آل أيوب و ما أثرهم ٢٨٥
- ذكر بعض أخبار دولة بنى عبيد و جرائمهم ٢٩١
- ذكر بعض أخبار الملك صلاح الدين الأيوبى و مناقبه ٢٩٥
- ذكر ولاية الأمير قاسم بن مهنا و ما جرى فى عهد ولايته ٣٠٠
- ذكر خلع الأمير جماز بن شيحة نفسه من الإمارة و تولية ابنه المنصور ٣٠٣
- ذكر ما جرى بين الأمير منصور و إخوته و تقاتلهم ٣٠٣
- ذكر إغارة الأمير و دى على المدينة و تولى أمرها ٣٠٥
- تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرعون، قاهره، ص: ٣٥٢
- ذكر ما جرى للمجاورين و الخدام مع الأمير منصور بعد توليه أمر المدينة ٣٠٦

- ذكر مقتل الأمير منصور و تولى الأمير كيش بن منصور الإمارة ٣٠٧
- ذكر مقتل الأمير كيش بن منصور و إعطاء السلطان إمارة المدينة للأمير طفيل بن منصور ٣٠٨
- ذكر إغارة الأمير ودى على المدينة و انهزامة بعد حصول قتال له مع أبناء الأمير طفيل ٣٠٩
- ذكر خروج آل منصور من المدينة و تسليم الأمير ابن مزروع ودى بن جماز إمارة المدينة ٣١١
- ذكر مدة ولاية الأمير طفيل و بعض أخباره و ما حصل له من الأمير ودى ٣١٢
- ذكر خبر تولية الأمير سعد بن ثابت لإمارة المدينة و منع الأمير طفيل و آل منصور له ٣١٤
- ذكر نهب آل منصور للمدينة و عدم دخول الأمير طفيل فى ذلك ٣١٤
- ذكر حكم هيمان بنت مبارك للمدينة و تسلم الأمير سعد بن ثابت للإمارة ٣١٥
- ذكر تولى الأمير فضل بن قاسم لإمارة المدينة و مدة بقائه ٣١٦
- ذكر تولى الأمير مانع بن على لإمارة المدينة و ذكر أحواله و أخباره ٣١٧
- ذكر تولى الأمير جماز بن منصور لإمارة المدينة و ذكر بعض أحواله ٣١٧
- ذكر مقتل الأمير جماز بن منصور و امتناع الأمير هبة بن جماز تولى الإمارة ٣١٨
- ذكر تولى الأمير عطية بن منصور لإمارة المدينة و ذكر أحواله و أخباره ٣١٩
- فصل فى ذكر أحوال والد المؤلف و أخويه ٣٢٣
- ذكر أخبار والد المؤلف رحمه الله ٣٢٣
- ذكر أخبار أخى المؤلف على رحمه الله ٣٣٠
- ذكر أخبار أخى المؤلف محمد رحمه الله ٣٣٢
- ذكر ما حصل للمؤلف من عذر و طعن و إنشائه لقصيدة يعرض بها حاله ٣٣٣
- ذكر قصيدة المؤلف المسماة: (تشويق النفوس إلى نص العروس) ٣٣٧
- تاريخ المدينة المنورة/ ابن فرحون، قاهره، ص: ٣٥٣

فهرس مراجع التحقيق

- تاريخ الإسلام: للذهبي، دار الكتاب العربى بيروت ١٩٦٠ م.
- تاريخ أمراء المدينة: لعارف عبد الغنى، دمشق ١٩٩٦ م.
- تاريخ ابن الوردى، المطبعة الحيدرية بالنجف ١٩٦٩ م.
- التحفة اللطيفة: فى تاريخ المدينة الشريفة، للسخاوى، نشره أسعد طرابزونى ١٩٧٩ م.
- ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضى عياض، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، المملكة المغربية ١٩٨١ م.
- الدرر الكامنة: فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣ م.
- الديق المذهب: لابن فرحون، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، ٢٠٠٣ م.
- الذيل على الروضتين: لأبى شامة، دار الجيل، بيروت.
- الروضتين: فى أخبار الدولتين النورية و الصلاحية لأبى شامة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧ م.
- الشفا: بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض، طبعه دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠ م.

- العقد الثمين: فى تاريخ البلد الأمين للفاسى، مطبعة السنة المحمدية القاهرة ١٩٥٨ م.
- القاموس الجغرافى: للبلاد المصرية لمحمد رمزى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣ م.
- الكامل فى التاريخ لابن الأثير: طبعة دار صادر، بيروت، ١٩٦٥ م.
- المغانم المطابة: فى معالم طابة للفيروز آبادى، مركز بحوث و دراسات المدينة المنورة ٢٠٠٢ م.
- الموطأ: للإمام مالك، طبعة دار النفائس، بيروت ١٩٩٠ م.
- وفاء الوفا: بأخبار دار المصطفى للسمهودى، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى ٢٠٠١ م.
- وفيات الأعيان: لابن خلكان، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨. [٧٣٢]

- [١] (١) هكذا ترجم له ابن أخيه البرهان إبراهيم بن على فى طبقات المالكية له.
- [٢] (١) فى المطبوع: (هلاكمهم).
- [٣] (١) ساقط من المطبوع.
- [٤] (٢) ترتيب المدارك ١ / ١٤١، الديباج المذهب ١ / ٨٦.
- [٥] (٣) ترتيب المدارك ٢ / ١٤٢، و الديباج المذهب ١ / ٨٦.
- [٦] (١) تحرف فى المطبوع إلى: (لعلى) و صوابه فى الموطأ ص ١٧، الذى ينقل عنه المصنف.
- [٧] (١) وفاء الوفا ٣ / ٣٠١.
- [٨] (٢) ساقط من المطبوع.
- [٩] (١) تحرف فى المطبوع إلى: (عزاز).
- [١٠] (٢) تحرف فى المطبوع إلى: (و لافشل) و صوابه لدى السخاوى فى التحفة اللطيفة ٣ / ١٨٧ و هو ينقل عن ابن فرعون.
- [١١] (٣) التحفة اللطيفة ٣ / ١٨٧.
- [١٢] (٤) تحرف فى المطبوع إلى: (الذين).
- [١٣] (١) تحرف فى المطبوع إلى: (الشريف).
- [١٤] (٢) تحرف فى المطبوع إلى: (أن سعيدا يقرأ) و انظر لذلك التحفة اللطيفة ٣ / ٤٧٦.
- [١٥] (١) الموطأ) باب النظر فى الصلاة إلى ما يشغلك عنها) ص ٧٥.
- [١٦] (٢) فى المطبوع: (التمر) و المثبت من قراءة النص و مثله فى الموطأ الذى ينقل عنه المصنف.
- [١٧] (١) فى المطبوع: (يغظهم و يكتبهم).
- [١٨] (١) الشفاء ١ / ٧٢ - ٧٣.
- [١٩] (٢) الشفاء ١ / ٧٣ و ما بين حاصرتين منه.
- [٢٠] (٣) الشفاء ١ / ٧٣.
- [٢١] (٤) الشفاء ١ / ٧٤.
- [٢٢] (١) الشفاء ١ / ٧٥.
- [٢٣] (٢) تحرف فى المطبوع إلى (ثم قاله).

- [٢٤] (٣) الشفاء ٨٣ / ١.
- [٢٥] (٤) الشفاء ٨٣ / ١.
- [٢٦] (١) الشفاء ٨٤ / ١.
- [٢٧] (٢) الشفاء ٨١ / ١.
- [٢٨] (٣) الشفاء ٨١ / ١.
- [٢٩] (١) الشفاء ٨٢ / ١.
- [٣٠] (٢) تحرف في المطبوع إلى: (العبد الحر) و هو تحريف قبيح، و صواب القراءة من الأصل، و مثلها في الشفاء الذي ينقل عنه المصنف.
- [٣١] (٣) الشفاء ٨٢ / ١.
- [٣٢] (٤) ما التقم أحد أذن النبي: أى ما حدثه أحد عند أذنه، استعار وضع اللقمة في الفم لوضع الفم عند الأذن.
- [٣٣] (١) تحرف في المطبوع إلى: (يرى).
- [٣٤] (٢) الشفاء ٨٢ / ١.
- [٣٥] (٣) الشفاء ٨٢ / ١، و ما بين حاصرتين منه.
- [٣٦] (٤) الشفاء ٨٢ / ١.
- [٣٧] (١) يقال: أف له أى قدرا له، و قيل: احتقارا له، و قيل استقلالاً، و فيه ست لغات حكاهن الأخصش، و هى: ضم الهمزة مع تثليث الفاء بلا تنوين، و ضمها مع تثليث الفاء بالتنوين، و حكى المصنف و غيره زيادة على ذلك: ضم الهمزة و سكون الفاء و كسر الهمزة و فتح الفاء، أفى و أفه: بضم همزتيهما.
- [٣٨] (٢) الشفاء ٨٢ / ١.
- [٣٩] (٣) الشفاء ٨١ / ١.
- [٤٠] (٤) الشفاء ٨١ / ١.
- [٤١] (١) من مصادر ترجمته: المغانم المطابة ٣ / ١٢٤٤.
- [٤٢] (٢) من مصادر ترجمته: الدرر الكامنة ٣ / ٢٦١، التحفة اللطيفة ٣ / ٤٢٥.
- [٤٣] (١) فى المطبوع: (بترية) و المثبت من الأصل.
- [٤٤] (٣) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢ / ١٤٠.
- [٤٥] (٤) من مصادر ترجمته: الدرر الكامنة ٤ / ٣٤٥.
- [٤٦] (٥) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣ / ١٨٩، الدرر الكامنة ٤ / ٣٩٣.
- [٤٧] (٦) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢ / ٤٠ و الدرر الكامنة ٢ / ١٠٣.
- [٤٨] (٧) من مصادر ترجمته: المغانم المطابة ٣ / ١٣٨٤، الدرر الكامنة ٤ / ٣٤٤.
- [٤٩] (٨) من مصادر ترجمته: المغانم المطابة ٣ / ١٢١٦.
- [٥٠] (١) لدى رمزى فى القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٤ ص ١٨٩ (نقادة) هى من القرى القديمة، من أعمال القوصية.
- [٥١] (٢) فى المطبوع (و كان إذا حقد شديدا) و المثبت من الأصل.
- [٥٢] (٩) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢ / ٥٤٨.
- [٥٣] (١) يقصد: شرف الدين مختص الديرى، و قد تقدم ذكره.

- [٥٤] (٢) هو: شمس الدين صواب الجمدارى، و ستأتى ترجمته.
- [٥٥] (١٠) من مصادر ترجمته: الدرر الكامنة ٤/ ٤٠٨.
- [٥٦] (١١) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٤٢٤، المغانم المطابة ٣/ ١٢٧٣.
- [٥٧] (١٢) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٦٤، المغانم المطابة ٣/ ١٢٠٦.
- [٥٨] (١) تحرف فى المطبوع إلى: (السعدى).
- [٥٩] (١٣) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٢٤٦.
- [٦٠] (١) التحفة اللطيفة ٢/ ٢٤٦ نقلا عن ابن فرحون.
- [٦١] (١٤) من مصادر ترجمته: المغانم المطابة ٣/ ١٢٢١.
- [٦٢] (١) فى المطبوع: (مسكننا) و المثبت من الأصل.
- [٦٣] (١٩) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٢٢١.
- [٦٤] (١) التحفة اللطيفة ٢/ ٢٢١ نقلا عن المصنف.
- [٦٥] (٢) التحفة اللطيفة ٢/ ٢٢١ نقلا عن المصنف.
- [٦٦] (٢٠) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٢٤٧، المغانم ٣/ ١٢١٩.
- [٦٧] (١) التحفة اللطيفة ٢/ ٢٤٧ نقلا عن ابن فرحون.
- [٦٨] (٢) فى المطبوع (لى) و المثبت من الأصل.
- [٦٩] (٢١) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٤٣.
- [٧٠] (١) فى المطبوع: (إذ) و المثبت من الأصل.
- [٧١] (٢) أورده السخاوى فى التحفة ٢/ ٤٣، نقلا عن ابن فرحون.
- [٧٢] (٣) يعنى: من يعتنى به من أقاربه.
- [٧٣] (٢٢) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٦٥.
- [٧٤] (١) نقله السخاوى فى التحفة ٢/ ٦٥ عن المؤلف.
- [٧٥] (٢٣) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٢٤٥.
- [٧٦] (١) أورده السخاوى فى التحفة اللطيفة ٢/ ٢٤٥، نقلا عن ابن فرحون.
- [٧٧] (٢٤) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٤٤٨، المغانم ٣/ ١٢٧٦.
- [٧٨] (٢٥) من مصادر ترجمته: المغانم المطابة ٣/ ١٢٧٦.
- [٧٩] (٢) الرجل: القوة.
- [٨٠] (١) نقله السخاوى فى التحفة ٣/ ٤٤٨ عن ابن فرحون.
- [٨١] (٢٦) من مصادر ترجمته: المغانم المطابة ٣/ ١٢٧٦.
- [٨٢] (٢٧) من مصادر ترجمته: المغانم المطابة ٣/ ١٢٩٢.
- [٨٣] (٢٨) من مصادر ترجمته: المغانم المطابة ٣/ ١٢٩٢.
- [٨٤] (٢٩) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٧١.
- [٨٥] (٣٠) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٧٢.
- [٨٦] (١) نقله السخاوى عن المؤلف بالنص.

[٨٧] (٣٢) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٣٧٣.

[٨٨] (١) العبارات بنصها لدى السخاوى فى التحفة نقلا عن ابن فرحون.

[٨٩] (٣٣) من مصادر ترجمته: المغانم المطابة ٣/ ١٢٩٣.

[٩٠] (٣٤) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٢٤٣.

[٩١] (١) فى المطبوع: (ينوفون).

[٩٢] (٣٦) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٣٦٨.

[٩٣] (١) نقله السخاوى من ابن فرحون بالنص.

[٩٤] ابن فرحون، عبد الله بن محمد، تاريخ المدينة المنورة المسمى نصيحة المشاور و تعزية المجاور، ١ جلد، مكتبة الثقافة الدينية - قاهره، چاپ: اول، ١٤٢٧ هـ.ق.

[٩٥] (٣٧) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٣٥٤.

[٩٦] (٣٨) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ١٠٤.

[٩٧] (٣٩) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/ ٢٨٣.

[٩٨] (١) و ممن ذكر ذلك أيضا: السخاوى فى (التحفة اللطيفة) ٢: ٦٦، و السمهودى فى (وفاء الوفا) ٥/ ١٢٧، و ذكر القصيدة بتمامها.

[٩٩] (٤٢) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ١٠٤ و قد تقدم ذكره برقم ٣٨.

[١٠٠] (٢) العبارة بنصها لدى السخاوى فى التحفة اللطيفة نقلا عن ابن فرحون.

[١٠١] (٤٣) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٥٩، المغانم المطابة ٣/ ١٢٤٥.

[١٠٢] (١) أورده السخاوى بنصه فى التحفة نقلا عن ابن فرحون.

[١٠٣] (١) أورده السخاوى بنصه نقلا عن المؤلف.

[١٠٤] (٢) نقله السخاوى بنصه عن ابن فرحون.

[١٠٥] (١) فى الأصل و المطبوع و التحفة: (الاشتغال)، و الاشتغال: الدراسة فى فن من الفنون، و الإشتغال: التدريس فى فن من الفنون.

[١٠٦] (٢) التحفة: ٣/ ٦٠.

[١٠٧] (٤٤) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/ ٢٤٧.

[١٠٨] (١) أورده السخاوى فى التحفة نقلا عن ابن فرحون.

[١٠٩] (٢) أورده السخاوى فى التحفة نقلا عن ابن فرحون.

[١١٠] (١) أورده السخاوى فى التحفة نقلا عن ابن فرحون.

[١١١] (٢) العبارة لدى السخاوى بالنص نقلا عن المصنف.

[١١٢] (٣) العبارة بنصها لدى السخاوى فى التحفة.

[١١٣] (٤) أورده السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون.

[١١٤] (١) الخبر بنصه لدى السخاوى نقلا عن ابن فرحون.

[١١٥] (٢) الخبر بنصه لدى السخاوى نقلا عن ابن فرحون.

[١١٦] (٣) تحرف فى المطبوع إلى: (فتواتها) و صوابه من الأصل و مثله لدى السخاوى الذى ينقل عن المصنف.

[١١٧] (١) الخبر بنصه لدى السخاوى فى التحفة ١/ ٢٤٩ نقلا عن المصنف.

- [١١٨] (٢) الخبر بنصه لدى السخاوى فى التحفة نقلا عن ابن فرحون.
- [١١٩] (٤٥) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٢٧٩.
- [١٢٠] (١) الخبر بنصه لدى السخاوى فى التحفة اللطيفة ٣/ ٢٧٩ نقلا عن ابن فرحون.
- [١٢١] (٢) الخبر بنصه لدى السخاوى نقلا عن ابن فرحون.
- [١٢٢] (٤٦) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ١٨٧.
- [١٢٣] (١) الخبر بنصه لدى السخاوى نقلا عن ابن فرحون.
- [١٢٤] (٢) الخبر بطوله لدى السخاوى بالنص نقلا عن ابن فرحون.
- [١٢٥] (١) الخبر بنصه لدى السخاوى فى التحفة نقلا عن ابن فرحون.
- [١٢٦] (٢) الخبر لدى السخاوى نصًا عن ابن فرحون.
- [١٢٧] (١) الخبر بنصه لدى السخاوى نقلا عن ابن فرحون.
- [١٢٨] (٢) الخبر لدى السخاوى فى التحفة بنصه نقلا عن ابن فرحون.
- [١٢٩] (٤٧) من مصادر ترجمته: الدرر الكامنة ٤/ ١٩٩.
- [١٣٠] (١) يستكفى به.
- [١٣١] (٤٨) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٧٠٢.
- [١٣٢] (١) أورده بنصه السخاوى فى التحفة اللطيفة ٣/ ٧٠٣.
- [١٣٣] (٢) الخبر بنصه لدى السخاوى فى التحفة ٣/ ٧٠٣.
- [١٣٤] (٣) أورده السخاوى بنصه فى التحفة نقلا عن ابن فرحون.
- [١٣٥] (١) التحفة اللطيفة ٣/ ٧٠٣.
- [١٣٦] (١) أورده السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون و ما بين حاصرتين منه.
- [١٣٧] (٢) الخبر بنصه لدى السخاوى فى التحفة اللطيفة نقلا عن ابن فرحون.
- [١٣٨] (٤٩) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٦٧٥.
- [١٣٩] (١) الخبر بنصه لدى السخاوى.
- [١٤٠] (٢) نقله السخاوى بنصه عن ابن فرحون.
- [١٤١] (٥٠) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٥٨٣.
- [١٤٢] (١) التحفة نقلا عن المصنف.
- [١٤٣] (٢) التحفة نقلا عن المصنف.
- [١٤٤] (٥١) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٢٢٨، و هو: صالح بن إسماعيل بن إبراهيم الكنانى.
- [١٤٥] (٣) نقله السخاوى فى التحفة عن المصنف.
- [١٤٦] (٤) نقله السخاوى فى التحفة عن ابن فرحون.
- [١٤٧] (١) التحفة اللطيفة ١/ ٧٠٤.
- [١٤٨] (٥٢) من مصادر ترجمته: المغانم المطابة، ٣/ ١٢٨٨.
- [١٤٩] (٥٥) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/ ١٩٥، العقد الثمين ٣/ ٨٣.
- [١٥٠] (٥٦) من مصادر ترجمته: العقد الثمين ٧/ ٤٣٥ و قد و هم مصحح المطبوع حين ذكره بالهامش باسم: أحمد بن عبد الواحد بن

مرى، وأنه ولد سنة ٥٨٣ هـ و توفي سنة ٦٧٧ هـ. و أحمد بن عبد الواحد هذا الذي ذكره المصحح هنا ليس هو المترجم وإنما هو كما جاء في ترجمته في العقد الثمين ٨٣ / ٣ تقي الدين الحوارني، و أحاله المصحح كذلك إلى التحفة اللطيفة ١ / ١٩٥ و المراد بالمترجم هنا هو يحيى بن زكريا محي الدين الحوارني ت ٧٢٢ هـ كما ورد في العقد الثمين ٧ - ٤٣٥.

[١٥١] (١) الأشرار.

[١٥٢] (٥٧) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١ / ٤٨٥. المغانم المطابة ٣ / ١١٩٦.

[١٥٣] (١) في الأصل و المطبوع (قدرتي).

[١٥٤] (١) التحفة اللطيفة ١ / ٤٨٦.

[١٥٥] (١) التحفة ١ / ٤٨٦.

[١٥٦] (٢) التحفة ١ / ٤٨٦.

[١٥٧] (١) في المطبوع: (ديون).

[١٥٨] (٥٩) من مصادر ترجمته: المغانم المطابة ٣ / ١٣٢٠.

[١٥٩] (٦٠) من مصادر ترجمته: الدرر الكامنة ٤ / ٢٩٥.

[١٦٠] (٦١) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١ / ٢٧٢.

[١٦١] (٦٢) من مصادر ترجمته: الدرر الكامنة ٣ / ١٤٢.

[١٦٢] (١) رأس فلان رئاسة: شرف قدره.

[١٦٣] (٢) الماضي برقم ٦١.

[١٦٤] (٦٤) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢ / ٢٩٢.

[١٦٥] (٦٥) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣ / ٥١٣.

[١٦٦] (١) الماضي برقم ٦٢.

[١٦٧] (٦٦) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١ / ٢٨١، المغانم المطابة ٣ / ١١٦٨.

[١٦٨] (٦٧) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣ / ٤٦٠، الدرر الكامنة ٣ / ٣٠٩.

[١٦٩] (١) التحفة ٣ / ٤٦٠.

[١٧٠] (٢) في الأصل و المطبوع: (كاشف الأسرار الحقيقية)، و المثبت لدى الفاسي في العقد الثمين و هو ينقل عن ابن فرحون.

[١٧١] (٦٨) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢ / ١٢١، العقد الثمين ٤ / ٥٣٠.

[١٧٢] (٣) أورده الفاسي في العقد الثمين نقلا عن ابن فرحون.

[١٧٣] (٤) الفاسي في العقد الثمين نقلا عن ابن فرحون.

[١٧٤] (١) أورده الفاسي بنصه نقلا عن ابن فرحون.

[١٧٥] (٢) أورده الفاسي بنصه نقلا عن ابن فرحون.

[١٧٦] (٦٩) من مصادر ترجمته: العقد الثمين ٢ / ٤١٣.

[١٧٧] (٣) التمر البرني: أصفر مدور، و هو من أجود التمر.

[١٧٨] (٤) أورده الفاسي بنصه نقلا عن ابن فرحون.

[١٧٩] (١) تحرف في الأصل و المطبوع إلى (الهروي).

[١٨٠] (٢) أورده الفاسي عن ابن فرحون بالنص.

- [١٨١] (١) أوردته الفاسي عن ابن فرحون بالنص.
- [١٨٢] (٧٠) من مصادر ترجمته: المغانم المطابة ٣/ ١١٦٧.
- [١٨٣] (٧١) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/ ٢٨٠.
- [١٨٤] (١) أوردته السخاوى عن ابن فرحون بالنص.
- [١٨٥] (٧٢) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٤٧٧.
- [١٨٦] (٢) أوردته السخاوى عن ابن فرحون بالنص.
- [١٨٧] (٧٣) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/ ٢٧٩.
- [١٨٨] (١) تحرف في المطبوع إلى: (كل يوم جمعة) و صواب القراءة من النص، و مثلها لدى السخاوى في التحفة و هو ينقل عن ابن فرحون. و الختمة: قراءة القرآن مرة واحدة.
- [١٨٩] (٢) أوردته السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون.
- [١٩٠] (٧٤) من مصادر ترجمته: المغانم المطابة ٣/ ١١٦٩.
- [١٩١] (٣) قيده الفيروزابادى في المغانم المطابة: بتشديد اللام، نسبة إلى السّلامية: قرية كبيرة بشرقى دجلة على مرحلة من الموصل.
- [١٩٢] (٧٥) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٥٦٧.
- [١٩٣] (٧٦) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/ ٢٣١.
- [١٩٤] (١) الخبر بنصه لدى السخاوى نقلا عن ابن فرحون.
- [١٩٥] (٢) أوردته السخاوى بنصه نقلا عن المؤلف.
- [١٩٦] (١) الخبر لدى السخاوى بالنص نقلا عن ابن فرحون.
- [١٩٧] (٧٧) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ١١.
- [١٩٨] (٢) أوردته السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون.
- [١٩٩] (١) تحرف في المطبوع إلى (للذين).
- [٢٠٠] (٨٠) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٣٥٤.
- [٢٠١] (١) الخبر لدى السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون.
- [٢٠٢] (٢) التحفة اللطيفة ٣/ ٣٥٤.
- [٢٠٣] (٨١) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ١٠١.
- [٢٠٤] (٨٢) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/ ١٥٤.
- [٢٠٥] (١) البلاس: ثوب من الشعر غليظ.
- [٢٠٦] (٢) الخبر بنصه لدى السخاوى نقلا عن ابن فرحون.
- [٢٠٧] (٨٣) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ١٨٩.
- [٢٠٨] (١) أوردته السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون.
- [٢٠٩] (٢) أوردته السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون.
- [٢١٠] (٣) أوردته السخاوى بنصه نقلا عن المؤلف.
- [٢١١] ابن فرحون، عبد الله بن محمد، تاريخ المدينة المنورة المسمى نصيحة المشاور و تعزية المجاور، ١ جلد، مكتبة الثقافة الدينية - قاهره، چاپ: اول، ١٤٢٧ هـ.ق.

- [٢١٢] (١) تقوّت بالشىء: أكله.
- [٢١٣] (٨٤) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/١٨٦، العقد الثمين ٣/٧٨.
- [٢١٤] (١) ستأتى ترجمته فيما بعد.
- [٢١٥] (٨٥) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/٤٧٤، العقد الثمين ١/٣٠٠.
- [٢١٦] (٨٦) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/٢١٤، العقد الثمين ٦/١٣٢.
- [٢١٧] (٨٧) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/٢١، العقد الثمين ٤/٣٢٤.
- [٢١٨] (١) ساقط من المطبوع و الدرهم النقرة: هى الدراهم التى كانت تغلب فيها نسبة الفضة على النحاس.
- [٢١٩] (٢) فى المطبوع (أيسر) و المثبت من الأصل و مثله لدى السخاوى و هو ينقل عن المصنف.
- [٢٢٠] (٣) تحرف فى المطبوع إلى (كان) و صوابه لدى السخاوى و هو ينقل عن المصنف.
- [٢٢١] (١) تحرف فى المطبوع إلى (المالكين).
- [٢٢٢] (٨٨) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/٥٧٠، العقد الثمين ٢/١٩.
- [٢٢٣] (٢) أورده السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون.
- [٢٢٤] (١) تحرف فى المطبوع إلى: (معارف) و صوابه من الأصل، و مثله لدى السخاوى و هو ينقل عن المصنف.
- [٢٢٥] (٢) لدى السخاوى و هو ينقل عن المصنف "هفوة".
- [٢٢٦] (٣) نقله السخاوى بنصه من ابن فرحون.
- [٢٢٧] (٨٩) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/٥٣٢.
- [٢٢٨] (٩٠) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/٦٣٣، العقد الثمين ٢/١١٢.
- [٢٢٩] (٩٢) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/١١٤، العقد الثمين ٤/٥٠٣.
- [٢٣٠] (١) قيده السخاوى فى التحفة اللطيفة "بغين معجمة وراء مهملة".
- [٢٣١] (٩٣) من مصادر ترجمته: العقد الثمين ٧/٢٩٩.
- [٢٣٢] (٩٤) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/١٨، الدرر الكامنة ٢/٨٥.
- [٢٣٣] (١) قيده السخاوى فى التحفة اللطيفة: (بقاف مفتوحة، بعدها باء موحدة ساكنة، ثم تاء مثناة مفتوحة، ثم واو ساكنة بعدها راء).
- [٢٣٤] (٩٦) من مصادر ترجمته التحفة اللطيفة ١/٢٧٤ الدرر الكامنة ١/٣٤٠.
- [٢٣٥] (٩٧) من مصادر ترجمته التحفة اللطيفة ١/٢٧٤ الدرر الكامنة ١/٣٤٠.
- [٢٣٦] (١) ساقط من المطبوع.
- [٢٣٧] (٢) التحفة اللطيفة ٣/٤٨٢.
- [٢٣٨] (٣) أورده السخاوى ٣/٤٨٢.
- [٢٣٩] (١) الخبر لدى السخاوى ٣/٤٨٢ نقلا عن ابن فرحون.
- [٢٤٠] (٢) التحفة اللطيفة ٣/٤٨٢.
- [٢٤١] (٣) التحفة اللطيفة ٣/٤٨٢.
- [٢٤٢] (٤) التحفة نقلا عن ابن فرحون.
- [٢٤٣] (٩٩) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/١٠١.
- [٢٤٤] (١) التحفة ٣/٤٨٢ نقلا عن ابن فرحون.

- [٢٤٥] (٢) الخبر لدى السخاوى فى التحفة ٣/ ٤٨٣ بالنص نقلا عن ابن فرحون.
- [٢٤٦] (١) نقله السخاوى فى التحفة ٣/ ٤٨٣ عن ابن فرحون.
- [٢٤٧] (٢) نقله السخاوى فى التحفة ٣/ ٤٨٣ عن ابن فرحون.
- [٢٤٨] (٣) أورده السخاوى فى التحفة ٣/ ٤٨٣ نقلا عن المصنف.
- [٢٤٩] (٤) نقله السخاوى فى التحفة ٣/ ٤٨٣.
- [٢٥٠] (٥) نقله السخاوى فى التحفة ٣/ ٤٨٤.
- [٢٥١] (١٠١) من مصادر ترجمته: المغانم المطابة ٣/ ١٣٢٢.
- [٢٥٢] (١٠٢) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٢٢١.
- [٢٥٣] (١) تحرف فى المطبوع إلى: (الشيخ صالح) و صواب القراءة من النص.
- [٢٥٤] (١٠٣) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٤٠٦.
- [٢٥٥] (١) أورده السخاوى بنصه فى التحفة اللطيفة ٣/ ٤٠٦. نقلا عن ابن فرحون.
- [٢٥٦] (١٠٤) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ١٧٤.
- [٢٥٧] (٢) أورده السخاوى نقلا عن ابن فرحون.
- [٢٥٨] (١) أورده السخاوى فى التحفة اللطيفة عن المصنف.
- [٢٥٩] (٢) التحفة اللطيفة ٣/ ١٧٥.
- [٢٦٠] (٣) لدى السخاوى فى التحفة و هو ينقل عن المصنف: (ينزح).
- [٢٦١] (٤) التحفة اللطيفة نقلا عن ابن فرحون.
- [٢٦٢] (٥) التحفة اللطيفة ٣/ ١٧٥ نقلا عن ابن فرحون.
- [٢٦٣] (٦) لدى السخاوى و هو ينقل عن المؤلف: (كأن أحدا غلها).
- [٢٦٤] (٧) التحفة اللطيفة ٣/ ١٧٥ نقلا عن المؤلف.
- [٢٦٥] (١) له ترجمة فى التحفة اللطيفة ٢/ ٢٨٥.
- [٢٦٦] (١) ترجمته فى التحفة اللطيفة ٣/ ١٩٧.
- [٢٦٧] (١) هو القاضى الفاضل محبى الدين بعد الرحيم البيسانى (سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٣٨) ولدى السخاوى فى التحفة اللطيفة ٢/ ٥٧٢: عبد الرحيم بن على البيسانى القاضى الفاضل أنشأ للرجال رباطا بالمدينة.
- [٢٦٨] (١٠٦) من مصادر ترجمته التحفة اللطيفة ٢/ ٥٥٥.
- [٢٦٩] (٢) أورده السخاوى فى التحفة اللطيفة نقلا عن ابن فرحون.
- [٢٧٠] (٣) أورده السخاوى بنصه فى التحفة اللطيفة نقلا عن المؤلف.
- [٢٧١] (١٠٧) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٢٩٤.
- [٢٧٢] (١) أورده السخاوى نقلا عن المصنف.
- [٢٧٣] (٢) التحفة اللطيفة ٢/ ٢٩٦.
- [٢٧٤] (١) أورده السخاوى نقلا عن ابن فرحون.
- [٢٧٥] (١٠٩) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٤٥٧، العقد الثمين ٥/ ١٠٤.
- [٢٧٦] (١) أورده السخاوى بنصه فى التحفة نقلا عن ابن فرحون.

- [٢٧٧] (٢) في المطبوع: (التجويد) و المثبت من قراءة النص و مثلها لدى السخاوى و هو ينقل عن المؤلف.
- [٢٧٨] (٣) أورده السخاوى بنصه فى التحفة نقلا عن ابن فرحون.
- [٢٧٩] (٤) أورده السخاوى بنصه فى التحفة نقلا عن المصنف.
- [٢٨٠] (١) التحفة ٢ / ٤٥٨.
- [٢٨١] (١١٠) من مصادر ترجمته: الدرر الكامنة ٤ / ٤٢٩.
- [٢٨٢] (١١١) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١ / ٢٧١.
- [٢٨٣] (١١٣) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١ / ١٤٦.
- [٢٨٤] (١) نقله السخاوى فى التحفة عن ابن فرحون.
- [٢٨٥] (١١٤) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣ / ٦٠٣.
- [٢٨٦] (١١٥) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣ / ٤٦٦.
- [٢٨٧] (١) نقله السخاوى فى التحفة عن ابن فرحون.
- [٢٨٨] (١) أورده السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون.
- [٢٨٩] (٢) نقله السخاوى بنصه عن ابن فرحون.
- [٢٩٠] (١) نقله السخاوى بنصه عن ابن فرحون.
- [٢٩١] (٢) نقله السخاوى بنصه عن ابن فرحون.
- [٢٩٢] (٣) التحفة اللطيفة: ٣ / ٤٦٩.
- [٢٩٣] (١١٦) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة: ٢ / ٣٨٨.
- [٢٩٤] (١) ما بين حاصرتين لدى السخاوى فى التحفة و هو ينقل عن ابن فرحون.
- [٢٩٥] (٢) التحفة اللطيفة نقلا عن المؤلف.
- [٢٩٦] (٣) تحرف فى المطبوع إلى (علم) و صوابه من قراءة النص، و مثله لدى السخاوى فى التحفة و هو ينقل عن المصنف.
- [٢٩٧] (٤) التحفة ٢ / ٣٨٩.
- [٢٩٨] (٥) التحفة ٢ / ٣٨٩.
- [٢٩٩] (١١٧) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة: ٢ / ٥٢٩.
- [٣٠٠] (١١٨) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣ / ٤٥.
- [٣٠١] (١) التحفة ٢ / ٣٨٩.
- [٣٠٢] (٢) نقله السخاوى فى التحفة ٣ / ٤٥ عن ابن فرحون.
- [٣٠٣] (٣) أورده السخاوى فى التحفة ٣ / ٤٥ عن ابن فرحون.
- [٣٠٤] (١) التحفة اللطيفة ٢ / ٥٢٩ - ٥٣٠.
- [٣٠٥] (٢) التحفة ٢ / ٣٨٩.
- [٣٠٦] (١) ترجم له السخاوى فى التحفة: ٢ / ١٦٧.
- [٣٠٧] (١١٩) من مصادر ترجمته: المغانم المطابة: ١٢٩٥.
- [٣٠٨] (٢) التحفة اللطيفة: ٣ / ٤٥٧ نقلا عن ابن فرحون.
- [٣٠٩] (١٢٠) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢ / ٣٨٣.

[٣١٠] (١) أوردته السخاوى فى التحفة نقلا عن ابن فرحون.

[٣١١] (١٢١) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/١٩٣.

[٣١٢] (٢) أوردته السخاوى فى التحفة نقلا عن ابن فرحون.

[٣١٣] (١٢٢) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/٦٤١.

[٣١٤] (١) سقط من المطبوع و بالهامش: (سقط بجميع النسخ) و المثبت من قراءة الأصل.

[٣١٥] (١٢٦) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/٢٦٣.

[٣١٦] (١) التحفة: ٣/٢٦٣.

[٣١٧] (١) أوردته السخاوى فى التحفة اللطيفة ٣/٢٦٣ نقلا عن ابن فرحون.

[٣١٨] (١٢٨) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/٣٦٥.

[٣١٩] (٢) أوردته السخاوى فى التحفة نقلا عن المصنف.

[٣٢٠] (١٢٩) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/٥٠١ نقلا عن ابن فرحون.

[٣٢١] (١٣٠) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/٢١٢.

[٣٢٢] (١٣١) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/٥٠٥.

[٣٢٣] (١) أوردته السخاوى فى التحفة اللطيفة نقلا عن ابن فرحون

[٣٢٤] (١٣٢) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/٥٤٨.

[٣٢٥] (١٣٤) من مصادر ترجمته، المغانم المطابة ١٣١٩.

[٣٢٦] (١٣٥) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/٤٢٨.

[٣٢٧] (١) أوردته السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون.

[٣٢٨] (١٣٦) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/٢٧٨.

[٣٢٩] (١) أوردته السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون.

[٣٣٠] (١٣٧) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/٣١٠.

[٣٣١] (١) أوردته السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون

[٣٣٢] (٢) أوردته السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون.

[٣٣٣] (١٣٨) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/٣٥٢، المغانم المطابة ٣/١١٧٦.

[٣٣٤] (١) التحفة اللطيفة ١/٣٥٢.

[٣٣٥] (٢) الخشكناة: خبزة تصنع من خالص دقيق الحنطة، و تملأ بالسكر أو اللوز أو الفستق و تغلى؛ و تحرف فى المطبوع إلى (خشكناة).

[٣٣٦] (٣) التحفة اللطيفة.

[٣٣٧] (١) نقله السخاوى فى التحفة ١/٣٥٢ عن المصنف.

[٣٣٨] (٢) فى المطبوع: (كنت) و المثبت من قراءة النص. و مثله لدى السخاوى فى التحفة نقلا عن المصنف.

[٣٣٩] (٣) التحفة نقلا عن المصنف.

[٣٤٠] (٤) أوردته السخاوى فى التحفة نقلا عن ابن فرحون.

[٣٤١] (٥) النص فى المطبوع فيه تحريف و سقط، و قد اعتمدنا فى تكملة النص و تصويبه على قراءة الأصل، و على ما ورد لدى

- السخاوى فى التحفة و هو ينقل عن ابن فرحون.
- [٣٤٢] (١) أوردته السخاوى فى التحفة اللطيفة نقلا عن المصنف.
- [٣٤٣] (٢) فى المطبوع (أنشد) و المثبت من قراءة النص؛ و ما ورد لدى السخاوى فى التحفة، هو بنقل عن ابن فرحون.
- [٣٤٤] (٣) التحفة ١/ ٣٥٣ نقلا عن المصنف.
- [٣٤٥] (٤) أوردته السخاوى فى التحفة ١/ ٣٥٣ نقلا عن المصنف.
- [٣٤٦] (٥) التحفة ١/ ٣٥٤.
- [٣٤٧] (١) التحفة ١/ ٣٥٤.
- [٣٤٨] (٢) التحفة ١/ ٣٥٤.
- [٣٤٩] (٣) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوع، و هو فى الأصل و التحفة.
- [٣٥٠] (٤) التباة: تباة الأمر: عاقبته و ما يترتب عليه من أثر.
- [٣٥١] (٥) نقله السخاوى فى التحفة ١/ ٣٥٤ عن ابن فرحون.
- [٣٥٢] (١٣٩) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٢٤٤.
- [٣٥٣] (١) أوردته السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون.
- [٣٥٤] (٢) فى المطبوع: (و كان).
- [٣٥٥] (٣) التحفة اللطيفة ٣/ ٢٤٥.
- [٣٥٦] ابن فرحون، عبد الله بن محمد، تاريخ المدينة المنورة المسمى نصيحة المشاور و تعزية المجاور، ١ جلد، مكتبة الثقافة الدينية - قاهره، چاپ: اول، ١٤٢٧ هـ.ق.
- [٣٥٧] (١٤١) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/ ٣٠٦.
- [٣٥٨] (١) لدى السخاوى و هو نقل عن المصنف: (يشبع).
- [٣٥٩] (٢) أوردته السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون.
- [٣٦٠] (١٤٢) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٦١٥.
- [٣٦١] (١) التحفة اللطيفة ٣/ ٦١٦.
- [٣٦٢] (٢) فى المطبوع: (بيت نزيل فيه)، و فى الأصل: (بيت نزل فيه) و المثبت رواية السخاوى و هو ينقل عن المصنف.
- و النزل: المنزل. قال تعالى: فى المؤمنين الصالحين: \أكانت لهم جنات الفردوس نُزُلًا\ (الكهف: ١٠٧).
- [٣٦٣] (٣) التحفة اللطيفة ٣/ ٦١٦.
- [٣٦٤] (١٤٣) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٢٤٤.
- [٣٦٥] (٤) أوردته السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون.
- [٣٦٦] (١) فى الأصل المطبوع: (و طبقتهم) و المثبت رواية السخاوى.
- [٣٦٧] (٢) نقله السخاوى فى التحفة.
- [٣٦٨] (٣) نقله السخاوى فى التحفة.
- [٣٦٩] (١٤٤) من مصادر ترجمته: التحفة ٣/ ٦١٤، الدرر الكامنة ٤/ ٣١٨ المغانم المطابأة ٣/ ١٢٨٧.
- [٣٧٠] (٤) الشيخ سقطت من المطبوع.
- [٣٧١] (٥) نقله بنصه السخاوى فى التحفة اللطيفة.

[٣٧٢] (١) أورده السخاوى فى التحفة نقلا عن ابن فرحون.

[٣٧٣] (٢) أورده السخاوى بنصه فى التحفة نقلا عن ابن فرحون.

[٣٧٤] (٣) نقله السخاوى فى التحفة عن ابن فرحون.

[٣٧٥] (١٤٥) من مصادر ترجمته: الدرر الكامنة ١/ ٤٦٩.

[٣٧٦] (١) ساقط فى المطبوع.

[٣٧٧] (١٤٦) من مصادر ترجمته التحفة اللطيفة ١/ ١١٣ و الدرر الكامنة ١/ ٧٩ و المغنم المطابة ٣/ ١١٧٩

[٣٧٨] (١) التحفة اللطيفة ١/ ١١٤.

[٣٧٩] (٢) التحفة اللطيفة ١/ ١١٥.

[٣٨٠] (٣) فى المطبوع (المحبوب) و المثبت من قراءة النص.

[٣٨١] (١٤٨) من مصادر ترجمته: الدرر الكامنة ٤/ ٣١٦.

[٣٨٢] (١٤٩) من مصادر ترجمته، الدرر الكامنة ٤/ ٢٤٧.

[٣٨٣] (١) تحرف فى المطبوع إلى: (ولد) و صواب القراءة من النص.

[٣٨٤] (١٥٠) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٣٥٦.

[٣٨٥] (١) نقله السخاوى فى التحفة ٣/ ٣٥٦

[٣٨٦] (٢) فى المطبوع (فى علم الأصول) و المثبت من قراءة النص. ولدى السخاوى و هو ينقل عن المؤلف: (و كان فى الأصلين و

الفقه و العربية) ..

[٣٨٧] (٣) فى المطبوع: (فى المغيبة) و المثبت من قراءة النص ولدى السخاوى و هو ينقل عن المصنف: (فى حفظ أصحابه غيبة و

حضورا).

[٣٨٨] (٤) أورده السخاوى بنصه نقلا عن المؤلف.

[٣٨٩] (١) نقله السخاوى بنصه فى التحفة اللطيفة.

[٣٩٠] (١٥١) من مصادر ترجمته التحفة اللطيفة ١/ ٤٩٤، المغنم المطابة ٣/ ١١٩٧.

[٣٩١] (١٥٢) من مصادر ترجمته التحفة اللطيفة ٣/ ٧، المغنم المطابة ٣/ ١٢٣١.

[٣٩٢] (٢) لدى المجد فى المغنم المطابة: (القروى): بفتح القاف و الراء، قال جماعة منهم ياقوت الحموى: ينسب إلى قيروان، مدينة

عظيمة بإفريقية، قروى).

[٣٩٣] (٣) فى الأصل و المطبوع (للاشتغال) و المثبت لدى السخاوى و هو ينقل عن ابن فرحون. و الاشتغال: الدراسة فى فن من

الفنون، و الإشتغال: التدريس فى فن من الفنون.

[٣٩٤] (١) أورده السخاوى بنصه فى التحفة اللطيفة نقلا عن ابن فرحون.

[٣٩٥] (٢) أورده السخاوى بنصه نقلا عن المؤلف.

[٣٩٦] (٣) تحرف فى المطبوع إلى (أبو) و صوابه من الأصل.

[٣٩٧] (١٥٤) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٤٠٧.

[٣٩٨] (١) نقله السخاوى بنصه عن ابن فرحون.

[٣٩٩] (١٥٥) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٦٠٦.

[٤٠٠] (١) التحفة اللطيفة ٣/ ٦١٧.

- [٤٠١] (٢) التحفة اللطيفة ٣/ ٦١٧.
- [٤٠٢] (٣) التحفة اللطيفة ٣/ ٦١٧.
- [٤٠٣] (١٥٦) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ١٧٣.
- [٤٠٤] (١٥٧) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/ ٣٣٨.
- [٤٠٥] (١٥٨) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٢٣٣.
- [٤٠٦] (١) ترجمته في التحفة اللطيفة ٢/ ٢٣٣.
- [٤٠٧] (١٥٩) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٢٣٣.
- [٤٠٨] (١٦١) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٣٦٨.
- [٤٠٩] (١٦٢) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٢٧٤.
- [٤١٠] (٢) أورده السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون.
- [٤١١] (١) أورده السخاوى بنصه ١/ ٣٣٨ نقلا عن ابن فرحون.
- [٤١٢] (٢) أورده السخاوى بنصه ٢/ ٢٣٣ نقلا عن ابن فرحون.
- [٤١٣] (٣) في المطبوع (صالح) و المثبت من قراءة النص ولدى السخاوى و هو ينقل عن المؤلف (توفى عن عقب صالحين منهم عبد الرحمن، و عمر).
- [٤١٤] (١٦٤) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٤٩٧.
- [٤١٥] (٤) نقله السخاوى بنصه عن ابن فرحون.
- [٤١٦] (١٦٥) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٣٣٦.
- [٤١٧] (٥) نقله السخاوى بنصه عن ابن فرحون.
- [٤١٨] (١) نقله السخاوى بنصه عن ابن فرحون.
- [٤١٩] (١٦٦) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٢٩٠.
- [٤٢٠] (١) نقله السخاوى بنصه عن ابن فرحون.
- [٤٢١] (٢) التحفة اللطيفة ٣/ ٢٧٤.
- [٤٢٢] (١٦٧) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/ ١٧١، المغانم المطابة ٣/ ١١٦٣.
- [٤٢٣] (١) في المطبوع (بتعريف) و المثبت من الأصل.
- [٤٢٤] (٢) نقله السخاوى بنصه عن ابن فرحون.
- [٤٢٥] (٣) نقله السخاوى بنصه عن ابن فرحون.
- [٤٢٦] (١) التحفة اللطيفة ١/ ١٧٢.
- [٤٢٧] (١٦٨) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٤٦٥.
- [٤٢٨] (٢) التحفة ٣/ ٤٦٥ و ما بين الحاصرتين منه.
- [٤٢٩] (١٦٩) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٦٤٨.
- [٤٣٠] (١) نقله السخاوى بنصه عن ابن فرحون.
- [٤٣١] (٢) أورده السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون.
- [٤٣٢] (٣) في المطبوع: (الميضأة) و المثبت من قراءة النص، و مثله لدى السخاوى في التحفة ٣/ ٦٤٨ و هو ينقل عن ابن فرحون.

- [٤٣٣] (٤) نقله السخاوى بنصه عن ابن فرحون.
- [٤٣٤] (١) التحفة اللطيفة نقلا عن المؤلف.
- [٤٣٥] (١٧٠) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٣٩.
- [٤٣٦] (٢) أورده السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون.
- [٤٣٧] (١٧١) من مصادر ترجمته، التحفة اللطيفة ١/ ١٦٠.
- [٤٣٨] (٣) تحرف في المطبوع إلى (وزير الأشراف) و صوابه من قراءة النص، و مثله لدى السخاوى في التحفة و هو ينقل عن ابن فرحون.
- [٤٣٩] (٤) أورده السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون.
- [٤٤٠] (١) التحفة ١/ ١٩١.
- [٤٤١] (١٧٢) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ١٧٥.
- [٤٤٢] (٢) نقله السخاوى بنصه عن ابن فرحون.
- [٤٤٣] (٣) تحرف في المطبوع إلى: (عبد) و صوابه من قراءة النص.
- [٤٤٤] (١٧٣) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٥٤٢.
- [٤٤٥] (١٧٤) من مصادر ترجمته: التحفة ١/ ٤٩٩.
- [٤٤٦] (١٧٥) من مصادر ترجمته التحفة ١/ ٢٦٩.
- [٤٤٧] (١٧٦) من مصادر ترجمته ترجمته التحفة ٣/ ٢٦٢.
- [٤٤٨] (١٧٧) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٦٤١.
- [٤٤٩] (١٧٨) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٢٤٠.
- [٤٥٠] (١) نقله السخاوى في التحفة عن ابن فرحون.
- [٤٥١] (١) تأثل: اكتسب.
- [٤٥٢] (١٨٠) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/ ٤٩٩.
- [٤٥٣] (١٨١) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٥٩٩.
- [٤٥٤] (١٨٢) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/ ٢٦٩.
- [٤٥٥] (١٨٣) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٤١٦.
- [٤٥٦] (١٨٤) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/ ٥٣٤.
- [٤٥٧] (١٨٥) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/ ٥١٥.
- [٤٥٨] (١) أورده السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون.
- [٤٥٩] (١) نقله السخاوى بنصه في التحفة ١/ ٥١٥ نقلا عن ابن فرحون.
- [٤٦٠] (١٨٦) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٢١١.
- [٤٦١] (٢) نقله السخاوى بنصه في التحفة ٣/ ٢١١ نقلا عن ابن فرحون.
- [٤٦٢] (٣) في المطبوع: (.. من البكريين إلى سيدنا أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - ينتسبون) و المثبت من الأصل.
- [٤٦٣] (١٨٨) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/ ٤٢٩.
- [٤٦٤] (١) نقله السخاوى بنصه في التحفة ١/ ٤٢٩ عن ابن فرحون.

[٤٦٥] (٢) نقله السخاوى بنصه فى التحفة ٣ / ٢٦٢ عن ابن فرحون.

[٤٦٦] (١٨٩) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣ / ٢٦٢.

[٤٦٧] (١) أورده السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون.

[٤٦٨] (١٩٠) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١ / ٤٩٨.

[٤٦٩] (٢) أورده السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون.

[٤٧٠] (٣) نقله السخاوى بنصه فى التحفة ٢ / ٤٤٠.

[٤٧١] (١٩١) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢ / ٤٤٠.

[٤٧٢] (١٩٢) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢ / ١٩٥.

[٤٧٣] (١) الذيل على الروضتين ١٩١.

[٤٧٤] (٢) الذيل على الروضتين ١٩١، وفاء الوفا ١ / ٢٧٦.

[٤٧٥] (١) الذيل على الروضتين ١٩١.

[٤٧٦] (٢) الذيل على الروضتين ١٩١.

[٤٧٧] (١) الذيل على الروضتين ١٩٢.

[٤٧٨] (١) الذيل على الروضتين ١٩٢.

[٤٧٩] (٢) الذيل على الروضتين ١٩٣.

[٤٨٠] (١) الذيل على الروضتين ١٩٤.

[٤٨١] (٢) الذيل على الروضتين ١٩٤.

[٤٨٢] (١) يعنى ذلك الخادم.

[٤٨٣] (١) الذيل على الروضتين ١٩٤.

[٤٨٤] (٢) فى المطبوع: (كان بينه وبين أبى بكر المستعصم والد بكر عداوة عظيمة)، و المثبت رواية الأصل، وانظر لذلك تاريخ

الإسلام حوادث و وفيات (٦٥١-٦٦٠ هـ) ص ٣٤، و تاريخ ابن الوردى ٢ / ٢٧٩.

[٤٨٥] (١) فى المطبوع: (عن رأى العلقمى).

[٤٨٦] (٢) فى المطبوع: (و الشيخ عبد الله).

[٤٨٧] (١) فى المطبوع: (المحبرين).

[٤٨٨] (١٩٣) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣ / ٢٧٦.

[٤٨٩] (١) الإضافة من التحفة اللطيفة.

[٤٩٠] (٢) أورده السخاوى فى التحفة نقلا عن ابن فرحون.

[٤٩١] (١٩٤) من مصادر ترجمته، التحفة اللطيفة ١ / ٢٧٩.

[٤٩٢] (٣) أورده السخاوى فى التحفة اللطيفة نقلا عن ابن فرحون.

[٤٩٣] (١٩٥) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣ / ٢٦٥.

[٤٩٤] (١) نقله السخاوى بنصه عن ابن فرحون.

[٤٩٥] (١٩٦) من مصادر ترجمته التحفة اللطيفة ٢ / ١٦٤.

[٤٩٦] (٢) أورده السخاوى بنصه عن ابن فرحون.

- [٤٩٧] (١٩٧) من مصادر ترجمته، التحفة اللطيفة ٣/ ٣٧١.
- [٤٩٨] (٣) قيده السخاوى فى التحفة (بمهملة و قاف و نسبة لقريه بين الحرمين).
- [٤٩٩] (٤) أورده السخاوى فى التحفة بنصه عن ابن فرحون.
- [٥٠٠] (١٩٨) من مصادر ترجمته، التحفة اللطيفة ١/ ٣٦٦.
- [٥٠١] (١٩٩) من مصادر ترجمته التحفة اللطيفة ٢/ ١٦٤ نقلا عن ابن فرحون.
- [٥٠٢] (٢٠٠) من مصادر ترجمته التحفة اللطيفة ٣/ ٣٧٣ نقلا عن ابن فرحون.
- [٥٠٣] (٢٠١) من مصادر ترجمته التحفة اللطيفة ١/ ٣٣٧ نقلا عن المنصف.
- [٥٠٤] (٢٠٢) من مصادر ترجمته التحفة اللطيفة ٣/ ٣٦٧ نقلا عن المنصف.
- [٥٠٥] (١) فى المطبوع إلى (أحد) و المثبت من الأصل.
- [٥٠٦] (٢٠٥) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/ ٥١٢.
- [٥٠٧] (٢) نقل السخاوى فى التحفة ١/ ٥١٢ هذه الترجمة نصا عن ابن فرحون،
- [٥٠٨] (٢٠٦) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/ ٥٠٦.
- [٥٠٩] (١) نقله السخاوى بنصه عن ابن فرحون.
- [٥١٠] (٢٠٧) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/ ٤٧٨.
- [٥١١] (٢) نقل السخاوى فى التحفة ١/ ٤٧٨ هذه الترجمة نصا عن ابن فرحون.
- [٥١٢] (٣) فى المطبوع (من) و المثبت من قراءة النص.
- [٥١٣] (٤) فى الأصل: (فإنما ذكرته استطرادا).
- [٥١٤] (٥) فى المطبوع (يوالون) و المثبت من قراءة النص و ألفه إلفا: أنس به و أحبه.
- [٥١٥] (٢٠٨) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٢٢٤.
- [٥١٦] (١) تحرف فى المطبوع إلى (الصيفى).
- [٥١٧] (٢) ساقط فى المطبوع.
- [٥١٨] (٣) نقله السخاوى فى التحفة ٣: ٢٢٤ نصا عن ابن فرحون.
- [٥١٩] (٤) نقله السخاوى فى التحفة ٣/ ٢٢٤ نصا عن ابن فرحون.
- [٥٢٠] (٢٠٩) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٢٦٧.
- [٥٢١] (٥) ما بين حاصرتين ساقط من المطبوع و هو فى الأصل، و مثله لدى السخاوى و هو ينقل عن ابن فرحون.
- [٥٢٢] (٦) تحرف فى المطبوع إلى (بالمجاورين) و صوابه من الأصل، و مثله لدى السخاوى و هو ينقل عن المؤلف.
- [٥٢٣] (١) تحرف فى المطبوع إلى: (المداعبة) و صوابه من الأصل.
- [٥٢٤] (٢) فى المطبوع (البدور) و المثبت من الأصل.
- [٥٢٥] (٣) نقله السخاوى فى التحفة بنصه عن ابن فرحون.
- [٥٢٦] (٤) نقله السخاوى عن ابن فرحون.
- [٥٢٧] (١) فى المطبوع: (من العمل) و المثبت من الأصل.
- [٥٢٨] (٢) فى المطبوع: (بحسن) و المثبت من الأصل.
- [٥٢٩] (٣) فى المطبوع: (شيوخهم) و المثبت من الأصل.

- [٥٣٠] ابن فرحون، عبد الله بن محمد، تاريخ المدينة المنورة المسمى نصيحة المشاور و تعزية المجاور، اجلد، مكتبة الثقافة الدينية - قاهره، چاپ: اول، ١٤٢٧ ه.ق.
- [٥٣١] (٢١١) من مصادر ترجمته التحفة اللطيفة ١/٤٨٤.
- [٥٣٢] (١) هو طفيل بن منصور بن جمار بن شيحة الحسيني. ترجمته في التحفة اللطيفة ٢/٢٥٨.
- [٥٣٣] (٢) نقله السخاوي عن ابن فرحون.
- [٥٣٤] (١) في المطبوع: (و أنا سألك من إحسانك) و المثبت من الأصل.
- [٥٣٥] (٢) التحفة اللطيفة.
- [٥٣٦] (٣) في المطبوع: (نخشاها) و المثبت من الأصل.
- [٥٣٧] (٢١٢) من مصادر ترجمته: المغانم المطابة ٣/١٣٠٤.
- [٥٣٨] (١) تحرف في المطبوع إلى (الشيعة) و صوابه من الأصل، و مثله في المغانم المطابة ٣/١٣٠٥.
- [٥٣٩] (١) المغانم المطابة ٣/١٣٠٦.
- [٥٤٠] (٢) في المغانم المطابة: (و يجذب بالحطام).
- [٥٤١] (٢١٣) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/٣١٢، الدرر الكامنة. ٣/١٤٩، طبقات الشافعية للإسنوي ٢/٧٢، المغانم المطابة ٣/١٢٣٥.
- [٥٤٢] (١) تحرف في المطبوع إلى (ابن أحمد الخصري بن ظافر) و صوابه من الأصل، و مثله في مصادر الترجمة.
- [٥٤٣] (٢) التحفة اللطيفة نقلا عن المؤلف.
- تحرف المطبوع إلى: (الشريف المريسي)، و في الأصل إلى: (الشرف المريسي)، و صوابه في التحفة و المغانم.
- [٥٤٤] (١) التحفة نقلا عن المؤلف.
- [٥٤٥] (٢) التحفة اللطيفة نقلا عن ابن فرحون.
- [٥٤٦] (٣) تحرف في المطبوع إلى: (بمدين) و صوابه من الأصل، و مثلها لدى السخاوي في التحفة و هو ينقل عن المصنف.
- [٥٤٧] (٤) التحفة اللطيفة نقلا عن ابن فرحون و ما بين حاصرتين منه.
- [٥٤٨] (٥) التحفة اللطيفة نقلا عن ابن فرحون.
- [٥٤٩] (١) أورده السخاوي بنصه عن ابن فرحون.
- [٥٥٠] (٢) تحرف في المطبوع إلى: (السخاوي) و صوابه من الأصل و المغانم و المطابة ٣/١٢٣٧. و مما يؤخذ على محقق المطبوع أنه شرح هذا الخطأ في الهامش - دون أعمال فكر و روية - بقوله: (هو أبو عبد الله محمد بن موسى السخاوي القاهري، قاضي طيبة و نزيلها، ولد سنة ٨١٩ ه، و توفي سنة ٨٩٥ ه. فيكف يكتب ابن فرحون المتوفى سنة ٧٦٩ ه، عن شخص ولى بعد وفاته بكثير؟!).
- [٥٥١] (٣) نقله السخاوي في التحفة نصًا عن ابن فرحون.
- [٥٥٢] (١) في المطبوع، (ذرية لمحمد)، و بهامشه: يعنى أبا عبد الله السخاوي المتقدم ذكره، و قد ثبت في الهامش المتقدم خطأ ذلك.
- [٥٥٣] (٢) تحرف في المطبوع إلى: (أصلهم) و صوابه من الأصل.
- [٥٥٤] (٣) في المطبوع: (و أمنوهم).
- [٥٥٥] (٤) تحرف المطبوع إلى (و كان) و صوابه من الأصل.
- [٥٥٦] (١) تحرف في المطبوع إلى (خطيبا فلطا لما عملوا) و صوبه من الأصل.

- [٥٥٧] (٢) ساقط في المطبوع.
- [٥٥٨] (٣) لدى السخاوى فى التحفة اللطيفة ١٦٧ / ٢: (سلطان بن محارد).
- [٥٥٩] (٤) ساقط من المطبوع.
- [٥٦٠] (٢١٥) من مصادر ترجمته التحفة اللطيفة ٣ / ٤٠٤.
- [٥٦١] (١) أورده السخاوى نقلا عن ابن فرحون.
- [٥٦٢] (٢١٦) من مصادر ترجمته التحفة اللطيفة ٣ / ٢٢٤.
- [٥٦٣] (٢) أورده السخاوى نقلا عن ابن فرحون.
- [٥٦٤] (١) تحرف فى المطبوع إلى (قال: كذا نعلك النووى). و صواب القراءة من النص. و ملك العجين يملكه ملكا، أنعم عجنه.
- [٥٦٥] (٢١٧) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١ / ١٨٤.
- [٥٦٦] (٢١٨) من مصادر ترجمته، المغانم المطابة ٣ / ١٣١٩.
- [٥٦٧] (٢١٩) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١ / ٥٤.
- [٥٦٨] (١) التحفة اللطيفة ١ / ٥٤.
- [٥٦٩] (٢) التحفة اللطيفة ١ / ٥٤.
- [٥٧٠] (١) التحفة اللطيفة ١ / ٥٤.
- [٥٧١] (٢٢٠) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١ / ٥٤.
- [٥٧٢] (١) التحفة ١ / ٥٤.
- [٥٧٣] (٢) الشدق: ما يوضع على الجمل يجلس فيه الراكب.
- [٥٧٤] (٣) فى المطبوع: (بينان أو أخشاب).
- [٥٧٥] (١) المطبوع (لما) و المثبت من الأصل.
- [٥٧٦] (١) تحرف فى المطبوع إلى: (تفريع) بالفاء: و صوابه من الأصل.
- [٥٧٧] (٢٢١) من مصادر ترجمته التحفة اللطيفة ١ / ٢٧٦.
- [٥٧٨] (٢٢٢) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١ / ١٨٤.
- [٥٧٩] (١) أورده السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون.
- [٥٨٠] (٢) العهن: الصوف.
- [٥٨١] (٣) أورده السخاوى نقلا عن ابن فرحون.
- [٥٨٢] (٢٢٣) من مصادر ترجمته التحفة اللطيفة ٣ / ٤٦٦، و المغانم المطابة ٣ / ١٢٨٩.
- [٥٨٣] (١) أورده السخاوى نقلا عن ابن فرحون.
- [٥٨٤] (٢٢٤) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢ / ٥٠٨، و الدرر الكامنة ٢ / ٣٣٤، و المغانم المطابة ٣ / ١٢٢٩.
- [٥٨٥] (٢) تحرف فى المطبوع إلى: (جمال الدين بن عبد المؤمن) و صوابه من الأصل و مصادر الترجمة.
- [٥٨٦] (٣) تحرف فى المطبوع إلى: عبد المؤمن بن أسيد بن عبد الملك). و صوابه من الأصل و مصادر الترجمة.
- [٥٨٧] (٤) تحرف فى الأصل إلى: (من يد) و هو تحريف قبيح، و صوابه من الأصل و مثله لدى السخاوى و هو ينقل عن المؤلف.
- [٥٨٨] (٥) أورده السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون.
- [٥٨٩] (١) أورده السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون.

[٥٩٠] (٢) تحرف في المطبوع إلى: (عزيز) و صوابه من الأصل.

[٥٩١] (١) نقله السخاوى بنصه عن ابن فرحون.

[٥٩٢] (٢٢٥) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/ ٤٧٠.

[٥٩٣] (٢) أورده السخاوى فى التحفة ٢/ ٥٠٩ بنصه عن ابن فرحون.

[٥٩٤] (١) نقله السخاوى بنصه عن ابن فرحون.

[٥٩٥] (٢٢٦) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٦٥٤.

[٥٩٦] (١) أورده السخاوى نقلا عن ابن فرحون.

[٥٩٧] (٢) تحرف فى المطبوع إلى: "و ظهرت من الفتنة" و صوابه من الأصل.

[٥٩٨] (١) أورده السخاوى بنصه نقلا عن ابن فرحون.

[٥٩٩] (٢) نقله السخاوى فى التحفة اللطيفة.

[٦٠٠] (١) النجاب: هو حامل الرسائل و المراسيم السلطانية إلى الأمراء و المكلف بالنداء عليها.

[٦٠١] (٢) نقله السخاوى فى التحفة اللطيفة.

[٦٠٢] (٣) نقله السخاوى فى التحفة اللطيفة.

[٦٠٣] (٢٢٧) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/ ١٠٢.

[٦٠٤] (١) أورده السخاوى بنصه.

[٦٠٥] (٢) أورده السخاوى بنصه.

[٦٠٦] (١) فى المطبوع: (منهم) و المثبت من الأصل.

[٦٠٧] (٢) فى المطبوع: (ثم كشف الحال أنهم جماعة) و المثبت من الأصل.

[٦٠٨] (٢٢٨) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٦٦٣.

[٦٠٩] (١) نقله السخاوى فى التحفة.

[٦١٠] (٢) نقله السخاوى فى التحفة.

[٦١١] (٣) رواية المطبوع: (لم تحكمهم الليالى) و المثبت من قراءة النص، و مثله لدى السخاوى و هو ينقل عن المصنف.

و حنكت السنّ و التجارب فلانا: أحكمته.

[٦١٢] (٤) تحرف فى المطبوع إلى: (تفرّ).

[٦١٣] (٥) نقله السخاوى فى التحفة.

[٦١٤] (١) نقله السخاوى فى التحفة.

[٦١٥] (٢) فى المطبوع (النجاح).

[٦١٦] (٣) فى المطبوع (و فى مثل ذلك يقول القائل).

[٦١٧] (٢٢٩) من مصادر ترجمته التحفة اللطيفة ٣/ ٥٨٠.

[٦١٨] (١) تحرف فى المطبوع إلى (الشهير الحكرى) و صوابه من الأصل.

[٦١٩] (٢) ساقط من المطبوع.

[٦٢٠] (٣) فى المطبوع: (الخطبة) و المثبت من الأصل.

[٦٢١] (١) فى المطبوع: (فى مناصيته) و المثبت من الأصل، و مثله لدى السخاوى و هو ينقل عن ابن فرحون. و يقال: فلان يناصرى

فلانا: ينازعه و يباريه.

[٦٢٢] (٢) نقله السخاوى فى التحفة.

[٦٢٣] (٢٣٠) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/ ٤٢٢.

[٦٢٤] (١) نقله السخاوى فى التحفة عن ابن فرحون

[٦٢٥] (٢٣١) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٢٢٥.

[٦٢٦] (١) تقدم ذكر ترجمته.

[٦٢٧] (٢) نقله السخاوى بنصه عن ابن فرحون.

[٦٢٨] (٣) الروضتين ٣/ ٣٠٩، ٤/ ٤٥.

[٦٢٩] (٢٣٢) من مصادر ترجمته: وفيات الأعيان ٧/ ١٣٩.

[٦٣٠] (٤) انظر: الروضتين فى أخبار الدولتين، ج ٢ ص ١٢٥ و ما بعدها.

[٦٣١] (٢٣٣) من مصادر ترجمته: وفيات الأعيان ٥/ ١٨٤.

[٦٣٢] (١) ابن خلكان ٥/ ١٨٥.

[٦٣٣] (٢) الكامل فى التاريخ لابن الأثير ١١/ ٤٠٣.

[٦٣٤] (٣) ابن خلكان ٥/ ١٨٥.

[٦٣٥] (١) تحرف فى المطبوع إلى: (الوالد).

[٦٣٦] (٢) تحرف فى المطبوع إلى (مبج) و هو تحريف قبيح، صوابه من الأصل و ياقوت، و لديه:

(منبج: بالفتح ثم السكون و باء موحدة و جيم: بلد قديم كبير واسع، بينه و بين الفرات ثلاثة فراسخ.

[٦٣٧] (٣) ابن خلكان ٥/ ١٨٥.

[٦٣٨] (١) فى المطبوع: (فتنكر ذلك).

[٦٣٩] (٢) فى المطبوع: (فإن).

[٦٤٠] (٣) فى المطبوع: (بقوله).

[٦٤١] (٤) فى الأصل (بنخط يده).

[٦٤٢] (١) ساقط من المطبوع.

[٦٤٣] (١) فى الأصل و المطبوع: (بهشنا) و صوابه لدى ابن خلكان الذى ينقل عن المصنف.

ولدى ياقوت: (بهسنا- بفتحتين و سكون السين، و نون، و ألف: قلعة حصينة بقرب مرعش، و هى من عمل حلب).

[٦٤٤] (٢) ابن خلكان ٥/ ١٨٥.

[٦٤٥] (١) تحرف فى المطبوع إلى: (الظاهر) و صوابه من الأصل.

[٦٤٦] (٢) فى الأصل: (منها).

[٦٤٧] (٢٣٤) من مصادر ترجمته: ابن خلكان ٢/ ٤٧٩.

[٦٤٨] (١) فى المطبوع: (فبلغ ذلك العاضد وزيره).

[٦٤٩] (٢) فى المطبوع: (فلما أدخلوا).

[٦٥٠] (٣) تحرف فى المطبوع إلى (و حملوا) و صوابه من الأصل.

[٦٥١] (١) ساقط من المطبوع.

- [٦٥٢] (٢) تحرف في المطبوع إلى: (قره رسلان) و صوابه من الأصل، و الكامل في التاريخ لابن الأثير.
- [٦٥٣] (١) تحرف في المطبوع إلى: (جميع) و صوابه من الأصل.
- [٦٥٤] (٢) في المطبوع: (فرقها).
- [٦٥٥] (٣) تحرف في المطبوع إلى: (فلان).
- [٦٥٦] (٤) في المطبوع: (وقد جرى من المحاكمة نحو) و المثبت من الأصل.
- [٦٥٧] (١) تحرف في المطبوع إلى: (رفيعا) و صوابه من الأصل.
- [٦٥٨] (١) في المطبوع (و تبعهم).
- [٦٥٩] (١) تحرف في المطبوع إلى (و لم يقهم منهم).
- [٦٦٠] (٢٣٥) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٣٨٢.
- [٦٦١] (٢٣٦) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/ ٩٣.
- [٦٦٢] (٢٣٧) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١/ ٩٤.
- [٦٦٣] (٢٣٨) من مصادر ترجمته: تاريخ أمراء المدينة ٢٦٧ و ما بحواشيه من مصادر.
- [٦٦٤] (١) تحرف في المطبوع إلى: (عرضة) بالضاد المعجمة، و العرصة: ساحة الدار، و البقعة الواسعة بين الدور لا بناء فيها.
- [٦٦٥] (٢) في المطبوع: (حرثمة) و المثبت رواية الأصل.
- [٦٦٦] (٢٣٩) من مصادر ترجمته: تاريخ أمراء المدينة ٢٧٢.
- [٦٦٧] (١) تحرف في الأصل و المطبوع إلى: (أيدمش) و صوابه لدى ابن فهد في غاية المرام ٢/ ٦٣.
- [٦٦٨] (٢) في المطبوع: (الواقعة) و المثبت رواية الأصل.
- [٦٦٩] (١) في المطبوع: (حرثية) و المثبت رواية الأصل، و مثله لدى السخاوي في التحفة اللطيفة ١/ ٤٦٤.
- [٦٧٠] (٢٤٠) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٤٢٦، تاريخ أمراء المدينة ٢٧٠ و ما بحواشيه من مصادر.
- [٦٧١] (٢٤١) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٢٥٨.
- [٦٧٢] (٢٤٢) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ٢٢٩ و جاء بها: و استنجد به طفيل أمير المدينة في نصرته سنة تسع و عشرين و سبعمائة.
- [٦٧٣] (١) تحرف في المطبوع إلى: (حريث) و صوابه من الأصل، و مثله لدى السخاوي في التحفة ٢/ ٢٢٩ و هو ينقل عن المصنف.
- [٦٧٤] (٢٤٣) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٣٦٤ و قد تحرف (عمر بن وهيب) في المطبوع إلى: (عمرو بن وهيب) و صوابه من الأصل و التحفة اللطيفة. و ورد لدى السخاوي في ترجمته: (استنجد به طفيل أمير المدينة في سنة تسع و عشرين و سبعمائة).
- [٦٧٥] (٢٤٤) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ١٨٧ و قد تحرف (الزراق) في المطبوع إلى (الزراق) و صوابه من التحفة اللطيفة. و لدى السخاوي في ترجمته: (استنجد به طفيل أمير المدينة في سنة تسع و عشرين و سبعمائة).
- [٦٧٦] (١) في المطبوع: (و كانوا ألقى فارس و خمسمائة راحلة و باقيهم رجال) و المثبت رواية الأصل.
- [٦٧٧] (٢) رواية المطبوع: (و قيل خمسة عشر، و قيل ستة عشر، و المثبت رواية الأصل).
- [٦٧٨] (٢٤٥) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ١٧٩ و لدى السخاوي في ترجمته:
- (استخلفه أبوه على المدينة، حين توجه لمصر في سنة ست و ثلاثين و سبعمائة).
- [٦٧٩] (٢٤٦) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٢٤٦، و لدى السخاوي في ترجمته: (وزير طفيل بن منصور، كان حيا سنة ست و ثلاثين و سبعمائة).

- [٦٨٠] ابن فرحون، عبد الله بن محمد، تاريخ المدينة المنورة المسمى نصيحة المشاور و تعزية المجاور، اجلد، مكتبة الثقافة الدينية - قاهره، چاپ: اول، ١٤٢٧ ه.ق.
- [٦٨١] (١) التحفة اللطيفة ٣ / ١٩٧.
- [٦٨٢] (٢) التحفة اللطيفة ٢ / ٩١.
- [٦٨٣] (٣) تحرف في المطبوع إلى: (جديد) بالحاء المهملة، و صوابه من الأصل، و التحفة اللطيفة ١ / ٤١٠ نقلا عن المصنف.
- [٦٨٤] (٤) التحفة اللطيفة ٢ / ١٢٥.
- [٦٨٥] (٥) تحرف في المطبوع إلى: (ابن).
- [٦٨٦] (٦) في المطبوع: (و أن يمسكوا) و المثبت من الأصل.
- [٦٨٧] (١) التحفة اللطيفة ٣ / ٤١٨. و ورد فيها: (أشركة ودى مع جديب في نيابته بالمدينة).
- [٦٨٨] (٢٤٧) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣ / ٣٩٥.
- [٦٨٩] (١) تحرف في المطبوع إلى (في أثناء).
- [٦٩٠] (٢٤٨) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢ / ١٢٥.
- [٦٩١] (٢) في المطبوع: (الحواج).
- [٦٩٢] (٣) في المطبوع: (في المدينة) و المثبت من الأصل.
- [٦٩٣] (٢٤٩) من مصادر ترجمتها: تاريخ أمراء المدينة ٢٨٠.
- [٦٩٤] (١) في المطبوع: (الدرب) و المثبت من قراءة النص.
- [٦٩٥] (١) سبقت ترجمته برقم ٢٤٧.
- [٦٩٦] (٢٥٠) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١ / ٩٤.
- [٦٩٧] (٢٥١) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ١ / ٩٤.
- [٦٩٨] (١) تحرف في المطبوع إلى (رافعون) و صوابه من قراءة الأصل.
- [٦٩٩] (٢٥٢) من مصادر ترجمته التحفة اللطيفة ١ / ٩٥.
- [٧٠٠] (٢٥٣) من مصادر ترجمته التحفة اللطيفة ٣ / ١٩٧.
- [٧٠١] (١) ساقط من المطبوع.
- [٧٠٢] (١) في المطبوع: (و أهلهم) و المثبت من الأصل.
- [٧٠٣] (٢) في المطبوع، (المنصورة).
- [٧٠٤] (٢٥٤) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣ / ٧٠٦ نقلا عن ابن فرحون.
- [٧٠٥] (١) جمهرة أنساب العرب ٢٩٣.
- [٧٠٦] (١) في المطبوع (و لا يتعرض) و المثبت رواية الأصل.
- [٧٠٧] (١) في المطبوع: (نفسه) و المثبت رواية الأصل.
- [٧٠٨] (١) في الأصل: (أكواب) و الإداوة: إناء صغير يحمل فيه الماء.
- [٧٠٩] (١) ساقط من المطبوع.
- [٧١٠] (٢) في المطبوع: (جمل أو جملان) بالجيم المعجمة.
- [٧١١] (٣) في المطبوع: (و كان للدارب) و المثبت من قراءة النص.

- [٧١٢] (٢٥٥) من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٢٥٢، المغانم المطابة ٣/ ١٢٤٩.
- [٧١٣] (١) ساقط من المطبوع.
- [٧١٤] (٢) في المطبوع: (مشاهدة) و المثبت من الأصل.
- [٧١٥] (١) (و كان رحمه الله هو) رواية المطبوع، و المثبت رواية الأصل.
- [٧١٦] (٢) ساقط من المطبوع و هو في الأصل و التحفة.
- [٧١٧] (٣) في المطبوع: (يقرب) بالياء، و المثبت من الأصل و التحفة.
- [٧١٨] (٤) تحرف في المطبوع إلى (و الله ما ندمت) و صواب القراءة من النص و مثله في التحفة للسخاوى و هو ينقل عن المصنف.
- [٧١٩] (١) في الأصل و التحفة: (الجباء) و الجباء: يقال: حبابه حباء اختصه و مال إليه.
- [٧٢٠] (٢) تحرف في المطبوع إلى: (عدو شافى) و هو تحريف قبيح، و صواب القراءة من النص و التحفة للسخاوى و هو ينقل عن المصنف.
- [٧٢١] (١) في المطبوع: (و قولى: كان فلان و فلان) و المثبت من الأصل.
- [٧٢٢] (٢) في المطبوع: (قدمت) و المثبت من قراءة النص.
- [٧٢٣] (٣) بياض في الأصل و المطبوع.
- [٧٢٤] (١) في المطبوع: (و قولنا أخو يا رب ..) و هو غير صحيح عروضيا.
- [٧٢٥] (١) في المطبوع: (و لكن بقاء لإنهاء لمدتى) و هو غير صحيح عروضيا، و صواب القراءة من النص و الأبيات من الطويل.
- [٧٢٦] (٢) في المطبوع: (صفحا) و المثبت من الأصل.
- [٧٢٧] (٣) في الأصل: (هل لى).
- [٧٢٨] (٤) تحرف في المطبوع إلى (بذاك لى أدعو أنتم) و هو غير صحيح عروضيا، صواب.
- [٧٢٩] (٥) في المطبوع: (قبل) و هو غير صحيح عروضيا، و صواب القراءة من النص، و الأبيات من الطويل.
- [٧٣٠] (١) في الأصل (السواحر).
- [٧٣١] (١) في المطبوع: (فظنى أن حالى) و هو غير صحيح عروضيا، و صواب القراءة من النص.
- و الأبيات من الطويل.
- [٧٣٢] ابن فرحون، عبد الله بن محمد، تاريخ المدينة المنورة المسمى نصيحة المشاور و تعزية المجاور، جلد، مكتبة الثقافة الدينية - قاهره، چاپ: اول، ١٤٢٧ هـ.ق.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
 جاهدوا بأموالكم و أنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).
 قال الإمام على بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - فى تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).
 مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادى" - رَحِمَهُ اللهُ - كان أحداً من جهايزة هذه المدينة، الذى قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبى (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) و

بِسَاحَةِ صَاحِبِ الزَّمَانِ (عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ)؛ وَ لِهَذَا سَيَسَّ مَعَ نَظَرِهِ وَ دَرَايَتِهِ، فِي سَنَةِ ١٣٤٠ هِجْرِيَّةِ الشَّمْسِيَّةِ (= ١٣٨٠ هِجْرِيَّةِ الْقَمْرِيَّةِ)، مَوْسَسَةٌ وَ طَرِيقَةٌ لَمْ يَنْطَفِئِ مِصْبَاحُهَا، بَلْ تُتَبَّعُ بِأَقْوَى وَ أَحْسَنِ مَوْقِفٍ كُلِّ يَوْمٍ.

مركز "القائمة" للتحرى الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ هجریة الشمسیة (= ١٤٢٧ هجریة القمریة) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامى - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلمیة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالات شتى: دینیة، ثقافیة و علمیة...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافته الثقلین (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرى الأذق للمسائل الدينيّة، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المتبدلة أو الرديئة - فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامعته ثقافية على أساس معارف القرآن و اهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعة ثقافته القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة فى الجامعه، و...

- منها العدالة الاجتماعية: التى يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - فى آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - فى أنحاء العالم - من جهة أخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

(د) إبداع الموقع الانترنتى " القائمة " www.Ghaemiyeh.com و عدة مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضية، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية

(و) الإطلاع و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الاخلاقيه و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعیه و اعتباریه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلمیة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسة " الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين فى الجلسة

(ى) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / "ما بين شارع" پنج رمضان " و مفترق "وفائى" / "بنايه" القائمة "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ هجریة الشمسیة (= ١٤٢٧ هجریة القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الإلكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنّها لا تُوفّي الحجم المتزايد و المتسعّ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحبَ هذا البيتِ (المُسَمّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجه الشّريف) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِعانتهم - في حدّ التّمكّن لكلِّ احدٍ منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

